



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

مجلة

# الدلائل السنية في القرآن الكريم

مجلة علمية دورية محكمة

❖ مسائل في الاستعاذة.

❖ المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور آل حم.

❖ آيات التحدي بالقرآن الكريم - جمعاً ودراسة.

❖ البحر في القرآن الكريم - آيات ودلالات.

❖ النخل في القرآن الكريم.

❖ أخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر للحافظ

ابن الجزري حتى عام (٤٢٩ هـ).

موضوعات

العدد الخامس

ذو الحجة ١٤٢٠ هـ  
نوفمبر ٢٠٠٩ م

رمد ١٦٥٨-٣٥١٥  
ISSN.1658-3515  
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠

حقوق الطبع محفوظة  
للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه  
العام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م





### رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبدالرحمن الشايع.  
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

### هيئة؟ لتحرير

- ١ - أ.د. إبراهيم بن سليمان الهويمل.  
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً.
- ٢ - أ.د. سليمان بن صالح القرعاوي.  
الأستاذ بجامعة الملك فيصل بالأحساء.
- ٣ - أ.د. عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي.  
الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض.
- ٤ - أ.د. فهد بن عبدالرحمن الرومي.  
الأستاذ بكلية المعلمين بالرياض.
- ٥ - أ.د. محمد بن سيدي الأمين.  
الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

### إدارة؟ لتحرير

- د. ناصر بن محمد آل عشوان.  
الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- أ. عبد الله بن حمود العماج  
المحاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



## قواعد وشروط؟ للنشر

مجلة الدراسات القرآنية مجلة دورية تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. وتعنى بالبحوث العلمية، وفق الأمور الآتية:

- أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- مراعاة علامات الترقيم.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- ألا يكون مستقلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً ، وتضبط الحواشي ألياً لا يدوياً .
- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بأخر البحث.
- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.
- ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (A4) ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يكون خط الأصل (١٨) وخط الهامش (١٤) ، ونوع الخط (Arabic Traditional).
- تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- يرفق الباحث ثلاث نسخ مطبوعة، مع ملخص لا يزيد على صفحة واحدة.
- تُحكّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.
- تُعاد البحوث معدلة على قرص حاسوبي.
- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- للمجلة الحق في نشر البحث على الموقع الإلكتروني للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بعد إجازته للنشر.
- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلآت من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم  
رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض  
ص.ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤  
هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥  
البريد الإلكتروني: [quranmag@gmail.com](mailto:quranmag@gmail.com)

عنوان؟ الجمعية  
ص - ب: ١٧٩٩٩ - الرياض - ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ - ٢٥٨٢٧٥٣

موقع؟ الجمعية  
[www.alquran.org.sa](http://www.alquran.org.sa)  
\* \* \*



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يكافأ النعم ، ويدفع النقم ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فبلادنا - المملكة العربية السعودية - تعيش نشاطاً وحرارة علمياً كبيراً بإنشاء جامعات جديدة ، وتوسع الجامعات القائمة ، وتكاثر الجمعيات العلمية في مختلف العلوم والمعارف ، وما يعقد من ندوات ومؤتمرات ، وما يصدر من بحوث ومؤلفات .

وفي مقدمة هذه الجمعيات حضوراً ونشاطاً الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه فهي تضع بين الباحثين والقراء المكرمين العدد الخامس من مجلتها ( مجلة الدراسات القرآنية ) وهي مجلة علمية دورية محكمة ، تعني بكل ما يتعلق بالدراسات القرآنية ويصب في خدمة القرآن الكريم وعلومه من دراسات وبحوث علمية تخصصية عصرية وتراثية ، والأمل أن يجد القارئ فيها ما ينشده من بحوث رصينة ، وموضوعات حية ، تثري ثقافته ، وتسد حاجته ، وتحقق تطلعه ، ولا يمكن للمجلة أن تحقق ذلك إلا بحرص الباحثين على انتقاء الموضوعات ، وعمق الدراسات ، وتعاون الفاحصين على تمحيص تلك البحوث ، وتدقيقها ، والارتقاء بها . وهو ما نأمله منهم ، ونظنه فيهم ، وتؤكد المجلة على أمل آخر يتمثل بالالتزام بالشروط الفنية والطباعية للمجلة لما لذلك من أثر ملموس في تيسير العمل وتسهيله ، وتخفيف الجهد وتوفيره ، وتسريع صدور العدد في أقرب المدد .

ولا بد في هذا المقام من شكر الباحثين على اختيارهم مجلتهم العلمية - مجلة الدراسات القرآنية - لنشر نتائجهم فيها فهي منهم ، ولهم ، وبهم والشكر موصول للفاحصين المتعاونين مع المجلة في تقويم بحوثها والرفقي بها ، كما أشيد بجهد العاملين في الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم في إدارتها الجديدة في حرصها وحماسها لتطوير العمل ، وإتمام المسيرة الخيرة لهذه الجمعية خلفاً للمجلس السابق الذي بذل جهده في بناء الجمعية كياناً ومكانة فللجميع جزيل الشكر والدعاء بعظيم الأجر .

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل ، والثناء العاطر لمعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبو الخيل على دعمه للجمعية ، وتشجيعه للمجلة ، ودعمه لها ، فالجامعة هي الحاضنة والراعية للجمعية والمجلة ، وكل ذلك بدعم غير محدود وتوجيه سديد رشيد من خادم الحرمين الشريفين الملك / عبد الله بن عبد العزيز ، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير / سلطان بن عبد العزيز ، ونائبة الثاني صاحب السمو الملكي الأمير / نايف بن عبد العزيز ، وصاحب السمو الملكي الأمير / سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس شرف أعضاء الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه ، فلهم من الدعاء أخلصه

ومن الثناء أعطره ، ومن الشكر أتمه وأجزله على دعم الجمعية وتشجيع  
المجلة .

والشكر لله أولاً وآخرأ ، ظاهراً وباطناً على ما أسبغ من نعم ، ودفع من  
نقم . وفق الله الجميع لكل خير وسداد ، وهدى ورشاد .

رئيس تحرير المجلة  
أ . د / محمد بن عبد الرحمن الشائع

## المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١	مسائل في الاستعاذة . * د. عبد العزيز بن عبد الله الخضير .	١٣
٢	المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور آل حم . * د. هدى بنت دليجان الدليجان .	٥٩
٣	آيات التحدي بالقرآن الكريم . * د. ناصر بن محمد الصائغ .	١١١
٤	البحر في القرآن الكريم – آيات ودلالات . * د. عبد الله بن عبد الرحمن الرومي .	١٦٣
٥	النخل في القرآن الكريم . * د. سعود بن عبد العزيز الحمد .	٢١٧
٦	أخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر لابن الجزري حتى عام ١٤٢٩ هـ . * د. أمين محمد أحمد الشنقيطي .	٢٨٥

## مسائل في الاستعاذة

د / عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز  
الخشيري

- \* عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- \* حصل على درجة الماجستير من كلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- \* حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- \* له من المؤلفات : الأمثال القرآنية . الكبر في ضوء القرآن . وقفات مع آيات الإفك . أحكام اللعان في ضوء القرآن



## المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :

فإن للاستعاذة شأنًا عظيمًا ، وقدرًا جسيمًا ؛ إذ الأخطار التي تكتنف الإنسان كثيرة ، والشُرور التي تتربص به عظيمة ، فإبليس يكيد له ، وشياطين الإنس والجن تستفزه وتزين له ، والنفس أمارة بالسوء ، ولا يعصم من ذلك إلا اللجوء إلى الله ، والاستجارة به ، واللياذ بحماه .

والاستعاذة من العبادات التي يجب تجريدها لله ، فلا يجوز صرفها لغيره ؛ إذ هي من فروع توحيد الألوهية ، فلا يستعاذ بغير الله فيما لا يدفعه إلا هو تعالى . وقد أمر سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين معه باللجوء إليه والاستجارة به ، فقال ﷺ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ( النحل : ٩٨ ) وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون: ٩٧ ، ٩٨) ، وفي المقابل ذكر ﷺ حال أقوام عاذوا بغيره فلم يزدادوا بذلك إلا ضلالاً وخسراناً وذعراً وتخويفاً ، فقال ﷺ: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن: ٦) .

وللاستعاذة كثير من الأحكام والمسائل المتعلقة بها كأهميتها ، وحقيقتها ، وصيغها ، وموضعها ، وحكمها ... وفي هذا البحث محاولة لجمع هذه التفصيلات ودراستها . وقد جعلته في اثنتي عشرة مسألة ، كما يلي :

المسألة الأولى : في فضل الاستعاذة ، وما ورد في ذلك من النصوص .

المسألة الثانية : في معنى الاستعاذة ، وتعريف كل لفظ من ألفاظها .

المسألة الثالثة : في صيغها الواردة في الكتاب والسنة وكلام السلف .

المسألة الرابعة : في بيان أركان الاستعاذة .

المسألة الخامسة : في تقرير عدم قرآنيته .

المسألة السادسة : في ذكر موضعها من القراءة .

المسألة السابعة : في حكمها عند قراءة القرآن في الصلاة وخارجها .

المسألة الثامنة : في حكم تكرار الاستعاذة في الصلاة .

المسألة التاسعة : هل الاستعاذة للصلاة أو للقراءة ؟

المسألة العاشرة : في حكم الاستعاذة من حيث الجهر والإخفاء .

المسألة الحادية عشرة : هل يستعيذ المأموم في الصلاة الجهرية ؟

المسألة الثانية عشرة : في ذكر المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة .

وقد سلكت في بحث هذه المسائل منهج التتبع والاستقراء لما ذكره أهل العلم، راجعاً في مسائل الخلاف إلى المصادر المعتمدة في كل مذهب، ذاكراً أدلة كل قول، مرجحاً ما وافق الدليل وقواعد الدين، مع الحرص في ذلك كله على الموضوعية والتجرد.

وأما الأحاديث الواردة فما كان منها في الصحيحين معاً فإني أكتفي بذلك عن الاستقصاء في تخريجه والحكم عليه، وإن لم يكن كذلك حرصت على تخريجه من دواوين السنة المعتمدة، ذاكراً حكم العلماء عليه إن وجد

هذا والله المسؤول أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، صواباً على سنة رسوله ﷺ، إنه جواد كريم.

المسألة الأولى : فضل الاستعاذة .

ورد في فضل الاستعاذة أحاديث عدة ، منها : حديث سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال : استنَّبَ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه فنظر إليه النبي ﷺ فقال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال : أتدري ما قال رسول الله ﷺ أنفاً ؟ قال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقال له الرجل : أمجنوناً تراني؟! (١)

ومنها : حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي . فقال رسول الله ﷺ : " ذاك شيطان يقال له خنزب (٢) فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واثقل على يسارك ثلاثاً " . قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني . (٣) وفي المعنى نصوص كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله في الحديث عن المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة .

المسألة الثانية : معنى الاستعاذة .

الاستعاذة في كلام العرب : الاستجارة والتحيز إلى الشيء ، على معنى الامتناع به من المكروه ؛ يقال : عُدت بفلان واستعدت به ؛ أي لجأت إليه ، وهو عيادي ؛ أي ملجئي . وأعدت غيري به وعودته بمعنى . ويقال : عَوَّدُ بالله منك ؛ أي أعوذ بالله منك . (٤) ومثله : عياذ ومَعَاذ . قال ﷺ عن

يوسف عليه السلام : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ (يوسف : ٢٣ ، ٧٩) ؛ أي أعوذ بالله . (٥) قال ابن فارس : ( العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الالتجاء إلى الشيء .. ) (٦)

(١) أخرجه البخاري ٢٢٦٧/٥ ح ٥٧٦٤ ، ومسلم ٣١/٨ ح ٦٨١٣

(٢) قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ١٩٠/١٤ : ( أما خنزب فيحاء معجمة مكسورة ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة ومفتوحة . ويقال أيضاً : بفتح الخاء والزاي ، حكاة القاضي . ويقال أيضاً : بضم الخاء وفتح الزاي ، حكاة ابن الأثير في النهاية ، وهو غريب )

(٣) أخرجه مسلم ٢٠/٧ ح ٥٨٦٨ ، والإمام أحمد ٤٢٩/٢٩ ح ١٧٨٩٧ وصححه شعيب الأرناؤوط ، والحاكم في مستدركه ٢٤٤/٤ ح ٧٥١٤ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وعبد الرزاق في مصنفه ٨٥/٢ ح ٢٥٨٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥١/٥ ح ٢٣٦٠٠ ، والطبراني في الكبير ٥٢/٩ ح ٨٣٦٦ .

(٤) تفسير القرطبي ٦٤/١

(٥) انظر مادة ( عوذ ) في النهاية واللسان .

(٦) معجم مقاييس اللغة ، مادة ( عوذ ) .



وقال الراغب : ( العوذ : الالتجاء إلى الغير والتعلق به . يقال : عاذ فلان بفلان .. والعوذة : ما يعاذ به من الشيء ، ومنه قيل : للتميمة والرقية : عوذة . وعوذته : إذا وقاه ) . (١)

وعلى هذا فمعنى أعوذ بالله : أعتصم به وألتجئ إليه وأستجير به من الشيطان الرجيم . ويدخل في ذلك ما ذكره المفسرون وأهل اللغة من معان أخرى ، كالتحرز بالله والتحيز إليه والاستنصار به والاستعانة والتعلق والامتناع واللياذ بجنابه . (٢)(٣)

أعوذ بالله : أي مستعيناً به من الشيطان الرجيم . ويجوز أن تكون الباء للإلصاق . قال ابن كثير : ( الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر ) . (٤)

الله : علم على ربنا ﷻ خاص به ، لا يسمى به غيره . قال تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم : ٦٥) . أي : تسمى باسمه الذي هو الله . وهو أعرف المعارف (٥) وهو أصل أسماء الله الحسنى وأجمعها ، حتى قيل : إنه اسم الله الأعظم (٦) ؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له ، وأوصافاً له ، ومضافة إليه . قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (الحشر : ٢٢-٢٤) .

- (١) المفردات مادة (عوذ) .  
(٢) فرق ابن كثير رحمه الله في تفسيره ١١٤/١ بين العياذ واللياذ ، فقال : ( والعيادة تكون لدفع الشر ، واللياذ يكون لطلب الخير ، كما قال المتنبي :  
يا من الود به فيما أومله ومن أعوذ به ممن أحاذره )  
وهذا التقريب بين اللفظين لم يره صاحب لسان العرب ، بل قال في مادة (عوذ) : ( والملاذ مثل المعاذ ) . ولعل هذا أظهر ، وأما بيت المتنبي فليس فيه إلا استعمال كل واحد من اللفظين في أحد معنييه  
(٣) انظر في هذه المعاني : مادة (عوذ) في المفردات والنهاية واللسان ، تفسير الطبري ١١١/١ ، تفسير البغوي ٤٣/٥ ، تفسير القرطبي ٦٤/١ ، زاد المسير ٧/١ ، تفسير ابن كثير ١١٤/١  
(٤) تفسير ابن كثير ١١٤/١  
(٥) انظر : بدائع الفوائد ٢٧/١ ، مدارج السالكين ٣٢/١ .  
(٦) انظر : تفسير القرطبي ٧٢/١ .

وقال ﷻ: ﴿ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (غافر : ٢). وقال سبحانه: ﴿ وَيَلِيهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف : ١٨٠).

ولهذا أيضاً يقال : الرحمن والرحيم من أسماء الله ، ولا يقال : الله من أسماء الرحمن أو من أسماء الرحيم . وقد اختلف أهل العلم في اسم الله هل هو مرتجل أو مشتق ؟ فقيل : هو مرتجل موضوع للذات علم ، وأل فيه لازمة له ، لا للتعريف . بدليل دخول حرف النداء عليه ، كقولك : يا الله ، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف ، ولهذا لا تقول : يا الرحمن ولا يا الرحيم ، كما تقول يا الله ، فدل على أنهما من أصل الكلمة . وبدليل أنه لا يثنى ولا يجمع . وإلى هذا ذهب الشافعي والجويني والغزالي ، وهو مروى عن الخليل وسيبويه .<sup>(١)</sup>

وذهب الأكثرون إلى أن هذا الاسم مشتق ، مع اختلاف بينهم في اشتقاقه وأصله على أقوال ، أولها - وهو الراجح - أنه مشتق من ( آله ) بمعنى عبد . يقال : آله الرجل يأله إلهة : إذا عبد وتنسك . قال رؤبة بن العجاج<sup>(٢)</sup> :

لله در الغانيات المده<sup>(٣)</sup> سبحن واسترجعن من تألهي أي : من تعبدي

وطلبي الله بعلمي .<sup>(٤)</sup> ومن هذا المعنى قراءة : ﴿ وَيَذَرُكَ وَءَاهْتَكَّ ﴾

(الأعراف : ١٢٧) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : وعبادتك .<sup>(٥)</sup>

وأصله إله فأدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة . قال سيبويه : مثل الناس أصله أناس .<sup>(٦)</sup>

والثاني : أنه مشتق من ( لاه ) ودخلت عليه الألف واللام للتعظيم . واحتجوا له بقول ذي الإصبع العدواني :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديانى فتخزوني<sup>(٧)</sup>

أي الله ابن عمك .

**والثالث :** أنه مشتق من ( وله ) إذا تحير ، والوله : ذهاب العقل ، يقال : رجل وآله وامرأة وآلهة وآلهة وآلهة وولهي . فالله ﷻ تتحير الأبواب في عظمته

(١) انظر : تفسير البغوي ٥٠/١ ، زاد المسير ٨/١ ، ٩ ، تفسير القرطبي ٧٢/١ ، ٧٣ ، تفسير ابن كثير ١٢٣/١

(٢) ديوانه : ١٦٥ ، ومعجم مقاييس اللغة مادة ( آله ) ، واللسان مادة ( مده ) .

(٣) المده : قال في اللسان مادة ( مده ) : ( مَدَّه يَمُدُّهُ مَدًّا مَثَلُ مَدَّحِهِ وَالْجَمْعُ الْمُدَّةُ ) . وعلى هذا فالمده في البيت بمعنى الممدوحات بجمالهن .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٣/١ ، زاد المسير ٩/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٣/١ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٧٣/١ .

(٦) انظر : المرجع السابق ٧٢/١ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ٧٢/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٣/١ ، التحرير والتنوير ١٦٢/١ .

وفي حقائق صفاته . فعلى هذا أصل ( إلاه ) ( ولاه ) ، والهمزة مبدلة من واو ، كما أبدلت في إشاح وشاح ، وإسادة وسادة .<sup>(١)</sup>

**والرابع :** أن الله تعالى سمي إلهاً لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم ، ويتضرعون إليه عند شدائدهم ، مأخوذ من قولهم : إله الرجل ياله إذا فزع من أمر نزل به فاستعاذ بالله ؛ فألهه ؛ أي أجاره . فالمجبر لكل الخلائق هو الله سبحانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ (المؤمنون :

٨٨) .<sup>(٢)</sup>

**والخامس :** أنه مشتق من لاه ؛ بمعنى : علا وارتفع . والعرب تقول لكل شيء مرتفع : لاهاً ، فكانوا يقولون للشمس إذا طلعت : لاهت .<sup>(٣)</sup>

**والسادس :** أن أصله لاه مصدر لاه يَلِينُهُ لِينًا ولاهاً إذا احتجب ، سمي به الله تعالى ، ثم أدخلت عليه الألف واللام .<sup>(٤)</sup>

**والسابع :** أنه مشتق من ألّهت إلى فلان ، أي : سكنت إليه ، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته ؛ لأنه الكامل على

الإطلاق دون غيره . قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(الرعد : ٢٨) .<sup>(٥)</sup>

**والثامن :** أن اشتقاقه من أله الفصيل إذا ولع بأمه ، والمعنى أن العباد مؤلهون مؤلعون بالتضرع إليه في كل الأحوال .<sup>(٦)</sup>

**والتاسع :** أن هذا اللفظ ليست عربيًا ، بل عبرانيًا أو سريانيًا ، فإنهم يقولون إلهًا رحمانًا ومرحيانًا ، فلما عرب جعل ﴿ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

﴿٧﴾ . وقد أنكر هذا الرازي<sup>(٨)</sup> ، ووافق ابن كثير<sup>(٩)</sup> .

وإذا ترجح أن اسم الله تعالى مشتق من أله بمعنى عبَدَ ؛ فإن معنى (الله) حينئذ: المألوه المعبود الذي تعبد الخلائق وتتأله له محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب .<sup>(١٠)</sup> قال شيخ الإسلام ابن

(١) انظر : تفسير القرطبي ٧٢/١ ، تفسير الرازي ١٣٤/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٣/١ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٧٣/١ ، تفسير الرازي ١٣٥/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٧٣/١ ، تفسير الرازي ١٣٤/١ .

(٤) انظر : تفسير الرازي ١٣٥/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .

(٥) انظر : تفسير الرازي ١٣٤/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .

(٦) انظر : تفسير الرازي ١٣٦/١ ، تفسير ابن كثير ١٢٤/١ ، التحرير والتنوير ١٦٢/١ .

(٧) في تفسيره ١٣٦/١ .

(٨) في تفسيره ١٢٤/١ .

(٩) انظر : مدارج السالكين ٣٢/١ ، ٣٣ .

تيمية رحمه الله : ( فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد ) . (١)

وقال رحمه الله : ( والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء فهو بمعنى المألوه وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك ) . (٢)

الشیطان : مفرد الشياطين ، وقد اختلف في اشتقاقه على قولين ، أولهما : أنه مأخوذ من شَطَنَ بمعنى : بَعُدَ . يقال : شَطَنَت داره ، أي : بعدت . وبئَر شَطُون ، أي : بعيدة القعر . (٣) قال النابغة الذبياني (٤) :

نأت بسعاد عنك نَوَى شَطُون فبانئت والفؤاد بها رهين  
أي : أن الوجه الذي نوته وقصدته بعيد . (٥)

وعلى هذا يكون الشيطان على وزن فيعال من شطن ، والنون فيه أصلية . قال ابن فارس : ( الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد ) . (٦) وقد سمي الشيطان شيطاناً لبعده عن الحق وتمرده ، وبعده عن الخير والرحمة . (٧)

والقول الثاني : أن الشيطان مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك ، وشاط إذا احترق ، وشيطت اللحم إذا دخنته ولم تتضج ، واشتاط الرجل إذا احتد غضباً . (٨) قال الأعمش :

قد نَحْضِب العَيْرَ من مكنون فائله وقد يَشِيْط على أرماحنا البطل<sup>(٩)</sup>  
البطل<sup>(٩)</sup>

أي : يهلك . قال ابن فارس : ( الشين والياء والطاء أصل يدل على ذهاب الشيء ، إما احتراقاً وإما عَيْرَ ذلك ) . (١٠)

- (١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٨/١ .
- (٢) درء تعارض العقل والنقل ١٦٩/٥ . وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٦١ .
- (٣) انظر : انظر مادة (شطن) في معجم مقاييس اللغة والمفردات والنهاية ، تفسير الطبري ١١٢/١ ، تفسير البغوي ٨٣/١ ، تفسير القرطبي ٦٤/١ ، زاد المسير ٣٤/١ ، تفسير ابن كثير ١١٥/١ .
- (٤) ديوانه : ٣٦٢ .
- (٥) انظر : تفسير الطبري ١١٢/١ .
- (٦) معجم مقاييس اللغة ، مادة (شطن) .
- (٧) انظر : تفسير الطبري ١١٢/١ ، تفسير البغوي ٨٣/١ ، تفسير القرطبي ٦٤/١ ، تفسير ابن كثير ١١٥/١ .
- (٨) انظر مادة (شيط) في النهاية واللسان ، ومادة (شطن) في المفردات ، زاد المسير ٣٥/١ ، تفسير ابن كثير ١١٥/١ ، التحرير والتنوير ٢٨٦/١ .
- (٩) انظر : اللسان مادة (شيط) . والعير : السيد ، والمكنون : الدم . والفائل : عرق يجري من الجوف إلى الفخذ .
- (١٠) معجم مقاييس اللغة : مادة (شيط) .

وعلى هذا يكون الشيطان على وزن فعلان ، والنون فيه زائدة ، وسمي بذلك لكونه مخلوقاً من النار ، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ (الرحمن : ١٥) . أو لاختصاصه بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام .<sup>(١)</sup>

وقد ذهب ابن عاشور إلى أن اسم الشيطان غير مشتق ، وأنه معرب من لغة سابقة ، فقال : ( وعندي أنه اسم جامد شابه في حروفه مادة مشتقة ودخل في العربية من لغة سابقة ؛ لأن هذا الاسم من الأسماء المتعلقة بالعقائد والأديان ، وقد كان لعرب العراق فيها السبق قبل انتقالهم إلى الحجاز واليمن ، ويدل لذلك تقارب الألفاظ الدالة على هذا المعنى في أكثر اللغات القديمة . وكنت رأيت قول من قال : إن اسمه في الفارسية سيطان )<sup>(٢)</sup> .

والقول الأول في هذه المسألة هو الصحيح . وقد حكى سيبويه عن العرب قولهم : تشيطان فلان ، إذا فعل أفعال الشياطين . وهذا واضح في كونه مشتقاً من ( شطن ) ولو كان من ( شاط ) لقالوا : تشييط .<sup>(٣)</sup> قال ابن جرير الطبري بعدما اعتمد القول الأول : ( ومما يدل على أن ذلك كذلك ، قول أمية ابن أبي الصلت :

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ<sup>(٤)</sup> ثُمَّ يُنْفَى فِي السَّجْنِ وَالْأَكْبَالِ  
ولو كان فعلان ، من شاط يشيط ، لقال : أَيُّمَا شَانِطٍ ، ولكنه قال : أَيُّمَا شَاطِنٍ ، لأنه من شَطْنٍ يَشْطُنُ ، فهو شاطن ) .<sup>(٥)</sup>

و(أل) في لفظ ( الشيطان ) للجنس ؛ فيشمل اللفظ كل متمرّد عات من الجن والإنس والدوابّ وكل شيء . وهذا قول الأكثرين .<sup>(٦)</sup> وقيل : (أل) فيه للعهد ؛ فيكون المراد إبليس الذي هو أصل الشياطين وأمرهم ، فكل ما ينشأ من وسوسة الشياطين فهو راجع إليه لأنه الذي خطا الخطوات الأولى<sup>(٧)</sup> .

- (١) انظر : المفردات : مادة ( شطن ) ، تفسير ابن كثير ١١٥/١ .
- (٢) التحرير والتنوير ١/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
- (٣) انظر : تفسير القرطبي ٦٤/١ .
- (٤) عكاه : شدّ وثاقه . انظر اللسان : مادة ( عكا ) .
- (٥) في تفسيره ١١٢/١ . وانظر : تفسير القرطبي ٦٤/١ ، زاد المسير ٣٤/١ ، تفسير ابن كثير ١١٥/١ .
- (٦) انظر : تفسير الطبري ١١١/١ ، تفسير البيهقي ٦٨/١ ، المحرر الوجيز ٥٠/١ ، تفسير القرطبي ٦٤/١ ، تفسير ابن كثير ١١٥/١ ، التحرير والتنوير ٢/ ٢٠٢ .
- (٧) انظر : التحرير والتنوير ٢/ ٢٠٢ .

والأقرب الأول ، ولهذا جمع في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ (المؤمنون : ٩٧) . وبمقتضاه يكون الشيطان من الإنس والجن كما قال ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُزُورًا ﴾ (الأنعام : ١١٢) .

فجعل من الإنس شياطين ، مثل الذي جعل من الجن . ويكون أيضاً من الدواب ؛ فعن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرجل فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرجل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود " . قلت : يا أبا ذر ، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر ؟ قال : يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني ، فقال : " الكلب الأسود شيطان " .<sup>(١)</sup>

وعن زيد بن أسلم عن أبيه " أن عمر بن الخطاب ﷺ ركب برذوناً فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان ، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي " .<sup>(٢)</sup>

الرجيم : فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول . مأخوذ من رَجَمَ يَرْجُمُ رَجْمًا ، فهو مرجوم ورجيم . وأصل الرجم : الرمي بالحجارة . قال ابن فارس : ( الراء والجيم والميم أصلٌ واحدٌ يرجع إلى وجه واحد ، وهو الرَّمْيُ بالحجارة ، ثم يستعار ذلك ) .<sup>(٣)</sup> والرجم يكون بمعنى القتل واللعن

والطرد والشتم . وقد قيل هذا كله في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَنْوُحُوا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء : ١١٦) . وقوله ﷺ : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجِمَنَّكَ ﴾ (مريم: ٤٦) .<sup>(٤)</sup>

وعلى هذا فالرجم كما يكون بالفعل يكون أيضاً بالقول ، والشيطان مرجوم فعلاً وقولاً ؛ فهو مرجوم بالفعل بطرده من الجنة وإهباطه إلى الأرض وإبعاده

(١) أخرجه مسلم ٥٩/٢ ح ١١٦٥ ، وابن حبان ١٤٤/٦ ح ٢٣٨٣ ، وابن خزيمة ٢٠/٢ ح ٨٣٠ ، وأبو داود ٢٤٤/١ ح ٧٠٢ ، والترمذي ١٦٦/٢ ح ٣٣٨ ، والنسائي ٦٣/٢ ح ٧٥٠ ، وابن ماجه ٣٠٦/١ ح ٩٥٢ ، والإمام أحمد ٢٥٠/٣٥ ح ٢١٣٢٢ ، وابن أبي شيبة ٢٥١/١ ح ٢٨٩٦ .  
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١١/١ ، ونقله ابن كثير في تفسيره ١١٥/١ وقال : إسناده صحيح .  
(٣) معجم مقاييس اللغة : مادة ( رجم ) .  
(٤) زاد المسير ٣٧٧/١ ، تفسير القرطبي ٦٤/١ ، لسان العرب : مادة ( رجم ) .

من رحمة الله ومن الخير كله ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمًا ۗ ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿ (الحجر: ٣٤، ٣٥) . وقال تعالى : ﴿ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣) .

وهو مرجوم فعلاً بالشهب كما قال ﴿ وَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ﴾ (الملك : ٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

بِزِينَةِ الْكُوكَبِ ۖ ﴾ (٦) وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿ (٨) دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿ (الصافات: ٦ - ١٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿ (١١) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿ (١٧) إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿ (الحجر : ١٦ - ١٨) .

وهو مرجوم قولاً بلعن الله له وطرده إياه من الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمًا ۗ ﴾ (ص : ٧٧ ، ٧٨) . (١)

وقيل : الرجيم فعيل بمعنى فاعل ، أي : رجيم بمعنى راجم ؛ وذلك أنه يرمي الناس بالسواوس ، ويزين لهم طرق الشر ، ويستنقزهم لمعصية الله ، ويصددهم عن الخير ، ويكيد لهم بأنواع المكاييد . والقول الأول أشهر وأصح (٢) .

وجملة ( أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ) جملة خبرية تفيد الطلب ، ومجيئها في صيغة الخبر أبلغ في الدلالة على المقصود . قال ابن القيم رحمه الله : ( فإن قلت : فلم دخلت السين والتاء في الأمر من هذا الفعل كقوله : فاستعذ بالله ولم تدخل في الماضي والمضارع بل الأكثر أن يقال : أعوذ بالله وعذت بالله دون أستعيز واستعذت ؟ قلت : السين والتاء دالة على الطلب ، فقوله : أستعيز بالله أي أطلب العياذ به ، كما إذا قلت : أستخير الله أي أطلب خيرته ، وأستغفره أي أطلب مغفرته ، وأستقبله أي

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٢/١ ، المحرر الوجيز ٥٠/١ ، زاد المسير ٣٧٧/١ ، تفسير ابن كثير ١١٦/١ .  
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١١٦/١ .

أطلب إقالته ، فدخلت في الفعل إيذاناً لطلب هذا المعنى من المعاذ . فإذا قال المأمور : أعوذ بالله ، فقد امتثل ما طلب منه ؛ لأنه طلب منه الالتجاء والاعتصام . و فرق بين نفس الالتجاء والاعتصام وبين طلب ذلك ، فلما كان المستعيز هارباً ملتجئاً معتصماً بالله أتى بالفعل الدال على ذلك دون الفعل الدال على طلب ذلك فتأمله . وهذا بخلاف ما إذا قيل : استغفر الله ، فقال : أستغفر الله ؛ فإنه طلب منه أن يطلب المغفرة من الله ، فإذا قال : أستغفر الله ؛ كان ممثلاً ؛ لأن المعنى أطلب من الله تعالى أن يغفر لي . وحيث أراد هذا المعنى في الاستعاذة فلا ضير أن يأتي بالسین ؛ فيقول : أستعيز بالله تعالى ، أي أطلب منه أن يعيذني . ولكن هذا معنى غير نفس الاعتصام والالتجاء والهرب إليه ؛ فالأول مخبر عن حاله وعباده بربه ، وخبره يتضمن سؤاله وطلبه أن يعيذه . والثاني طالب سائل من ربه أن يعيذه كأنه يقول : أطلب منك أن تعيذني ؛ فحال الأول أكمل ) . (١)

المسألة الثالثة : صيغ الاستعاذة .

الصيغة المشهورة في التعوذ هي ( أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ) . وقد دل لها الكتاب والسنة ، فأما الكتاب فقوله ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) . وأما السنة فقوله ﷻ في الرجل الذي احمر وجهه من شدة الغضب : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . (٢) وهذه الصيغة هي اختيار أبي حنيفة (٣) ، والشافعي (٤) ، وأحمد بن حنبل (٥) وجمهور أهل العلم (٦) وأكثر القراء (٧) .

الصيغة الثانية : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

ويدل لها قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف : ٢٠٠) . وقوله ﷻ : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٦) . كما يدل لها حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ إذا قام من

(١) بدائع الفوائد ٤٢٧/٢ ، ٤٢٨ ،

(٢) سبق الحديث كاملاً مع تخريجه .

(٣) انظر : بدائع الصنائع ٢٠٣/١ .

(٤) انظر : الأم ١٠٧/١ ، المجموع ٢٧٠/٣ ، المهذب ٧٢/١ ، روضة الطالبين ٢٤٠/١ .

(٥) انظر : الإنصاف ٤٧/٢ ، المغني ٢٨٣/١ ، الفروع ٣٦٢/١ ، كشاف القناع ٣٣٥/١ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز ٨/١ ، تفسير القرطبي ٦٢/١ .

(٧) انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤٣/١ ، المبسوط ١٣/١ .



الليل كبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . ثم يقول : لا إله إلا الله ثلاثاً . ثم يقول : الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ثم يقرأ " (١) .

وهذه الصيغة مروية عن الإمام أحمد (٢) وبعض الشافعية (٣) وطائفة من القراء (٤) . ولا يشكل عليها ما روي عن ابن مسعود ؓ أنه قال : قلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي النبي ﷺ : " يا ابن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل ... " (٥) فإنه حديث لا يصح ، قال عنه أبو شامة المقدسي (٦) : ( لا أصل له في كتب الحديث ) . (٧) وقال الشاطبي في حرز الأمانى (٨) :

إذا ما أردتَ الدهرَ تقرأ فاستعدّ جهاراً من الشيطان بالله مُسَجَّلاً  
على ما أتى في النحل يُسرّاً وإن تزد لربك تنزيهاً فلست مُجَهَّلاً  
وقد ذكروا لفظ الرسول فلم يزد ولو صح هذا النقل لم يُبق مُجَمَّلاً (٩)

- (١) أخرجه ابن خزيمة ٢٣٨/١ ح ٤٦٧ ، وأبو داود ٢٦٥/١ ح ٧٧٥ واللفظ له ، والترمذي ٩/٢ ح ٢٤٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥/٢ ح ٢١٨٥ ، والإمام أحمد ٥١/١٨ ح ١١٤٧٣ ، وعبد الرزاق في مصنفه ٧٥/٢ ح ٢٥٥٤ . وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٢٧٠/١ ح ١٢١٧ .
- (٢) انظر : الإنصاف ٤٧/٢ ، المغني ٢٨٢/١ .
- (٣) انظر : المجموع ٢٧٠/٣ ، روضة الطالبين ٢٤٠/١ .
- (٤) انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤٩/١ .
- (٥) ذكره القرطبي في تفسيره ٦٢/١ .
- (٦) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، أبو القاسم ، شهاب الدين ، أبو شامة . مؤرخ ، محدث ، باحث . أصله من القدس ، ومولده في دمشق ، وبها منشأه ووفاته . ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية . ولقب أبا شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر . مات سنة ٦٦٥ هـ . من مؤلفاته : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، ومفردات القراء ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ، وإبراز المعاني وهو شرح للشاطبية . انظر : بغية الوعاة : ١٢/٢ ، الأعلام ٢٩٩/٣ .
- (٧) إبراز المعاني من حرز الأمانى ٩٢/١ .
- (٨) الوافي في شرح الشاطبية : ٤١ ، ٤٢ .
- (٩) قوله : جهاراً ، أي تعوداً معلناً غير خفي . وقوله : مسجلاً ، أي مطلقاً لجميع القراء في جميع القرآن ، لا يختص ذلك بقارئ دون غيره ، ولا بسورة ولا بحزب ولا بآية دون باقي السور والأحزاب والآيات ، وهذا بخلاف البسمة . قوله : على ما أتى في النحل يسراً ، أي تعوداً تعوداً مطابقاً للفظ الوارد في سورة النحل ؛ فإن ذلك سهل ميسور لقلة كلماته . قوله : وإن تزد لربك تنزيهاً فلست مجهلاً ، أي إن زدت علي هذا اللفظ الوارد ما يفيد تعظيم الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به ، كأن تقول : أعوذ بالله السميع العليم ، أو أعوذ بالله العظيم ؛ فلست منسوباً إلى الجهل بفعلك ذلك ؛ لورود العمل به . قوله : وقد ذكروا لفظ الرسول .. إلخ أي إن بعض القراء والمحدثين ذكروا أن الرسول ﷺ لم يزد على لفظ سورة النحل شيئاً وأنكر الزيادة على ابن مسعود ؓ ، ولو صح هذا لذهب إجمال الآية واتضح معناها وتعين لفظها فلا يجوز العدول عنه . انظر : إبراز المعاني ٩٠/١ ، الوافي في شرح الشاطبية : ٤٢ .

ثم إن حديث ابن مسعود هذا معارض بما هو أصح منه، وهو حديث أبي سعيد المتقدم، وفيه التصريح بجواز الزيادة على الصيغة الواردة في سورة النحل.  
الصيغة الثالثة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه. (١) ويدل لها حديث أبي سعيد المتقدم.

الصيغة الرابعة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم. ودليلها الجمع بين أدلة الصيغتين الأولى والثانية. وقد قرأ بها نافع وابن عامر والكسائي (٢) واختارها سفيان الثوري (٣) والإمام أحمد في رواية (٤) (٤).

---

(١) همز الشيطان: الموتة، بضم الميم؛ وهي الخنق، نوع من الجنون والصرع. ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر. انظر: النهاية: مادة (همز)، ومادة (نفخ)، ومادة (نفث).  
(٢) انظر: المبسوط ١٣/١، النشر ٢٥٠/١.  
(٣) انظر: المجموع ٢٧١/٣.  
(٤) انظر: الإنصاف ٤٧/٢، المغني ٢٨٣/١.

الصيغة الخامسة : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفته. ويدل لها حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفته " . (١)(٢)

ومع هذه الصيغ الصحيحة المأخوذة من الأدلة الشرعية<sup>(٣)</sup> ، وردت صيغ أخرى مروية عن السلف وبعض أهل العلم، ومنسوبة لبعض القراء، منها :

- ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم . (٤)
- أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم . (٥)
- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . (٦)
- أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم . (٧)
- أعوذ بالله العلي من الشيطان الغوي . (٨)
- أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . (٩)
- أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي . (١٠)
- أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر . (١١)
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأستفتح الله وهو خير الفاتحين . (١٢)
- أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . (١٣)
- أعوذ بالله المجيد من الشيطان المرید . (١)

- (١) أخرجه ابن خزيمة ٢٤٠/١ ح ٤٧٢ ، وابن ماجه ٢٦٦/١ ح ٨٠٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٦/٤ ح ٢٢٨٦ ، والإمام أحمد ٣٨٠/٦ ح ٣٨٣٠ ، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند : صحيح لغيره ، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١٧/٦ ح ٢٩١٢٣ ، والحاكم ٣٢٥/١ ح ٧٤٩ ، وصححه وأقره الذهبي ، وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٦٢/٩ ح ٩٣٢٢ ، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٥٥/٢ .
- (٢) هذه صيغ الاستعاذة الواردة عند القراءة ، وسيأتي في المسألة الثانية عشرة عند الحديث عن المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة صيغ أخرى مقبلة بحالات معينة .
- (٣) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاستعاذة صيغ أخرى ، مثل : أعوذ بالله من الشيطان ، من غير ذكر الرجيم ، واللهم أعني من الشيطان الرجيم ، واللهم أعصمني من الشيطان الرجيم ، واللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده . وقد أدرجت عن ذكرها في المتن لضعف أحاديثها .
- (٤) وهي مروية عن أبي هريرة رضي الله عنه . انظر : النشر في القراءات العشر ٢٨٥/١ .
- (٥) وهي مروية عن ورش وقنبل وأهل الشام . انظر : المرجع السابق ٢٨٦/١ .
- (٦) وهي مروية عن الحسن البصري والإمام أحمد في رواية . انظر : المرجع السابق ٢٨٦/١ ، الإنصاف ٤٨/٢ ، المغني ٢٨٣/١ .
- (٧) وهي مروية عن حفص . انظر : المبسوط ١٣/١ .
- (٨) انظر : المجموع ٢٧٠/٣ .
- (٩) وهي مروية عن ابن كثير المكي . انظر النشر في القراءات العشر ٢٨٦/١ .
- (١٠) وهي مروية عن أبي السماك . انظر : النشر في القراءات العشر ٢٨٤/١ .
- (١١) وهي مروية عن شبيل بن حميد . انظر : المرجع السابق ٢٨٤/١ .
- (١٢) وهي مروية عن حمزة . انظر : المرجع السابق ٢٨٦/٢ .
- (١٣) وهي قول محمد بن سيرين ، واختيار حمزة . انظر : المبسوط ١٣/١ .

- رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . (٢)  
- أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون . (٣)

وهذا الاختلاف في صيغ الاستعاذة يدل على أن الأمر فيها واسع ، وأنه لا حرج على القارئ أن يأخذ بأي منها ، ولهذا قال الشاطبي - فيما تقدم - : ( وإن تزدد لربك تنزيهاً فلست مجهلاً ) . ومع هذا فالإقتصار على ما ثبت عن النبي ﷺ أولى .  
المسألة الرابعة : أركان الاستعاذة .

للاستعاذة أركان ثلاثة : مستعيز ، ومستعاذ به ، ومستعاذ منه . (٤) فأما المستعيز ؛ فهو المؤمن الذي لجأ إلى الله تعالى ، واستجار به ، وعاد بحماه ؛ عالماً بأنه لا يعصم من الشر غيره ، ولا ينجي من المهالك سواه . وهو بهذا يمثل أمر ربه في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿ (المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨) ،

ويقتدي بالرسول ﷺ الذي عمل بمقتضى ما أمر به ؛ فعاد بربه ولجأ إليه ، وأعاد به أهله ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " . (٥)  
والركن الثاني : المستعاذ به ، وهو الله ﷻ ، الذي يعيذ من التجأ إليه ، ويجير من استجار به ، ويكفيه ما أهمه . والاستعاذة به سبحانه مما لا يقدر عليه سواه من مقتضيات التوحيد ولوازمه ، فلا يستعاذ من ذلك بغيره . ثم الاستعاذة تكون بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وأكثر ما وردت به نصوص القرآن الاستعاذة باسم (الله) ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٦) ، وقوله ﷻ

- (١) انظر : تفسير القرطبي ٦٢/١ .  
(٢) أخرجها عبد الرزاق في مصنفه عن طاووس ٨٤/٢ ح ٢٥٧٨ .  
(٣) أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه عن محمد بن سيرين ٢١٥/١ ح ٢٤٥٩ .  
(٤) انظر : بدائع الفوائد ٤٢٦/٢ . وقد ذهب الرازي في تفسيره ٥٦/١ إلى أن أركان الاستعاذة خمسة : الاستعاذة والمستعيز والمستعاذ به والمستعاذ منه والشيء الذي لأجله تحصل الاستعاذة . وما اعتمده في المتن أولى ؛ فإن ما جعله الركن الأول وهو الاستعاذة ، أي صيغتها ؛ مشتملة على بقية الأركان . وما جعله ركناً خامساً وهو مقصود الاستعاذة ، داخل في المستعاذ منه ؛ لأنه إنما يستعاذ منه لدفع شره .  
(٥) أخرجه البخاري ١٢٣٣/٣ ح ٣١٩١ ، وأبو داود ٦٤٨/٢ ح ٤٧٣٧ ، والنسائي في الكبرى ٢٥٠/٦ ح ١٠٨٤٤ ، وابن ماجه ١١٦٤/٢ ح ٣٥٢٥ ، والإمام أحمد ٤٥٣/٤ ح ٢٤٢٤ ، وابن أبي شيبة ٤٧/٥ ح ٢٣٥٧٧ .

: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ (غافر : ٥٦) ، وقوله سبحانه عن موسى عليه السلام : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة : ٦٧) .

ومن الكثير أيضاً الاستعاذة باسم (الرب) ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (الفلق : ١) ، وقوله عليه السلام عن موسى عليه السلام : ﴿ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ (الدخان : ٢٠) . أو بالضمير العائد إلى الرب ، كقوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ (هود: ٤٧) . وقوله سبحانه عن امرأة عمران : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران : ٣٦) .

أما اسم الرحمن فلم ترد الاستعاذة به في القرآن إلا مرة واحدة ، في قوله تعالى عن مريم عليها السلام : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم: ١٨) .

والركن الثالث : المستعاذ منه ، وهو الشيطان الرجيم . وقد تقدم في معنى الاستعاذة أنه شامل لكل متمرد عات من الجن والإنس والدواب . فالاستعاذة منه تعني الاستعاذة من جميع الشرور .

المسألة الخامسة : الاستعاذة ليست من القرآن .

حكى ابن عطية<sup>(١)</sup> والقرطبي<sup>(٢)</sup> إجماع أهل العلم على أن الاستعاذة ليست آية من القرآن . فالوارد في القرآن أمر الله بها في قوله عليه السلام : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) . وفرق بينها وبين الأمر بها . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ( الاستعاذة ليست بقرآن ولم تكتب في المصاحف وإنما فيه الأمر بالاستعاذة وهذا قرآن ) .<sup>(٣)</sup>

المسألة السادسة : موضع الاستعاذة من القراءة .

(١) في تفسيره ٤٨/١ .

(٢) في تفسيره ٦٢/١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥١/٢٢ .

احتج بعض أهل العلم بظاهر قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: ٩٨) على أن الاستعاذة تكون بعد الفراغ من القراءة . وقد روي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه (١) ، واستغربه ابن كثير (٢) . وروي عن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه (٣) ، وعن محمد بن سيرين (٤) ، وإبراهيم النخعي (٥) ، وداود الظاهري (٦) ، وحكاه ابن العربي عن الإمام مالك واستغربه (٧) وروي أيضاً عن أبي حاتم السجستاني (٨) . وأما القراء فلم ينقل القول بذلك عنهم إلا ما روي عن حمزة (٩) .

وحجة هؤلاء أن الفاء في قوله بالحرف : (فاستعذ) للتعقيب ، فتكون الاستعاذة بعد القراءة . وأما فائدتها فهي دفع الإعجاب الذي قد يعلق بالنفس فيكون محبطاً للعمل (١٠) .

أما مذهب الجمهور فهو الاستعاذة قبل القراءة ، وجعلوا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: ٩٨) بمعنى : إذا أردت أن تقرأ ؛ فأوقع الماضي موقع المستقبل . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ (المائدة :

- (١) انظر : تفسير الرازي ٤٦٤/٩ ، تفسير القرطبي ٦٣/١ ، تفسير ابن كثير ١١٠/١ ، المجموع ٢٧١/٣ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٢/١ .
- (٢) في تفسيره ١١٠/١ .
- (٣) أخرجه عنهم عبد الرزاق في مصنفه ٨٧/٢ ح ٢٥٩٤ .
- (٤) ذكره عنه : النووي في المجموع ٢٧١/٣ ، وابن الجزري في النشر ٢٩٢/١ . وسيأتي أن مذهبه الجمع بين التعمد قبل القراءة وبعدها .
- (٥) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٨٧/٢ ح ٢٥٩٤ . وانظر : المجموع ٢٧١/٣ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٢/١ .
- (٦) انظر : تفسير الرازي ٤٦٤/٩ ، تفسير القرطبي ٦٣/١ ، بدائع الصنائع ٢٠٢/١ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٢/١ .
- (٧) قال رحمه الله في أحكام القرآن ٢٢٦/٥ : ( ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية : ( فإذا قرأت القرآن ) الآية قال : ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة . وهذا قول لم يرد به أثر ، ولا يعضده نظر ؛ فإنا قد بينا حكم الآية ، وحقيقتها فيما تقدم ، ولو كان هذا كما قال بعض الناس إن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك ، ولا فهمه ، والله أعلم بسر هذه الرواية ) . وانظر : تفسير القرطبي ٦٣/١ .
- (٨) انظر : تفسير ابن كثير ١١٠/١ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٢/١ .
- (٩) انظر : تفسير ابن كثير ١١٠/١ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٢/١ .
- (١٠) انظر : تفسير الرازي ٥٢/١ ، تفسير ابن كثير ١١٠/١ .

(٦) أي : إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (الأحزاب : ٥٣) أي : إذا أردتم سؤالهن (١)

وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، وكل فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم أيهما شئت ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (النجم : ٨) ؛ أي : فتدلى

ثم دنا . (٢) ومثله قوله تعالى : ﴿ أَقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر : ١) . (٣) وعلى هذا القول لا حاجة إلى التقدير .

وذهب الطبري إلى أن المعنى : إذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ؛ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وضعف القول بالتقديم والتأخير ، فقال : ( لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيز من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه ) . (٤)

والحكمة من تقديم الاستعاذة دفع وساوس الشيطان عند القراءة ، وإذهاب كيدِه وتلبيسه . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ (الحج : ٥٢)

فلأجل هذه العلة أمر بالاستعاذة قبل القراءة . (٥) يضاف إلى ذلك ( أنها طهارة الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث ، وتطيب له ، وتهيؤ لتلاوة كلام الله تعالى ؛ فهي التجاء إلى الله تعالى ، واعتصام بجنابه من خلل يطرأ عليه أو خطأ يحصل منه في القراءة وغيرها ، وإقرار له بالقدرة ) . (٦)

وهذا القول للجمهور في كون الاستعاذة قبل القراءة هو الصحيح ، وهو مقتضى السنة الثابتة ؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل كبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٩٣/١٧ ، تفسير البغوي ٢٠/٣ ، تفسير الرازي ٥٢/١ ، زاد المسير ٧/١ ، تفسير القرطبي ٦٢/١ ، تفسير ابن كثير ١١١/١ ، أضواء البيان ٤٤٣/٢

(٢) هذا محمول على أحد التفسيرين لهذه الآية ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته قد سد الأفق ؛ فخر مغشياً عليه ، فتدلى جبريل عليه السلام ؛ أي نزل على صورة الأدميين ، ودنا من النبي صلى الله عليه وسلم وضمه . انظر : تفسير البغوي ٤٠١/٧ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٦٢/١ .

(٤) تفسير الطبري ٢٩٣/١٧ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١١١/١ .

(٦) النشر في القراءات العشر ٢٩٤/١ .

وتعالى جدك ولا إله غيرك . ثم يقول : لا إله إلا الله ثلاثاً . ثم يقول : الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ثم يقرأ " (١) .

وحكى بعض أهل العلم الإجماع عليه ، مضعفاً المروي عن السلف بخلافه . قال ابن الجزري : ( وهو - أي محل الاستعاذة - قبل القراءة إجماعاً ، ولا يصح قول بخلافه عن أحد ممن يعتبر قوله ) . (٢)

وقال مكي بن أبي طالب : ( فإن قيل : فإن ظاهر النص أن يتعوذ القارئ

بعد القراءة لأنه قال : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ (النحل : ٩٨)

والفاء بعد ما قبلها تتبعه ، هو أصلها . فالجواب أن المعنى على خلاف الظاهر ، معناه : فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ، ودل على ذلك

الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة ، ودليل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ

مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا ﴾ (الأعراف : ٤) فوقع في ظاهر التلاوة

أن مجيء البأس بعد الهلاك ، وليس المعنى على ذلك ، إنما معناه : وكم

من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا . فمجيء البأس بعد إرادة الهلاك ،

وقبل الهلاك . وكذلك التعوذ المأمور به يكون بعد إرادة القراءة ، وقبل

القراءة على أصل الفاء ) . (٣)

وفي هذه المسألة قول ثالث ، وهو أن الاستعاذة تكون قبل القراءة وبعدها .

ولعل من قال بهذا أراد الجمع بين القولين السابقين وأدلتهما ؛ فيقرأ الاستعاذة قبل

القراءة بمقتضى الخبر ، وبعدها بمقتضى القرآن . (٤) وهذا القول مروى عن

محمد بن سيرين . (٥)

المسألة السابعة : حكم الاستعاذة عند القراءة .

اختلف العلماء في حكم الاستعاذة عند القراءة ، فذهبت طائفة إلى وجوب

ذلك في الصلاة وخارجها . وهذا قول عطاء (٦) والثوري (٧) وإحدى

(١) سبق تخريجه .  
(٢) النشر في القراءات العشر ٢٩٢/١

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٩/١ ، ١٠ ،  
(٤) انظر : تفسير الرازي ٥٢/١ ، تفسير ابن كثير ١١١/١

(٥) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٨٦/٢ ح ٢٥٩٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٥٩ ح ٢١٥/١ . وانظر : المحلي ٢٥٠/٣

(٦) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٣٨/٢ ح ٢٥٧٤ . وانظر : المحلي ٢٥٠/٣ ،  
المبسوط ١٣/١ ، تفسير الرازي ٥٣/١ ، تفسير القرطبي ٦٢/١ ، تفسير ابن كثير ١١٣/١

(٧) انظر : المجموع ٢٧٢/٣ .



الروائين عن داود<sup>(١)</sup>، واختاره ابن حزم الظاهري<sup>(٢)</sup>. ودليلهم على الوجوب ظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨). فإنه أمر، والأمر يقتضي الوجوب. واحتجوا لذلك أيضاً بفعل النبي ﷺ فإنه كان يداوم على الاستعاذة قبل القراءة، ويأمر أصحابه بذلك، وقد صح إجماع جميع قراء المسلمين منذ عهد النبي ﷺ جيلاً بعد جيل على الابتداء بالتعوذ متصلاً بالقراءة قبل الأخذ في القراءة<sup>(٣)</sup>. واحتجوا أيضاً بأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب. وبأنها تدرأ شر الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب<sup>(٤)</sup>.

وينبني على هذا القول أن القارئ إذا نسي التعوذ فإنه يقطع قراءته، ويتعوذ، ثم يبدأ من حيث وقف. هذا إن كان خارج الصلاة، فإن كان في الصلاة ونسي التعوذ حتى ركع؛ أعاد متى ذكر فيها وسجد للسهو، إن كان إماماً أو منفرداً. فإن كان مأموماً ألغى ما قد نسي إلى أن ذكر، وإذا أتم الإمام قام يقضى ما كان ألغى، ثم سجد للسهو<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب<sup>(٦)</sup>. وقال بعضهم: كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته<sup>(٧)</sup>. والذي عليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الاستعاذة مستحبة قبل القراءة، سواء أكان ذلك في الصلاة أم خارجها<sup>(٨)</sup>، إلا ما حكي عن مالك فإنه لم ير الاستعاذة في الصلاة المكتوبة، ورآه في قيام رمضان في أول ليلة منه<sup>(٩)</sup>.

وقد ذهبوا إلى أن الأمر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨) مصروف عن الوجوب إلى الاستحباب بدليلين:

- (١) انظر: المجموع ٢٧٢/٣.
- (٢) في المحلى ٢٥٠/٣.
- (٣) انظر: المحلى ٢٥٠/٣، المبسوط ١٣/١، أضواء البيان ٤٣٤/٢.
- (٤) انظر: تفسير الرازي ٥٣/١، تفسير ابن كثير ١١٣/١.
- (٥) انظر: المحلى ٢٥٠/٣.
- (٦) انظر: تفسير الرازي ٥٣/١، تفسير ابن كثير ١١٣/١.
- (٧) انظر: تفسير ابن كثير ١١٣/١.
- (٨) انظر: تفسير الطبري ٢٩٣/١٧، المغني ٢٨٣/١، تفسير البيهقي ٤٢/٥، المجموع ٢٧١/٣، بدائع الصنائع ٢٠٢/١، تفسير ابن كثير ١١٣/١، أضواء البيان ٤٣٤/٢.
- (٩) انظر: تفسير القرطبي ٦٢/١، تفسير ابن كثير ١١٣/١.

أولهما : فعل النبي ﷺ فإنه كان يقرأ كثيراً من الآيات في حديثه لأصحابه ، ولم يذكر أنه كان يستعيد قبلها ، فدل ذلك على عدم الوجوب .<sup>(١)</sup> والآخر : أن النبي ﷺ علم المسيء صلاته ما يكفيه في الصلاة ، ولم يرو عنه أنه أمره بالتعوذ<sup>(٢)</sup> ؛ فدل على عدم وجوبه ، وأن الصلاة لا تفسد بتركه .<sup>(٣)</sup>

وهذا القول للجمهور في حكم الاستعادة حكى الإجماع عليه غير واحد من أهل العلم ، فقال الطبري : ( لا خلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعد بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضاً واجباً ) .<sup>(٤)</sup>

وقال السرخسي بعد ما ذكر القول بالوجوب : ( وهو مخالف لإجماع السلف فقد كانوا مجمعين على أنه سنة ) .<sup>(٥)</sup>

وينبني على هذا القول أن القارئ إذا ترك الاستعادة سهواً أو عمداً فلا حرج عليه ، لكن يستحب له أن يأتي بها في أثناء القراءة ؛ لأنه لما كان الإتيان بها قبل القراءة للاستحباب لم تسقط بتركها ، فإن تركها حتى فرغ سقطت .<sup>(٦)</sup>

وإن قطع القراءة في غير الصلاة قطع ترك وإهمال استحب له أن يعيد التعوذ إذا رجع إليها ، وإن قطعها لعذر عازماً على إتمامها إذا زال العذر ؛ كتناول شيء أو إعطائه، أو إجابة سائل ، أو عطاس أو نحوه ؛ كفاه التعوذ الأول ؛ لأنها قراءة واحدة .<sup>(٧)</sup>

المسألة الثامنة : حكم تكرار الاستعادة في الصلاة .  
اختلف العلماء في الاستعادة ، هل تكون في كل ركعة ، أو في الركعة الأولى فقط . فقيل : يكتفى باستعادة واحدة ، في الركعة الأولى . وبه قال

(١) انظر : تفسير الألوسي ٢٢٩/١٤ .  
(٢) أخرج البخاري ٢٦٣/١ ح ٧٢٤ ، ومسلم ١٠/٢ ح ٩١١ عن أبي هريرة ؓ : " أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلي فسلم على النبي ﷺ فرد وقال : أرجع فصل فإنك لم تصل . فرجع يصلي كما صلي ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : أرجع فصل فإنك لم تصل . ثلاثاً فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني ؟ فقال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن ركعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وأفعل ذلك في صلاتك كلها " .  
(٣) انظر : الأم ١٠٧/١ ، المجموع ٢٧٢/٣ .  
(٤) في تفسيره ٢٩٣/١٧ .  
(٥) في المبسوط ١٣/١ .  
(٦) انظر : كشف القناع ٤٣٠/١ .  
(٧) انظر : المجموع ٢٧١/٣ ، كشف القناع ٤٣٠/١ .

أبو حنيفة<sup>(١)</sup>، والشافعي في أحد الوجهين عنه<sup>(٢)</sup>، وأحمد في رواية<sup>(٣)</sup>. وهو قول عطاء والحسن والنخعي والثوري<sup>(٤)</sup>. فإن تركها في الركعة الأولى؛ استحب له أن يستعيز في الركعة الثانية، سواء أكان تركه لها سهواً أم عمداً؛ لأنها مشروعة عند القراءة، والركعة الثانية وما بعدها فيها قراءة. وهذا بخلاف الاستفتاح، فلو تركه في الركعة الأولى لم يأت به بعدها؛ لأنه مشروع في أول الصلاة، فيسقط بفوات محله<sup>(٥)</sup>. وذهب ابن قدامة إلى أنه إن نسي التعوذ حتى شرع في القراءة لم يعد إليه؛ لأنه سنة فات محلها<sup>(٦)</sup>.

واحتج القائلون بهذا القول بأدلة، أولها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة ب ( الحمد لله رب العالمين) ولم يسكت" <sup>(٧)</sup>.

والثاني: أن الصلاة جملة واحدة فإذا أتى بالاستعاذة في أولها كفى<sup>(٨)</sup>. والثالث: أن الأصل هو عدم، وما لأجله أمرنا بذكر الاستعاذة هو قوله صلى الله عليه وسلم:

﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (النحل: ٩٨) وكلمة إذا لا تفيد العموم<sup>(٩)</sup>. قال ابن القيم رحمه الله: (والاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر للحديث الصحيح - وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه - ثم قال: وإنما يكفي استعاذة واحدة لأنه لم يتخلل القراءتين سكوت بل تخللها ذكر فهي كالقراءة الواحدة إذا تخللها حمد الله أو تسبيح أو تهليل أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك) <sup>(١٠)</sup>.

والقول الثاني في هذه المسألة هو استحباب التعوذ في كل ركعة. وبه قال ابن سيرين والنخعي<sup>(١١)</sup>، وهو الوجه الثاني في مذهب الشافعي،

- (١) انظر: بدائع الصنائع ٢٠٢/١، ٢٠٣.
- (٢) انظر: الأم ٦٠٧/١، المجموع ٢٧١/٣، روضة الطالبين ٢٤١/١، تفسير الرازي ٥٣/١، تفسير ابن كثير ١١٣/١.
- (٣) انظر: الكافي ١٤٠/١.
- (٤) انظر: المجموع ٢٧٢/٣.
- (٥) انظر: المجموع ٢٧٠/٣، كشف القناع ٣٥٦/١.
- (٦) المغني ٢٨٣/١.
- (٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٩٩/٢ ح ١٣٨٤.
- (٨) انظر: الكافي ١٤٠/١.
- (٩) انظر: تفسير الرازي ٥٣/١.
- (١٠) زاد المعاد ٢٣٢/١.
- (١١) انظر: المجموع ٢٧٢/٣، تفسير القرطبي ٦٢/١.

وصححه النووي ، فقال : ( الأصح في مذهبنا استحبابه في كل ركعة ) (١)  
 (١) ، وهو رواية عن الإمام أحمد (٢) واحتجوا لذلك بأمرين :  
 أولهما : أن قراءة كل ركعة مستقلة برأسها ، فتشروع الاستعاذة قبلها .  
 والآخر : أن قوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ فيه ترتيب للحكم  
 على الوصف المناسب ، وهذا يدل على العلية ؛ فيلزم أن يتكرر الحكم بتكرر  
 العلة . (٣)

المسألة التاسعة : هل الاستعاذة للصلاة أو للقراءة ؟  
 اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين ، أولهما أن الاستعاذة في  
 الصلاة إنما هي للصلاة نفسها ، وهو قول أبي يوسف من الحنفية (٤) وعلى  
 وعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ، ويتعوذ في العيد بعد تكبيرة  
 الإحرام وقبل تكبيرات العيد . (٥) والقول الآخر ، وهو الذي عليه الجمهور  
 الجمهور أن الاستعاذة في الصلاة للقراءة . (٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية  
 رحمه الله : ( والصواب أن الاستعاذة لا تشروع إلا لمن قرأ ، فإن اتسع  
 الزمان للقراءة استعاذ وقرأ وإلا أنصت ) . (٧)

المسألة العاشرة : حكم الاستعاذة من حيث الجهر والإخفاء .  
 الذي عليه الجمهور هو الجهر بالاستعاذة في غير الصلاة ، في أول  
 السورة وفي أثنائها . (٨) وقد حكي الإجماع على ذلك ، فقال أبو عمر  
 الداني : ( ولا أعلم خلافاً بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القرآن  
 وعند الابتداء برؤوس الأجزاء وغيرها ) . (٩) وقال النووي : ( ويجهر  
 القارئ خارج الصلاة باتفاق القراء ) . (١٠)

قالوا : وفائدة ذلك إظهار شعار القراءة ، كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد  
 ، ولأنه يفرض إلى إنصات السامع للقراءة من أولها فلا يفوته شيء منها ،  
 وهذا بخلاف ما لو أخفيت . ثم إن في الجهر بها إغاظة للشيطان ، ودفعاً

- (١) انظر : المجموع ٢٧٢/٣ .  
 (٢) انظر : زاد المعاد ٢٣٢/١ .  
 (٣) انظر : تفسير الرازي ٥٣/١ .  
 (٤) انظر : بدائع الصنائع ٢٠٣/١ .  
 (٥) انظر : تفسير الرازي ٥٤/١ ، تفسير ابن كثير ١١٤/١ .  
 (٦) انظر : تفسير الرازي ٥٤/١ ، تفسير ابن كثير ١١٤/١ .  
 (٧) مجموع الفتاوى ٢٨٢/٢٣ .  
 (٨) انظر : التيسير ١٤/١ ، إبراز المعاني ٩٠/١ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٠/١ ،  
 إتحاف فضلاء البشر ٣٢/١ .  
 (٩) التيسير ١٤/١ .  
 (١٠) المجموع ٢٧١/٣ .

لوساوسه ، وتعليماً للجاهل . وقد قر في النفوس أنها ليست من القرآن ، فلا محذور في الجهر بها .<sup>(١)</sup> ويستثنى من هذا الحكم من يقرأ سراً ، أو وسط جماعة يتدارسون القرآن ولم يكن هو المبتدئ بالقراءة ؛ فإنه حينئذ يخفي الاستعاذة .<sup>(٢)</sup>

وروي عن نافع أنه كان يخفي الاستعاذة في جميع القرآن ، وروي عن حمزة ثلاثة أوجه : الإخفاء مطلقاً ، والتخيير بين الجهر والإخفاء ، والجهر أول الفاتحة فقط ، ثم الإخفاء بعد ذلك في سائر القرآن .<sup>(٣)</sup> قالوا : وإنما أخفيت الاستعاذة لئلا يظن ظان أو يتوهم متوهم أنها من القرآن ، أو أنها فرض لازم .<sup>(٤)</sup>

والصحيح ما عليه الجمهور ، بل أنكر الحفاظ المحققون ما عداه ، وضعفوا المروي فيه عن القراء . قال الشاطبي رحمه الله :

وإخفاؤه فصلُّ أباهُ وعائنا وكم من قئى كالمهْدوي فيهِ أعملاً<sup>(٥)</sup>

وأما في الصلاة فالذي عليه الجمهور عدم الجهر بالاستعاذة . وبهذا قال أبو حنيفة<sup>(٦)</sup> ، وأحمد بن حنبل<sup>(٧)</sup> ، وهو الراجح من مذهب الشافعي<sup>(٨)</sup> ، وقول مالك في قيام رمضان .<sup>(٩)</sup>

وقال بعض أهل العلم : يجهر بالاستعاذة في الصلاة . وهذا منسوب لأبي هريرة رضي الله عنه .<sup>(١٠)</sup> وهو وجه في مذهب الشافعي .<sup>(١١)</sup>

وقال ابن أبي ليلى : ( الإسرار والجهر سواء ، وهما حسنان ) .<sup>(١٢)</sup> وهذا وهذا وجه ثالث في مذهب الشافعي .<sup>(٢)</sup>

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١١/١ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٠/١

(٢) أنظر : الوافي في شرح الشاطبية : ٤٤  
(٣) انظر : التيسير ١٤/١ ، إتحاف فضلاء البشر ٣٢/١ ، الوافي في شرح الشاطبية : ٤٤

(٤) أنظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١١/١ .  
(٥) أنظر : الوافي في شرح الشاطبية : ٤٣ . والمعنى : أن إخفاء التعوذ حكم رده الوعاة وهم العلماء الحفاظ الأتباع ، ولم يأخذوا به ، بل أخذوا بالجهر به في جميع القرآن ، ولكل القراء . والمهدوي هو أبو العباس أحمد بن عمار المقرئ المفسر المتوفى سنة ٤٣٠ هـ فإنه أعمل فكرة في تصحيح الإخفاء وتقديره والقراءة والإقراء به .

(٦) انظر : المبسوط ١٣/١ .  
(٧) انظر : كشف القناع ٣٣٥/١ .  
(٨) انظر : المجموع ٢٧٢/٣ .  
(٩) انظر : النشر في القراءات العشر ٢٩٠/١ .  
(١٠) انظر : الأم ١٠٧/١ ، المجموع ٢٧٢/٣ .  
(١١) انظر : روضة الطالبين ٢٤١/١ .

والصحيح ما عليه الجمهور من عدم الجهر بها ، إلا لمصلحة ظاهرة ،  
كتعليم جاهل أو نحو ذلك . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إمام  
يجهر بالاستعاذة : ( إذا فعل ذلك أحياناً للتعليم ونحوه فلا بأس بذلك ، كما  
كان عمر بن الخطاب يجهر بدعاء الاستفتاح مدة ، وكما كان ابن عمر  
وأبو هريرة يجهران بالاستعاذة أحياناً . وأما المداومة على الجهر بذلك  
فبدعة مخالفة لسنة رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين ؛ فإنهم لم يكونوا  
يجهرون بذلك دائماً ، بل لم ينقل أحد عن النبي ﷺ أنه جهر بالاستعاذة .  
والله أعلم ) . (٣)

---

(١) انظر : المجموع ٢٧٢/٣  
(٢) انظر : روضة الطالبين ٢٤١/١ ، النشر في القراءات العشر ٢٩٠/١ ، تفسير ابن كثير  
١١٣/١  
(٣) مجموع الفتاوى ٤٠٥/٢٢ .

المسألة الحادية عشرة : هل يستعيز المأموم في الجهرية ؟  
هذه المسألة اختلف فيها العلماء على أقوال ثلاثة ، هي ثلاث روايات عن الإمام أحمد .<sup>(١)</sup> فقيل : يستعيز مطلقاً ، وقيل : لا يستعيز مطلقاً ، وقيل إن سمع الإمام لم يستعذ ، وإن لم يسمعه استعاذ . وقد صحح شيخ الإسلام ابن تيمية القول بعدم الاستعادة ؛ لكونه يشغل عن الاستماع والإنصات المأمور به ، فليس له أن يشتغل عما أمر به بشيء من الأشياء .<sup>(٢)</sup>

والخلاف في هذه المسألة ينبني على الخلاف في حكم قراءة المأموم خلف الإمام في الجهرية ، فمن رأى وجوب قراءة الفاتحة عليه استحباب له التعود قبلها ، ومن لم ير ذلك كره له التعود .

المسألة الثانية عشرة : مواضع الاستعادة .

تشرع الاستعادة في مواضع كثيرة ، منها :

١- عند قراءة القرآن ، سواء أكان ذلك في الصلاة أم خارجها ؛ لقوله

تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل : ٩٨) .

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . ثم يقول : لا إله إلا الله ثلاثاً . ثم يقول : الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ثم يقرأ " .<sup>(٣)</sup>

٢- عندما يلبس الشيطان على المسلم صلاته ، ويحول بينه وبينها ؛ لحديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي . فقال رسول الله ﷺ : " ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واثقل على يسارك ثلاثاً " . قال : ففعلت ذلك فأذهب الله عني .<sup>(٤)</sup>

٣- عند نزع الشيطان ووسوسته ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف : ٢٠٠) .

وقوله ﷺ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ

(١) انظر : الإنصاف ٢/٢٣٣ ، المحرر ١/٦٠ ، مجموع الفتاوى ٢٣/٢٨٠ .  
(٢) في مجموع الفتاوى ٢٣/٢٨٠ . وانظر في هذا الخلاف : المحلى ٣/٢٥٠ ، بدائع الصنائع ١/٢٠٢ ، ٢٠٣ ، المجموع ٣/٢٧٠ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

- رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿ (المؤمنون: ٩٧، ٩٨) . وهذا الموضوع عام يشمل جميع شرور الشيطان .
- ٤- عند حصول الوسوس في دين المسلم ومعتقده ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته " (١) .
- ٥- عند دخول المسجد ؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم " (٢) .
- ٦- مع أذكار الصباح والمساء ، وقبل النوم ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : " قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه . قال : قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعتك " (٣) .
- ٧- عند الغضب ؛ لحديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال : استبَّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتدري ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفاً؟ قال : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . فقال له الرجل : أمجنوناً تراني؟! (٤)
- ٨- عند سماع نهيق الحمير ونباح الكلاب ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً " . (٥)

(١) أخرجه البخاري ١١٩٤/٣ ح ٣١٠٢ ، ومسلم ٨٤/١ ح ٣٦٢ .  
(٢) أخرجه أبو داود ١٨٠/١ ح ٤٦٢ . وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ٦٥/١ ح ٧٤٩ .  
(٣) أخرجه ابن حبان ٢٤٢/٣ ح ٩٦٢ ، وأبو داود ٧٣٧/٢ ح ٥٠٦٧ ، والترمذي ٤٦٧/٥ ح ٣٣٩٢ وصححه الألباني ، والنسائي في الكبرى ١٩٨/٦ ح ١٠٦٣١ ، والدارمي ٣٧٨/٢ ح ٢٦٨٩ وصححه حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي ، وأحمد ٢٢٧/١ ح ٦٣ وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند ، والبخاري في الأدب المفرد ٤١٢/١ ح ١٢٠٢ ، وعبد الرزاق في مصنفه ٣٥/١١ ح ١٩٨٢٢ .  
(٤) سبق تخريجه .  
(٥) أخرجه البخاري ١٢٠٢/٣ ح ٣١٢٧ ، ومسلم ٨٥/٨ ح ٧٠٩٦ .



وحديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعودوا بالله من الشيطان فإنهن يرين ما لا ترون " (١)

٩- عندما يرى المسلم رؤيا يكرهها ؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره " (٢)

١٠- عند الفرع ؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفرع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " (٣)

١١- إذا نزل منزلاً ؛ لحديث خولة بنت حكيم السلمية قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك " (٤)

١٢- إذا دخل الخلاء ؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " (٥)

١٣- عند رقية المسلم نفسه إذا اشتكى ألماً ؛ لحديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم . فقال له رسول الله ﷺ : " ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ، ثلاثاً . وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " (٦)

(١) أخرجه أبو داود ٧٤٨/٢ ح ٥١٠٣ ، وأحمد ١٨٧/٢٢ ح ١٤٢٨٣ وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ٤٢٣/١ ح ١٢٣٤ ، والحاكم ٣١٦/٤ ح ٧٧٦٢ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ١٠١/٦ ح ٢٩٨٠٦ . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٦٢٠

(٢) أخرجه البخاري ١١٩٨/٣ ح ٣١١٨ ، ومسلم ٥١/٧ ح ٦٠٣٧ .  
(٣) أخرجه أبو داود ٤٠٥/٢ ح ٣٨٩٣ ، والترمذي ٥٤٢/٥ ح ٣٥٢٨ ، والنسائي في الكبرى ١٩٠/٦ ح ١٠٦٠١ ، وأحمد ٢٩٥/١١ ح ٦٦٩٦ وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند : يحتمل التحسين بشواهد ، وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ٤٤/٥ ح ٢٣٥٤٧ . وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٧٠٣

(٤) أخرجه مسلم ٧٦/٨ ح ٧٠٥٣ ، وابن خزيمة ١٥٠/٤ ح ٢٥٦٦ ، والترمذي ٤٩٦/٥ ح ٣٤٣٧ ، والنسائي في الكبرى ١٤٤/٦ ح ١٠٣٩٤ ، وأحمد ٨٧/٤٥ ح ٢٧١٢٠ ، والطبراني في الكبير ٢٣٧/٢٤ ح ٢٠٦٢٤

(٥) أخرجه البخاري ٦٦/١ ح ١٤٢ ، ومسلم ١٩٥/١ ح ٨٥٧ .  
(٦) أخرجه مسلم ٢٠/٧ ح ٥٨٦٧ ، وابن حبان ٣٣٠/٧ ح ٢٩٦٤ ، والنسائي في الكبرى ٢٤٨/٦ ح ١٠٨٣٩ ، وابن ماجه ١١٦٣/٢ ح ٣٥٢٢ ، والطبراني في الكبير ٤٥/٩ ح ٨٣٥٩

١٤- عند النوم ؛ لما أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> قال : حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : " اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت أخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر " . وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

وفي الجملة فإنه ينبغي للمسلم أن يستعيز بالله تعالى من جميع الشرور ، وأن يلجأ إليه مستجيراً به من كل ما أهمه ، في كل حين ، وفي كل مكان . قال ابن القيم رحمه الله عن الموعودتين : ( إن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس )<sup>(٢)</sup> .

(١) في صحيحه ٧٨/٨ ح ٧٠٦٤ .  
(٢) بدائع الفوائد ٤٢٦/٢ .

## الخاتمة

- الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فقد تبين لي من خلال هذا البحث المختصر في موضوع الاستعاذة ما يلي :
- ١- فضل الاستعاذة ، وشدة حاجة المسلم إليها في أموره كلها .
  - ٢- للاستعاذة صيغ كثيرة ، منها ما هو ثابت بالنص ، ومنها ما هو مبني على الاجتهاد والنظر ، مما يدل على أن الأمر فيها واسع ، وأنه لا يلزم التقيد بصيغة معينة .
  - ٣- للاستعاذة أركان ثلاثة : مستعيز ، ومستعاذ به ، ومستعاذ منه .
  - ٤- أجمع أهل العلم على أن الاستعاذة ليست من القرآن ، وأن الذي في القرآن هو الأمر بها .
  - ٥- تكون الاستعاذة قبل القراءة ، سواء أكان ذلك في الصلاة أم خارجها ، على الصحيح من أقوال أهل العلم ، بل حكي إجماعاً .
  - ٦- جمهور العلماء على استحباب الاستعاذة قبل القراءة ، وأن ذلك ليس فرضاً .
  - ٧- يكفي في الصلاة استعاذة واحدة ، لأن القراءة فيها بمنزلة القراءة الواحدة . وقيل : لكل ركعة قراءة مستقلة ؛ فيستعاذ في كل ركعة .
  - ٨- يجهر بالاستعاذة قبل القراءة في غير الصلاة على الصحيح من أقوال أهل العلم ، وحكي إجماعاً . أما في الصلاة فالصحيح عدم الجهر بها إلا لحاجة .
  - ٩- تشرع الاستعاذة في مواضع كثيرة ؛ كقراءة القرآن ، وعند وسوسة الشيطان في الصلاة وخارجها ، وعند دخول المسجد ، ومع أذكار الصباح والمساء ، وعند الغضب ، وحال الفزع ... وغير ذلك .

### قائمة المصادر

- ١- إبراز المعاني من حرز الأمانى ، وهو شرح الشاطبية ، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي .
- ٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي ، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .
- ٣- أحكام القرآن لابن العربي محمد بن عبد الله الأندلسي ، دار الكتب العلمية
- ٤- الأدب المفرد ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ .
- ٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ .
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .
- ٧- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٩٩٢ م .
- ٨- اقتضاء الصراط المستقيم ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩ هـ .
- ٩- الأم ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ .
- ١٠- الإنصاف ، أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١١- بدائع الصنائع ، علاء الدين الكاساني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .
- ١٢- بدائع الفوائد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، تحقيق : هشام عطا وآخرين ، مكتبة الباز ، مكة .
- ١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ .
- ١٤- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٥- تفسير الألوسي ، وهو روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود بن شكري الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٦- تفسير البغوي ، وهو معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد النمر وآخرين ، دار طيبة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧ هـ .

- ١٧- تفسير الرازي ، وهو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ
- ١٨- تفسير الطبري ، وهو جامع البيان في تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد شاکر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .
- ١٩- تفسير القرطبي ، وهو الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- ٢٠- تفسير ابن كثير ، وهو تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق : سامي السلامة ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ .
- ٢١- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
- ٢٢- درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد سالم، دار الكنوز الأدبية ، الرياض ، ١٣٩١هـ
- ٢٣- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد عاشور ، الجزائر ، ١٩٧٦م .
- ٢٤- روضة الطالبين ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .
- ٢٥- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
- ٢٦- زاد المعاد في هدي خير العباد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٢٧- سنن البيهقي الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد عطا ، دار الباز ، مكة ، ١٤١٤هـ .
- ٢٨- سنن الترمذي ، وهي الجامع الصحيح ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد شاکر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٢٩- سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق : فواز زمرلي وخالد العلمي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- ٣٠- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، بيروت .
- ٣١- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .
- ٣٢- سنن النسائي ، وهي المجتبي من السنن ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

- ٣٣- سنن النسائي الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د . عبد الغفار البنداري وسيد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
- ٣٤- شرح النووي لصحيح مسلم ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .
- ٣٥- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
- ٣٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .
- ٣٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ .
- ٣٨- صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .
- ٣٩- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الجيل ، بيروت .
- ٤٠- الفروع ، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق : أبو الزهراء القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .
- ٤١- الكافي ، أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٤٢- كشف القناع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، تحقيق : هلال مصيلحي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .
- ٤٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
- ٤٤- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- ٤٥- المبسوط ، شمس الدين السرخسي ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٤٦- المجموع ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- ٤٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي ، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .
- ٤٨- المحرر في الفقه ، مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
- ٤٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي الأندلسي ، المجلس العلمي بفاس .
- ٥٠- المحلى ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي ، تحقيق : أحمد شاکر ، دار الفكر .

- ٥١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد ألفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ .
- ٥٢- المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .
- ٥٣- مسند الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ .
- ٥٤- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ .
- ٥٥- مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
- ٥٦- مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
- ٥٧- المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .
- ٥٨- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ .
- ٥٩- المغني ، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
- ٦٠- مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق .
- ٦١- المهذب ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، دار الفكر ، بيروت .
- ٦٢- النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن الجزري ، دار الفكر .
- ٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- ٦٤- الوافي في شرح الشاطبية ، عبد الفتاح القاضي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١ هـ .

## المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور آل حم

د. هدى بنت دليجان الدليجان

- \* عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل .
- \* مستشار غير متفرغ بوزارة التعليم العالي .
- \* مديرة مكتب الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بالأحساء .
- \* حصلت على درجة الماجستير من كلية الآداب للبنات بالدمام .
- \* حصلت على درجة الدكتوراة من كلية الآداب للبنات بالدمام .





## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . أما بعد :

فقد أنزل الله القرآن الكريم هادياً ودليلاً إلى الصراط المستقيم، و فرقانا بين الحق والباطل، فتحدى به الأولين والآخرين من الإنس والجن أجمعين، وجعل هذا الكتاب الكريم معجزاً في علومه وبيانه، فكان من وجوه الإعجاز العظيمة ارتباط سورته وآياته بعضها ببعض بروابط عظيمة في اللفظ والمعنى.

من أجل هذا اعتنى بعض المهتمين بعلوم القرآن الكريم من العلماء السابقين والمعاصرين بعلم مناسبة القرآن الكريم، وكان من فوائد هذا العلم الجليل؛ التأكيد على براعة الاستهلال في سور القرآن الكريم في تنوع أساليب فواتح السور الكريمة وتعدد موضوعاتها، وكذلك التأكيد على مناسبة فاتحة السورة لخاتمة السورة نفسها، وقد تناولها بعض المفسرين بالإشارة والتلميح لمناسبة فواتح سور القرآن الكريم لخواتمها، كأحد أساليب البيان العظيم لما في القرآن الكريم من علوم باهرة ومناسبات ظاهرة.

وقد اتفقت سور آل حم في براعة الاستهلال بالحديث عن القرآن الكريم والابتداء بالحرفين (حم)، وأكدت في مضامينها على موضوعات متشابهة، من أجل هذا ارتبطت هذه السور كلها برباط واحد وثيق، فهي كالأسرة الواحدة التي توالى فيها الأجزاء والمقاطع لتخدم غرضاً عظيماً هو بيان إعجاز القرآن الكريم.

من أجل هذا اخترت موضوع (( المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور آل حم )) للبحث في أسرارها والتدبر في مناسبة الفاتحة للخاتمة في كل سورة من سور آل حم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- إن علم المناسبات القرآنية علم عظيم معجز لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسرارها، وهو أحد أنواع علوم القرآن الكريم المهمة التي تتعلق ببيان معانيه وتفسير آياته وسوره.
- إن فواتح السور ترتبط بخواتمها في كل سورة بمعان عظيمة ومناسبة دقيقة، وفي هذا دلالة على حسن تناسق القرآن الكريم وكمال ترتيب سورته وآياته، فأحببت لفت الأنظار إليه والاهتمام به، كما اهتم به العلماء السابقون من المفسرين وغيرهم، فقد رأيت مبعوثاً في تفاسيرهم، فأردت جمعه والكتابة فيه.

- إن سور آل حم وحدة مترابطة وأسرة متناسقة، فأردت أن أتدبر هذه السور الكريمة لأبين روعة الإعجاز الإلهي الذي تضمنته كل فاتحة سورة من سور آل حم وارتباطها بخاتمتها المجيدة.
- إن هذا البحث لم يسبق الكتابة فيه بالرجوع إلى كثير من العناوين والموضوعات التي كتبت في التفسير -حسب علمي وإطلاعي-.
- وبسؤال أهل العلم والمختصين فأشاروا علي في الكتابة فيه، فاستعنت بالله الكريم في وضع خطة البحث بحيث تنقسم إلى ما يلي:

خطة البحث:

- المقدمة، وتتضمن:
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- التمهيد: ويتضمن:
- دراسة سور آل حم، وفيه:
- أ-تسميتها.
- ب-خصائصها.
- المبحث الأول: دراسة المقصود من فواتح السور، وخواتم السور، والمناسبة بينهما، والفائدة منها، ويتضمن ما يلي:
- أولاً- اهتمام العلماء بالكتابة في فواتح وخواتم السور.
- ثانياً- المقصود بفواتح السور .
- ثالثاً- المقصود بخواتم السور .
- رابعاً- المقصود من المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.
- خامساً: الفائدة من البحث في المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها..

المبحث الثاني : دراسة المناسبة بين فواتح سور آل حم وخواتمها في كل سورة منها .

- أولاً- المناسبة بين فاتحة سورة غافر وخاتمتها.
  - ثانياً- المناسبة بين فاتحة سورة فصلت وخاتمتها.
  - ثالثاً- المناسبة بين فاتحة سورة الشورى وخاتمتها.
  - رابعاً- المناسبة بين فاتحة سورة الزخرف وخاتمتها.
  - خامساً- المناسبة بين فاتحة سورة الدخان وخاتمتها.
  - سادساً- المناسبة بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمتها .
  - سابعاً- المناسبة بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمتها.
- خاتمة البحث : وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .  
وأسأل الله العظيم أن يوفقني في هذا البحث لتدبر آيات من القرآن الكريم ،  
والكتابة فيه على الوجه الذي يرضيه عني ، ويجعل لي من أمري رشداً .

## التمهيد دراسة سور آل حم

سور آل حم هي سبع سور ابتدأت ب (حم) وهي: (غافر- فصلت- الشورى- الزخرف- الدخان- الجاثية- الأحقاف) وهي مرتبة في المصحف، كترتيبها في النزول باتفاق العلماء<sup>(١)</sup>.

قال السيوطي: "ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها، وفي العجائب للكرماني: إنما سميت السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، وهي إن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تفاوت المقادير في الطول والقصر، وتشاكل الكلام في النظام"<sup>(٢)</sup>.

تسميتها:

تسمى هذه السور بآل حم والحواميم، قال الأزهرى: "وقد قال بعضهم في قول الله: حم معناه: قضي ما هو كائن، وقال آخرون: هي من الحروف المعجمة، وعليه العمل"<sup>(٣)</sup>.

و اختلف العلماء في تسميتها بآل حم أو الحواميم على قولين:

-القول الأول: جواز تسميتها بالاسمين ( آل حم) أو ( الحواميم )، ويوجهه الإمام الطاهر بن عاشور جواز تسميتها بالاسمين بقوله: " ويدعى مجموعها

( آل حم)، جعلوا لها اسم (آل) لتأخيتها في فواتحها، فكأنها أسرة واحدة، وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف، وربما جمعت السور المفتحة بكلمة (حم) فقول: الحواميم، جمع تكسير على زنة فعاليل، لأن مفردة مفاعيل وزنا، عرض له من تركيب اسمي الحرفين (حا) (ميم) فصارت كالأوزان العجمية مثل: قابيل وراحيل وما هو بعجمي، لأنه وزن عارض لا يعتد به، وجمع التكسير على فعاليل يطرد في مثله، وقد ثبت أنهم جمعوا (حم) على حواميم في أخبار كثيرة عن ابن مسعود وابن عباس وسمرة بن جندب -رضي الله عنهم- "<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: ابن عطية، الفاضي أبو محمد الأندلسي، المحرر الوجيز، (٤١٨/٧ وما بعدها) وذكر في ذلك: الإجماع على مكية هذه السورة مع بداية كل سورة، وابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، ص ٨٢.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، (٧٤/١).

(٣) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (١٤/٤)، مادة (حم).

(٤) ابن عاشور، الطاهر محمد، التحرير والتنوير، (٧٧-٧٦/٢٤) (بتصرف يسير).

وكذلك رأيت الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه للأحاديث التي جاء في ذكرها سور آل حم، فيذكر الاسمين دون إيراد للخلاف فيهما<sup>(١)</sup>.  
القول الثاني: لا يصح تسميتها ب (الحواميم)، و قد نقل الإمام ابن كثير كراهية تسميتها بالحواميم فقال: " قد كره بعض السلف، منهم محمد بن سيرين أن يقال (الحواميم) ، وإنما يقال: (آل حم)"<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: "الحواميم سور في القرآن على غير قياس وأنشد:  
وبالطواسين التي قد تثلث وبالحواميم التي قد سبعت

قال: والأولى أن تجمع بذوات حاميم"<sup>(٣)</sup>.

الترجيح: أرى -حسب بحثي- أنه يجوز تسميتها بالاسمين بدليل:  
أخرج البخاري في صحيحه قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: ((قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا كهذ الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين من آل حم في كل ركعة))<sup>(٤)</sup>.

وأخرج البخاري في صحيحه قال: حدثنا عبدان عن أبي بن حمزة، عن الأعمش، عن شقيق قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((لقد تعلمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤها اثنتين اثنتين في كل ركعة، فقام عبدالله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم، (حم الدخان، وعم يتساءلون))<sup>(٥)</sup>.

وفي هذه الرواية "شقيق هو ابن سلمة، وهو أبو وائل، مشهور بكنيته أكثر من اسمه"<sup>(٦)</sup>، وفي ورود الاسمين كما في الحديثين عن راو واحد دلالة على جواز جواز تسميتها بالاسمين، ولم يرد النهي عن تسميتها بالحواميم، فلا مانع من ذلك، والله أعلم.  
خصائصها:

عن ابن عباس وجابر بن زيد رضي الله عنهم قال: ((إن الحواميم نزلت عقب الزمر، وإنما نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف: المؤمن

(١) انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢/٢٥٩).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، (٧/١٢٦).

(٣) أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وأدابه، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، (٢/٦٥)، والطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، حاشية (٤/٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، كتاب الأذان، (١٠٦).

(٥) الجمع بين السورتين في ركعة، والقراءة بالخواتم، ح (٧٧٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب (٦) تأليف القرآن، ح (٤٩٩٦).

(غافر)، ثم السجدة (فصلت)، ثم الشورى، ثم الزخرف ، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ولم يتخللها نزول غيرها))<sup>(١)</sup>.  
 قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي x قال: ((آل حم~ ديباج القرآن))<sup>(٢)</sup>، ووقفه الحاكم على ابن مسعود<sup>(٣)</sup>.  
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما (( إن لكل شيء لبابا، وللباب القرآن آل حم~، أو قال الحواميم))<sup>(٤)</sup>.  
 وقال الإمام ابن عطية في وصف موضوعات سور آل حم: "إنها خلت من الأحكام، وقصرت على المواعظ والزجر، وطرق الآخرة محضا، وأيضا فهي قصار لا يلحق القارئ فيها سامة"<sup>(٥)</sup>.  
 فالوحدة الموضوعية لسور آل حم تربط هذه السور معا برباط وثيق، فهي تعنى بأصول العقيدة كسائر السور المكية، لذا جاءت آياتها عميقة في إثبات وحدانية الله، وتنزيل القرآن، والبعث، ووصف ملائكة العرش، ووصف الصراع بين الحق وأهل الباطل<sup>(٦)</sup>.

(١) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣٢٠).  
 (٢) أخرجه أبو عبيد، فضائل القرآن ومعلمه وأدابه، (٢/٦٥)، وقال عنه الإمام الألباني: موضوع عن أنس، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير، ج(٢٧٩٩) (٣/١١٤).  
 (٣) الحاكم، أبو عبدالله النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، (٢/٤٣٧).  
 (٤) أخرجه أبو عبيد، فضائل القرآن، (٢/٦٤).  
 والآثار الواردة في فضائل آل حم لم يرفعها الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي موقوفة، وتوقف في صحتها كثير من العلماء، والله أعلم.  
 (٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٧/٤١٨).  
 (٦) انظر: الزحيلي، (أ.د) وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٤/٦٩).

## المبحث الأول المقصود من فواتح السور، وخواتم السور، والمناسبة بينهما، والفائدة منها.

أولاً: الكتابة في فواتح و خواتم السور:  
يعد الإمام الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ممن تكلم في هذا العلم من علوم القرآن الكريم، بل أفرد للفواتح والخواتم مبحثين في كتابه البرهان في علوم القرآن وهو: "النوع السابع: في أسرار فواتح السور"<sup>(١)</sup>، "والنوع الثامن في خواتم السور ذكر فيه بعض خواتم السور وفائدته، وجعل تحته: فصل: [ في مناسبة فواتح السور وخواتمها]، وفصل [ في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة السورة التي قبلها]"<sup>(٢)</sup>.

يقول أحد الباحثين في علوم القرآن الكريم: "خواتم السور روح التأصيل في البرهان واضحة جداً، ولم يسبق الزركشي أحد في أسلوب عرضه في هذا النوع، ومادته فيها إبداع واستقلالية، وحسن نظر، إذ لم يسم أحدا سوى الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) في الكشف<sup>(٣)</sup>، والكواشي (ت: ٦٨٠هـ) في تفسيره<sup>(٤)</sup>، اللذين نقل عنهما من تفسيريهما، وقد ضم تفسير الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) بعض اللفات التي تتعلق بخواتم السور"<sup>(٥)</sup>.

وقد اعتنى الإمام ابن الزبير الثقفي (ت: ٧٠٨هـ) في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن بالحديث عن المناسبة بين السور والآيات<sup>(٦)</sup>، ولم يفصل في فواتح وخواتم السور بل ذكرها إجمالاً في مناسبة السورة، وتبعه على ذلك الإمام البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) في كتابه نظم الدرر في

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، (١/٦٤ وما بعدها)

قال المحقق: وألف في الفواتح ابن أبي الأصبع كتاباً سماه (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، ونقل عنه السيوطي في الإتقان.

(٢) الزركشي، البرهان، (١/١٨٢ وما بعدها).

(٣) تتبعت تفسير الكشف لسور آل حم، فلم أقف له على ذكر للمناسبات في السور أو الخواتم، والله أعلم.

(٤) الإمام أحمد بن يوسف بن حسن أبو العباس الكواشي، المفسر الشافعي، له كتاب التفسير الكبير والتفسير الصغير، ولد سنة (٥٩٠هـ)، انظر: طبقات المفسرين للداودي، ٩٨/١.

(٥) حيدر، (د) حازم سعيد، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة موازنة)، ص ٥٤٨-٥٤٩ (بتصرف).

(٦) انظر: آل هويمل (د)، إبراهيم بن سليمان، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، بحث منشور مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس والعشرون، المحرم ١٤٢٠هـ، ص ٩٣-١٤٠.

تناسب الآيات والسور، ثم أفرد الإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ) الاهتمام بالفواتح والخواتم في كتابه مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع<sup>(١)</sup>، ونبه على ذلك في كتابه المشهور الإتقان في علوم القرآن.

ثانيا- المقصود من فواتح السور هي :  
من الفاتحة، "وفاتحة الشيء أوله، وفواتح القرآن: أوائل السور، الواحدة: فاتحة، وأم الكتاب يقال لها: فاتحة القرآن"<sup>(٢)</sup>.

وفواتح السور هي : الآية أو الآيات التي تفتتح بها السورة.  
قال الإمام الزركشي: "وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها، وذكرها بالتفصيل وهي: الاستفتاح بالثناء، الاستفتاح بحروف التهجي، الاستفتاح بالنداء، والاستفتاح بالجمل الخبرية، الاستفتاح بالقسم، الاستفتاح بالشرط، الاستفتاح بالأمر، الاستفتاح بالاستفهام، الاستفتاح بالدعاء، والاستفتاح بالتعليل"<sup>(٣)</sup>.

ثالثا- المقصود من خواتم السور:  
الخواتم هي من الفعل ختم، قال ابن سيده: ختم الشيء يختمه، ختما: بلغ آخره، وختم الله له بخير، وخاتم كل شيء: وخاتمته: عاقبته وآخره، واختتمت الشيء: نقيض افتتحه، وخاتمة السورة: آخرها، ولا تجمع خاتما على خواتم إلا اضطرارا، وفي التنزيل العزيز ﴿ خَتَمَهُ مِمْسَكًا ﴾ [المطففين: ٢٦]: أي آخره<sup>(٤)</sup>.

ولم يعرض العلماء من قبل تعريفا لخواتم السور في علوم القرآن، مع أهميته، وذلك لتحديد الضابط الذي يبني عليه الباحث اختياره لهذه الخاتمة<sup>(٥)</sup>.

والذي أراه أنه يمكن تعريف خواتم السور بأنها : المقطع الذي يقع في آخر الآيات من السورة سواء كانت آية واحدة أم مجموعة آيات.

(١) وهو كتاب صغير في عدد صفحاته، عظيم في العلم الذي بحث فيه، وهو مخطوط، اعتنى به وحققه: د. محمد يوسف الشربجي، ونشر في الأحمديّة، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، العدد الرابع، جمادى الأولى/١٤٢٠هـ-أغسطس/١٩٩٩م، ص ٧٣-١١٢.  
وذكر السيوطي -رحمه الله- في هذا الكتاب المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمها، وذكر في ذلك المناسبة في سور آل حم، واختار ما يناسب الافتتاحية من الخواتم بحسب منتصف السورة، وعلق على ذلك المحقق، انظر: ص ٩٧-٩٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتح) (١٧٢/١٠).  
(٣) الزركشي، البرهان، (١٦٤/١-١٨١) (باختصار).  
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختم)، (٢٥/٤).  
(٥) حيدر، علوم القرآن، ص ٦٢٥.



وقد اختلف العلماء في تحديد خواتم السور، فمنهم من قال بالمقطع الذي يتضمن ختام السورة، ومنهم من قال بالآية الأخيرة التي تجمع لباب السورة وتربط أولها بآخرها.

ومن المعلوم أن خواتم السور هي نهاية السورة التي بعدها يبدأ بسورة أخرى ويستفتح بعدها ب بسم الله الرحمن الرحيم كما هو مكتوب ومقروء في المصاحف المتواترة إلا ما كان من سورة الأنفال وافتتاح سورة براءة بدون بسملة.

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (( كان النبي x لا يعلم ختام السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم ))<sup>(١)</sup>.

من أجل هذا لا يمكن تحديد الخواتم بآيات أو آية، والقطع بذلك تأولا ، لعدم وجود نص في ذلك، لكن يجب الوقوف على معاني خواتم السور، سواء كانت آيات متعددة مثل خواتم سورة البقرة، وخواتم سورة آل عمران وغيرهما، أم كانت آية كما في سورة النساء وغيرها. وأكد علماء علوم القرآن الكريم كالزركشي والسيوطي وابن عقيلة وغيرهم في الكلام على فواتح و خواتم السور، وعدوه من أنواع علوم القرآن الكريم، قال الإمام الزركشي في البرهان بعد الحديث عن مناسبة فواتح السور لخواتمها: "وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر في بقية"<sup>(٢)</sup>.

رابعا- المقصود من المناسبة بين الفواتح والخواتم في السورة هي: الرابطة التي تربط بين فاتحة السورة وخاتمتها.

قال الإمام العز بن عبد السلام: " المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام في أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره"<sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الدكتور الهويمل المناسبة في القرآن الكريم أنواعا بقوله: "يمكن أن نقسم المناسبات إلى قسمين:

١- المناسبات في السورة الواحدة. ٢- المناسبات بين السور.

ولكل قسم من هذه الأقسام جزئيات تدرج تحته:

فالقسم الأول يندرج فيه:

أ - المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

ب - المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة.

ت - المناسبة بين الآيات.

ث - المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها"<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، (٣٥٥/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) الزركشي، البرهان، (١٨٥/١).

(٣) المرجع السابق، والسيوطي، الإتقان (٣٢٠/٣).

(٤) الهويمل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص ١٠٩.

قال الإمام السيوطي في الإتيان: "المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين وضده، ونحوه، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"<sup>(١)</sup>.

والمتتبع لكتاب الإمام السيوطي مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع يلحظ عدم تخصيص المناسبة بين الفواتح والخواتم بضابط أو معيار معين، بل الأمر عنده نسبي، وإنما كان يبحث في المناسبة بين اللفظ الذي يأتي في الافتتاحية وما يشاكله من اللفظ المقارب له في الخاتمة ولو كانت في منتصف السورة<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر علماء علوم القرآن الكريم كالزركشي والسيوطي -تحديدا- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، إلا أنهم اقتصرنا على بعض السور، ولم يستوعبه كله، وهذا يدل دلالة على أصل هذا العلم والحاجة إلى التوسع في مباحثه، وهذا الذي عليه الاختيار في هذا البحث في دراسة المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

خامسا: الفائدة من البحث في المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها. قدمت -سابقا- أن علم المناسبات في القرآن الكريم علم عظيم، "فمن علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وحيث إن علم المناسبات يربط أجزاء القرآن الكريم ببعضه ببعض، ومرجعه إلى الفهم والتدبر لقلة النصوص والآثار فيه، وخوفا من الوقوع في التأويل مما أعرض عنه بعض المفسرين تنزها من الوقوع في التفسير بالرأي المذموم، ويؤكد ذلك بعض الباحثين بقوله: "وقلة اعتناء المفسرين بهذا العلم إنما يعود أساسا لدقته، ولما يستجره من التكلف، فيما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآي أو السور"<sup>(٤)</sup>.

وقد بنى القرآن الكريم كل سورة من سورته على معنى عظيم وجعل خاتمة السورة مرتبطة بفاتحتها، وتحديد المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها علم جليل<sup>(٥)</sup>، وذلك لوجود معنى رابط بينهما؛ عام أو خاص،

(١) السيوطي، الإتيان، (٣/٣٢٠).  
(٢) انظر: الشرجي، حاشية تحقيق مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، الأحمدية، ص ٩٠.

(٣) السيوطي، الإتيان، (٣/٣٢٠).  
(٤) الفلاح، (د) سعيد بن جمعة، مقامة البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ص ١١.

(٥) ابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (٦/٣٠٤).

لفظي أو عقلي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم بين الأفكار والموضوعات في الآيات، وذلك بحسب ما يعرف من الروابط في علم المناسبات، وفي ذلك خير كثير لمن تأمله وتدبره في التوصل إلى المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وقد بين الإمام الزركشي العلاقة بين الفواتح والخواتم في السورة بقوله: "هي مثل الفواتح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيدان السامع بانتهاء الكلام، حتى يرتفع معه للنفوس تشوف النفس إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد ووعد إلى غير ذلك" (١).

ويرى الدكتور الهويل أن: "المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها واضح غاية الوضوح، فلا تكاد تجد سورة إلا وبين فاتحتها وخاتمتها مناسبة ظاهرة" (٢).

والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها يجعل أجزاء الكلام في السورة الواحدة بعضها أخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط بين فاتحة السورة وخاتمتها، والوحدة الموضوعية للسورة، ويصير مجموع السورة كالبناء الواحد المحكم المتلائم الأجزاء، وهذا من أسرار القرآن الكريم.

(١) انظر: الزركشي، البرهان، (١/١٨٢)، والسيوطي، الإتيان (٣/٣٢٠).

(٢) الهويل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص ١١٢.

## المبحث الثاني

دراسة المناسبة بين فواتح سور آل حم وخواتمها في كل سورة منها  
(١)

أولاً: المناسبة بين فاتحة سورة غافر وخاتمها  
افتتح الله سورة غافر بأول آية {حم} وذكر بعدها تنزيل الكتاب  
وصفته جل جلاله، قل تعالى ﴿حَمَّ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴿غافر: ١-٢﴾.

فقد جاءت هذه الافتتاحية الكريمة لسورة غافر لما تضمنته هذه  
السورة من الحديث عن المتكبرين والمجادلين، قال الإمام البقاعي: " ذكر  
من أسمائه هذين الاسمين العظيمين ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ تنبيهاً على انفراده  
بموجبهما، وأنه العزيز الحق القاهر للخلق لعلمه تعالى بأوجه الحكمة التي  
خفيت عن الخلق" (٢).

فالاستفتاح بتنزيل الكتاب دلالة قوية على عظمة هذا الكتاب وما فيه من  
الأخبار والأحكام والأوامر والنواهي، قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: " لما  
تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين، وجاحدي الآيات، وأن ذلك ثمرة  
تكذيبهم وجدلهم، وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها  
" (٣).

لأن السورة اشتملت على موضوعين رئيسيين وهما:  
الأول: في بيان دلائل الإلهوية وكمال القدرة والرحمة والحكمة.  
والآخر: في التهديد والوعيد.

(١) لم التزم بما جاء في كتاب الإمام السيوطي، مراد المطالع في تناسب السور  
والمقاطع لاختلاف المنهج الذي اتبعه في تحديد خاتمة السورة بالمقطع الأخير من  
السورة، وقد نبهت على المواضع التي وافقت فيها اختيار الإمام السيوطي، وأسأل الله  
الرشيد والسداد.  
(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات  
والسور، (٤٨٣/٦) (بتصرف).  
(٣) المرجع السابق، (٥٤٩/٦).

فقال تعالى في خاتمة سورة غافر:

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [ غافر ].

فالرابط بين موضوع السورة وخاتمتها البديعة عظيم، وذلك لأن هذه الخاتمة لها متعلق كبير بتهديد الكفار الذين يجادلون في آيات الله، المتكبرين على رسله الكافرين به، فلم يك ينفعهم إيمانهم حين حلول البأس، مع إقرارهم بوحدانية الله وكفرهم بشركائهم من دونه، لكن الأوان قد فات.

(( فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا )) في هذه الآية يذكر الله بأسه الذي يأخذ به المكذبين، قال الإمام الطبري: "فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته" (١).

وهذا هو الختام البديع الذي يناسب جو السورة وطابعها الأصيل في ختم أعمال المتكبرين المجادلين بالخسارة الأكيدة، وهي سنة الله العادلة مع جميع الأمم التي تكبرت وجادلت، لم ينفعهم إيمانهم لما رأوا العذاب، قال

تعالى ﴿ سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾. ويوضح الإمام ابن الزبير في بيان مناسبة قوله تعالى { فلا يغركم تقلبهم في البلاد } وخاتمة السورة بقوله: "وكأنه في معرض إذا كانت العقاب لك ولأتباعك فلا عليك من تقلبهم في البلاد، ثم بين تعالى أن حالهم في هذا كحال الأمم قبلهم، وجدالهم في الآيات كجدالهم، وأن ذلك لما حق عليهم من كلمة العذاب، وسبق لهم في أم الكتاب" (٢).

من أجل هذه المناسبة قال الإمام البقاعي: "وقد التف آخرها بما بين من كمال العزة وتمام القدرة وشمول العلم مما رتب من أسباب الهداية والإضلال والإشقاء والإسعاد والنجاة والإهلاك بأولها أي التقاف، واكتنفت البداية والنهاية بيان ذلك، مع ما اشتمل عليه الوسط أيضا منه أعظم اكتناف" (٣).

ويكفي في الدلالة على عظم منة الله ونعمته على جميع عباده الإتيان في فاتحة السورة بقوله تعالى { ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير }، قال

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (١٠٤/٢٤).  
(٢) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، ص ١٥٨.  
(٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥٤٦/٦).

الإمام القرطبي: " وأصل الطول : الإنعام والفضل، يقال منه: اللهم ظل علينا أي أنعم وتفضل، قال ابن عباس رضي الله عنهما {ذي الطول} ذي النعم، وقال مجاهد: ذي الغنى والسعة، وقال الماوردي: والفرق بين المن والتفضل: أن المن عفو عن ذنب، والتفضل إحسان غير مستحق، والطول مأخوذ من الطول كأنه طال بإنعامه على غيره، وقيل: لأنه طالت مدة إنعامه، {إليه المصير} أي المرجع" (١).

فكأنما أراد الله بهذه الافتتاحية التنبيه على منته وفضله بتلك النعم العظيمة من الهداية والتوبة على من تاب ومغفرة الذنوب، والتذكير بشديد عقابه وأنه إليه المرجع والمصير ، من أجل هذه الفاتحة جاء التذكير بهذه الخاتمة البديعة.

" فالسورة تتحدث عن الإيمان والطغيان، وحال المتكبرين والمتجبرين في الأرض، وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتكليل، ولعله مما يتفق مع هذه السمة افتتاح السورة بقوله (( غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير )) " (٢).

فالله الذي أنزل الكتاب، هو العزيز الذي لا يغلب، العليم الذي لا تخفى عليه خافية، وهو يغفر الذنوب جميعا، ويقبل التوبة عن عباده قبل وقوع العذاب عليهم، وهذا من منته وفضله على عباده، ومع ذلك فهذه سنة الله الخالدة في الأولين والآخرين، فإذا جاء العذاب لم يقبل منهم إيمان ولا توبة، وخسر الكافرون المجادلون المتكبرون أعظم خسارة .  
ثانيا: المناسبة بين فاتحة سورة فصلت وخاتمتها (٣)

﴿ حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ۝ ﴾ [فصلت: ١-٥] .

قررت هذه السورة في استهلالها موقف المشركين المعاندين من القرآن الكريم والنبوة بسبب الجهل الذي يغلف قلوبهم، والوقر الذي يغشى آذانهم، والحجاب الذي ضربوه على أنفسهم عن رؤية الآيات البيّنات، قال تعالى

(١) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٦/١٥) (بتصرف).  
(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٣٠٦٥/٥) (بتصرف).  
(٣) ذكر الإمام السيوطي في مرآصد المطالع قال: فصلت في أولها { فأعرض أكثرهم } [٤]، وفي آخرها { أعرض ونا بجانبه } [٥١].

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ  
مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ  
﴿٥﴾﴾ [فصلت: ٥-٤].

فهذه السورة الكريمة تعالج قضية كبيرة هي قضية الوحي وما يتعلق به من الإيمان بقضايا العقيدة الكبرى كالإلهية والنبوة والكتب السماوية والحياة الآخرة، فقد تضمن الوحي الإخبار بهذه الأمور العظيمة، فمن أنكرها يوصف بأشد الصفات القبيحة في حواسه، وهو من كان قلبه في أكِنَّة، وفي آذانه وقْر، وجعل بينه وبين الحق حجاباً كثيفاً من الضلال والجحود.

قال الإمام ابن الزبير موضحاً حال هذه السورة الكريمة: "وتضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من أقرانها، كما أنها في الفصاحة تبهر العقول بأول وهلة، ولا يمكن للعربي الفصيح في شاهد برهانها أدنى توقف، ولا يجول في وهمه إلى معارضة بعض آياتها أدنى تشوف"<sup>(١)</sup>.

من أجل هذا كانت هذه السورة شاملة لكل ما يراد تفصيله عن قضية الوحي، فهي تفتتح به في تفصيل ﴿حَمَّ ﴿٥﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٩﴾﴾.

قال الإمام الطبري: "فصلت آيات هذا الكتاب قرآناً عربياً لقوم يعلمون اللسان العربي، {بشيراً} لهم يبشرونهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، {ونذيراً} يقول: ومنذراً من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا وخلود الأبد في نار جهنم في أهل الآخرة، {فأعرض أكثرهم} يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم، الذين أنزل هذا القرآن بشيراً لهم ونذيراً، وهم قوم رسول الله ﷺ، {فهم لا يسمعون} يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوا إعراضاً عنه واستكباراً"<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، ص ١٥٩.  
(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٠٦/٢٤).

وختمت هذه السورة الكريمة بقوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سُنْرِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت: ٥٢-٥٤].

فيبتين من هذا التذييل الرائع للسورة الكريمة ارتباط أولها بآخرها، بقوله

{ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم { كأنما الآية في سياق قوله جل جلاله { تنزيل من الرحمن الرحيم }، فارتباط الفاتحة بالخاتمة للوحدة الموضوعية المتناسقة بين أجزاء السورة الكريمة، ثم أوجب الله تعالى التأمل والتفكر في الآيات والأنفس، ليعلموا أن القرآن حق منزل من عند الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

قال الإمام الطاهر بن عاشور في الخاتمة الكريمة: " استئناف ابتدائي متصل بقوله { إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم } إلى قوله { لفي شك منه مريب } فهذا انتقال إلى المجادلة في شأن القرآن رجوع به إلى الغرض الأصلي من هذه السورة، وهو بيان حقيقة القرآن وصدقه، وصدق من جاء به، وهذا استدعاء ليعملوا النظر في دلائل صدق القرآن مثل إعجازه واتساقه، وتأيد بعضه بعضا ، وكونه مؤيدا للكتب قبله، وكون تلك الكتب مؤيدة له" (١).

وهذا الختام يناسب حال المشركين الذين أعرضوا عن الآيات بسبب إدعاءهم ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

"والواقع أن هذه السورة منذ مطلع السورة إلى ختامها أمام مؤثرات تجول بالإنسان في ملكوت السموات و في الأرض، وفي أغوار النفس، وفي عالم القيامة، ويجري سياق السورة بموضوعاتها في شوطين اثنين متماسكي الحلقات:

الشوط الأول: يبدأ بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه.

الشوط الثاني: يتحدث عن آيات الله من الليل والنهار والشمس والقمر والملائكة، ويلي هذا: الحديث عن الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦/٢٥).



وتختم السورة بوعد من الله أن يكشف للناس عن آياته في الأنفس والأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (١).

قال تعالى ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنَ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤].

فهذه الخاتمة فيها لطائف جليلة بالدعوة إلى رؤية علامات وحدانية الله وقدرته من إجراء الأمور وخوارق العادات من المعجزات البيئات والكرامات ما يشهد المرء بأنه الحق.

قال الإمام القرطبي: "وقيل المعنى: سيرون ما أخبرهم به النبي x من الفتن وأخبار الغيوب {حتى يتبين لهم أنه الحق} فيه أربعة أوجه؛ أحدها: أنه القرآن، والثاني: الإسلام جاءهم به الرسول x، ودعاهم إليه، والثالث: أن ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق، والرابع: أن محمد x هو الرسول الحق" (٢).

ولامانع من الجمع بين هذه الأقوال جميعا بالعود إلى الفاتحة الكريمة والاستهلال بالحديث عن القرآن الكريم الكتاب المفصل الذي بلغه الرسول الأمين وما جاء به من الشرائع الكاملة {كتاب فصلت آياته} فكلها حق يجب الإيمان به.

قال الطاهر بن عاشور في خاتمة السورة: "تذييلان للسورة وفذلكتان (٣) افتتحا بحرف التنبيه اهتماما بما تضمنناه، فأما التذييل الأول فهو جماع ما تضمنته السورة من أحوال المشركين المعاندين إذ كانت أحوالهم المذكورة فيها ناشئة عن إنكارهم البعث، فكانوا في مأمن من التفكير فيما بعد هذه الحياة، فانحصرت مساعيهم في تدبير الحياة الدنيا، وانكبوا على ما يعود عليهم بالنفع فيها، وأما التذييل الثاني: فهو جامع لكل ما تضمنته السورة من إبطال لأقوالهم وتقويم لأعوجاجهم، لأن ذلك كله من آثار علم الله تعالى بالغيب والشهادة، وتأكيد الجملتين بحرف التأكيد مع أن المخاطب بهما لا يشك في ذلك لقصد الاهتمام بهما، واستدعاء النظر لاستخراج ما تحويانه من المعاني والجزئيات، وأطلق الشك على جزمهم

(١) قطب، في ظلال القرآن (٣١٠٦/٥) (بتصرف).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٢٥/١٥).

(٣) فذلكتان: كثر استعمال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - لهذه الكلمة في تفسيره، ولم يستعملها غيره من المفسرين - فيما أعلم -، ولم أجد لها أصلا، انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب.

بعدم البعث لأن جزمهم خلي عن الدليل الذي يقتضيه، وبهاتين (الذالكيتين) أذن بانتهاء الكلام فكان من براعة الختام" (١).

فالدعوة الكريمة بالنظر والتدقيق في الآيات المذكورة في الآفاق وفي الأنفس للوصول إلى نتيجة مهمة؛ وهي اجتثاث الشك من النفوس، فتنوجه إلى الإيمان بالله تعالى، الذي أنزل هذا الكتاب مفصلاً، وهذا من أعظم الإعجاز في التفاف المعاني بعضها مع بعض، أما إذا لم يتمكنوا من تلبية هذه الدعوة بالنظر في الأنفس والآفاق، ورؤية قدرة الله عز وجل عليهم، فسيقفون في شكهم وارتياحهم وإعراضهم وكفرهم.

ثالثاً: المناسبة بين فاتحة سورة الشورى وخاتمتها

(٢)

﴿ حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ ﴾ [ سورة الشورى: ١-٤ ].

ابتدأت هذه السورة في أسرة آل حم بالحرفين حم، وخصت هذه السورة بالحروف المقطعة عسق، على افتتاحية الحواميم دون غيرها، ويوجه الطاهر بن عاشور هذا الموضوع بقوله: " وخصت بزيادة {عسق} على أوائل السور من آل حم، ولعل ذلك لحال كانوا عليه من شدة الطعن في القرآن وقت نزول السورة، فكان التحدي لهم بالمعارضة أشد، فزيد في تحديهم من حروف التهجي" (٣).

قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴾ ، فقد ذكر في هذه الافتتاحية الكريمة الإشارة إلى أمر عظيم وهو الوحي، وذكر وجه الشبه بين وحي الله إلى رسوله الأمين نبينا محمد x والرسل السابقين الذين اصطفاهم الله تعالى لرسالته واختصهم بوحيه، ثم ذكر الاسمين الكريمين (العزیز الحكيم) لبيان الغرض من هذه السورة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢/٢٥) (بتصرف).  
 (٢) ذكر السيوطي في مراصد المطالع، الشورى في أولها { كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك } [٣]، وفي آخرها { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا } [٥٢]، وهو الاختيار الذي تبعته فيه.  
 (٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٦/٢٥).

الكريمة وهو: " الإشارة إلى تحدي المعاندين بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن الكريم" (١).

واختتمت السورة بمقطع عظيم قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ [٥١] وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٥٢] صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٤].

{ وَمَا كَانَ } (الواو واو العطف) فكانما عطف على ما سبق من حكاية أقوالهم الباطلة، وهو عود إلى إبطال شبهة المشركين التي أشار الله تعالى إليها في قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ [٥١] والآية صريحة في أن هذه الأنواع الثلاثة أنواع لكلام الله تعالى الذي يخاطب به عباده. قال الدكتور الزحيلي: " وفي هذه الآية توضيح أن الوحي إلى النبي x بالقرآن المشتمل على الشرائع التي تصلح البشر، وتهديهم إلى الحق، هو مثل الوحي إلى الأنبياء السابقين، وهذا الختام للسورة مشابه لما بدئت به لينسجم البدء والختام" (٢).

بل في الخاتمة الكريمة تفصيل لما أجمل في فاتحة السورة من كيفية الوحي إلى الأنبياء السابقين بالتعريف بأنواعه وأقسامه، فذكرت الآية الأنواع الثلاثة للوحي وهي:

(١) المرجع السابق.  
(٢) الزحيلي، التفسير المنير، (١٠٦/٢٥).

الأول- وهو الإلهام والقذف بمعان تلقى في القلب يقظة في الغالب أو في المنام، كرؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام ذبح ولده، وقد يطلق الوحي على الإلهام المجرد، كما أوحى إلى أم موسى.  
الثاني- سماع كلام من وراء حجاب: بأن يسمعه النبي من غير واسطة متيقنا أنه كلام الله من حيث لا يرى، كما كلم موسى عليه السلام ربه، وسماه وحيا.

الثالث: إرسال رسول: وهو إرسال رسول من الملائكة وهو الملك الموكل بالوحي جبريل -عليه السلام-، فيوحي ذلك الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما شاء أن يوحي، كما كان جبريل عليه السلام ينزل على الأنبياء بالوحي<sup>(١)</sup>.

قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن النبي محمد x قد أعطي أنواع الوحي الثلاثة المذكورة في الآية السابقة، "فقد كان أهم غرض في هذه السورة إثبات كون القرآن وحيا من الله إلى محمد x، كما أوحى من قبله للرسول، كان العود إلى ذلك من قبيل رد العجز على الصدر"<sup>(٢)</sup>.

﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ قال الإمام الطبري: "يقول جل ثناؤه لنبيه محمد x، ماكنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان الذين أعطيناكهما، {ولكن جعلناه نورا} يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورا، يعني: ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة {نهدي به من نشاء} نهدي بهذا القرآن، {والهاء} في قوله {به} من ذكر الكتاب، ويعني: نسدد إلى سبيل الصواب"<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

ففي هذه الآيات الكريمة سمي الله القرآن روحا فيه تحيا القلوب والأرواح، وبه تصلح حال الدنيا والآخرة، ثم سماه نورا ليستضيء به من أراد أن يسلك طريق الحق، وهو صراط الله المستقيم، ثم وصف هذا الصراط في خاتمة آياته خاتمة جميلة

(١) انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، (٢٠٠٧/٧).  
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤٠/٢٥).  
(٣) الطبري، جامع البيان، (٥٦/٢٥).

﴿ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ قال الإمام السعدي: "أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ أي: ترجع جميع أمور الخير والشر فيجازي كلا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر" (١).  
فالغرض من إيراد صفة الصراط في خاتمة السورة بأنه صراط الله الذي له ما في السموات والأرض عودة على ما ذكره في فاتحة السورة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿ففيهما إثبات القدرة النافذة والحق الكامل بأن يعبد وحده دون سواه، وإبطال قول من يعبد غير الله، وأن كل من في السموات ومن في الأرض فهو ملك لله، ومن الواجب عليهم اتباع صراطه الذي بينه لهم، ثم قال ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ أي: هو الملك العلي العظيم، الذي يصير إليه الخلائق، وتصدق إليه الأعمال، فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

رابعا: المناسبة بين فاتحة سورة الزخرف وخاتمتها (٢)

افتتحت هذه السورة الكريمة بمجموعة من الآيات العظيمة: قال تعالى ﴿حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيُقُولَنَّهُ لِيُقُولَنَّهُ خَلْقَهُنَّ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٩]، وفي آخرها ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [٨٧]، وفي أولها ﴿صَفْحًا﴾ [٥] وفي آخرها ﴿فَصَفْحًا عَنْهُمْ﴾ [٥] كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿﴾ [الزخرف: ١-٥]

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٠٨.  
(٢) ذكر السيوطي في مراصد المطالع خاتمتين قال: في أولها ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيُقُولَنَّهُ لِيُقُولَنَّهُ خَلْقَهُنَّ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٩]، وفي آخرها ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [٨٧]، وفي أولها ﴿صَفْحًا﴾ [٥] وفي آخرها ﴿فَصَفْحًا عَنْهُمْ﴾ [٥] وقد اخترت الخاتمة الثانية لمناسبتها للمنهج المتبع.

فهذه الافتتاحية الكريمة لسورة الزخرف تتضمن الإشادة والتمجيد للكتاب العزيز والثناء عليه، وعضد ذلك بالقسم به بقوله: { حَمَّ ۝١ }

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ [ الزخرف: ١-٤ ].

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ {

فوصف الله تعالى القرآن العظيم بصفته المعلومة لدى عقلاء القوم، وهو كونه عربياً، ثم وصفه بصفة غير معلومة، وهي من الغيب المستور وهي: { وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم }، وهو وصف عظيم للوح المحفوظ.

قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية: " بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى { وإنه } أي القرآن، { في أم الكتاب } أي اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس ومجاهد، { لدينا } أي عندنا، قاله قتادة وغيره، { لعلي } أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة، { حكيم } أي محكم بريء من اللبس والزيغ، فالملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم" (١). ثم قال تعالى في الآية التي تليها:

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٢﴾ ﴾

قال الإمام ابن الزبير في هذه الآية: " لما أوضح الله عظيم حال الكتاب وجليل نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه، وجميل إحسانه إلى عباده، ورحمتهم بكتابه، مع إسرافهم وقبح مرتكبهم" (٢).

فالآية الكريمة تخبر عن حالة شنيعة يطالب بها هؤلاء القوم المعاندون الجاحدون أي: " أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون، فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون" (٣).

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه في تفسير الآية " { أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين } : مشركين، والله لو أن هذا

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢١٨/٧).

(٢) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، ص ١٦٢.

(٣) الطبري، جامع البيان، (٥٩/٢٥).

القرآن رفع، حيث رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، {فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين} عقوبة الأولين" (١).

ثم قال تعالى في الخاتمة الكريمة: ﴿ وَقِيلَ يَا أُولَئِىٓءَ الْاٰلِىٓ اٰوَّلِيْنَ لَآ يُؤْمِنُوْنَ ۗ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَمٌۭ فَاَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ ﴿٨٨﴾ [الزخرف: ٨٨-٨٩].

فقد تضمنت هذه الخاتمة الكريمة شكاية النبي x من قومه واستغاثته من كفرهم وعتوهم، فناسب أولها آخرها.

وقد جاء في افتتاحية السورة قوله تعالى ﴿ اَفَنْضِرُبْ عَنكُمْ اَلذِّكْرَ

صَفْحًا اَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِيْنَ ﴿٩﴾

لكن الصفح المأمور به في ختام السورة غير الصفح المنكر وقوعه في البداية مع توافقه في اللفظ، ففي قوله تعالى { أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين}، فالصفح هو: "الإعراض بصفح الوجه وهو جانبه، وهو أشد الإعراض عن الكلام، لأنه يجمع ترك استماعه، وترك النظر المتكلم إلى

فالأية استفهام إنكاري أي: أتحسبون أن إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على أن نقطع عنكم تجديد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن، بدعوى قلة الجدوى من تذكيرهم بسبب استمرار إعراضهم، فهذا ليس بسبب في قطع الإرشاد عنهم لأن الله يريد لصالحهم، لذا أنكر عليهم هذا الإعراض" (٢).

{ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَمٌۭ فَاَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ ﴿٨٨﴾ } قال الإمام الشنقيطي:

وهذه الآية الكريمة تضمنت ثلاثة أمور: الأول: أمره x بالصفح عن الكفار، الثاني: أن يقول لهم سلام، و الثالث: تهديد الكفار، بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكفار من عذاب النار، والصفح هو: الإعراض عن المؤاخذه بالذنب، قال بعضهم: هو أبلغ من العفو، أما معنى السلام في الآية فهو: إخبارهم بسلامة الكفار من أذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي: سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا" (٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ٤٣-سورة حم الزخرف، باب(٢){أفنضرب عنكم الذكر صفحا} معلقا، قال ابن حجر: ووصله ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، انظر: العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،(٨/٥٦٩).  
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير(٢٥/٦٣) (بتصرف).  
(٣) الشنقيطي، محمد الأمين الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(٤/٤٩٧).

وقد يتبادر إلى الأذهان في نهاية هذه السورة الأمر بالملاينة والمداراة للكافرين، لكن سياق هذه السورة وما ختمت به تدل على المتاركة وهو الصفح المقرون بالقوة بالإعراض عنهم، " فالفاء فصيحة ، أفصحت عن أمر مقدر، أي إذا قيل لك ذلك القول، وفوضت الأمر إلينا، فسأتولى الانتصاف منهم، فاصفح عنهم، أي أعرض عنهم ولا تحزن لهم، وقل لهم: إن جادلوك: سلام أي سلمنا في المجادلة وتركناها، وأصل سلام مصدر جاء بدلا من فعله، فأصله النصب، وعدل إلى رفعه، لقصد الدلالة على الثبات، وفرع عليه(فسوف تعلمون)تهديدا لهم ووعيدا، وحذف مفعول { تعلمون} للتهويل، لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن" (١).

قال الإمام البقاعي: " فقد رجع آخر السورة على أولها وانعطف مفصلها على موصلها، واتصل من حيث كونه في الوحي الهادي في أول الزخرف على أتم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال الخواتم فيه بالبوادي والروائح بالغوادي" (٢).

وما جاء في الخاتمة البديعة من الأمر بالإعراض والتسليم في الجدل والوعيد ما يؤذن بانتهاء الكلام في هذه السورة وهو من براعة المقطع.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٧٣/٢٥) (بتصرف) .  
(٢) البقاعي، نظم الدرر، (٦٥٧/٦).



خامسا: المناسبة بين فاتحة سورة الدخان وخاتمتها (١)

جاء في افتتاحية سورة الدخان قوله تعالى ﴿حَمَّ ۝ وَالْكَتَبِ ۝  
الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ  
حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۝ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۝ إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾ [الدخان: ١-٦].

وهذه الآيات تشكل إضافة رائعة في تعظيم هذا الكتاب في مجموع سور آل حم، واستهلال رائع في بيان زمان نزول هذا الكتاب المبين بعد القسم به في سورتي الزخرف والدخان، ثم ذكر جل جلاله الليلة التي نزل فيها وهي ليلة القدر وهي ليلة مباركة عظيمة فيها تقدر الأمور، ورجح هذا القول الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية بقوله: "أن المعنى بقوله {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} ليلة القدر، والهاء في قوله {فيها} من ذكر الليلة المباركة، وعنى بقوله {فيها يفرق كل أمر حكيم} في هذه الليلة يقضى ويفصل في كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى" (٢).

"فبركة الليلة التي أنزل فيها القرآن بركة قدرها الله لها قبل نزول القرآن ليكون القرآن بابتداء نزوله فيها ملابسا لوقت مبارك فيزداد بذلك فضلا وشرفا، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها" (٣).

ثم قال تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ  
بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ ۝ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا  
الْعَذَابَ ۝ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنِي لَهُمُ الدِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ  
تَوَلَّوْا عَنهُ وَقَالُوا مَعَلْمٌ مَّجْنُونٌ ۝﴾ [الدخان: ٩-١٤].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ((فإن رسول الله x لما رأى قريشا استعصوا عليه، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم السنة حتى حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام والجلود، وقال

(١) قال السيوطي في مراصد المطالع، الدخان: بدنت بذكر القرآن وختمت به، وأولها {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} [١٠] وأخرها {فارتقب إنهم مرتقبون} [٥٩]، وهو ما كان الحديث عنه في هذه الخاتمة.  
(٢) الطبري، جامع البيان، (١٣٠/٢٥).  
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٧٨/٢٥).

أحدهم: حتى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأناه أبو سفيان، فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: تعودوا بعد هذا، ثم قال {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} إلى {عائدون} يكشف عنهم عذاب الآخرة، فقد مضى الدخان والبطشة واللزام، وقال أحدهم: القمر، وقال الآخر الروم<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه عن مسروق في تفسير سورة الروم قال: ((بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعود رضي الله عنه وكان متكئا، فغضب فجلس، فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم))<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر الحديث السابق.

قال الإمام ابن حجر في شرح الحديث: "وهذا الذي أنكره ابن مسعود [أي: الدخان] قد جاء عن علي رضي الله عنه، فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الحارث بن علي قال: آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفد، ثم قال: ويؤيد كون آية الدخان لم تمض بعد ما أخرجه مسلم من حديث أبي شريحة رفعه: (( لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة))<sup>(٣)</sup> الحديث<sup>(٤)</sup>.

وسواء كان الدخان الذي رآه كفار قريش من الجوع والقحط أم إنه من الآيات المرتقبة قبل قيام الساعة، فقد جرى الوعيد والتهديد للمكذبين بانتظار هذا الدخان، من أجل هذا ختمت هذه السورة الكريمة بقوله تعالى

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الدخان: ٥٣-٥٤].

ويوجه الإمام ابن كثير المناسبة بين فاتحة السورة بذكر الكتاب المبين وهذه الخاتمة بقوله: "أي: إنما يسرناه هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها، {لعلهم يتذكرون} أي: يتفهمون ويعملون، ثم لما كان وقع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وعاند وخالف، قال الله تعالى لرسوله مسلما له وواعدا له بالنصر، ومتوعدا لمن كذب بالعطب والهلاك، {فارتقب} أي: انتظر، {إنهم مرتقبون} أي: فسيعلمون، لمن يكون النصر

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ٤٤-سورة حم الدخان، باب (٥) {ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون}، ح (٤٨٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ٣٠-سورة الروم، ح (٤٧٧٤)، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب الدخان، ح (٢٧٩٨).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري: به، كتاب الفتن، باب (١٣) في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١).

(٤) العسقلاني، فتح الباري، (٥٧٣/٨-٥٧٤) (بتصرف).

والظفر، وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين" (١).

والضمير في {يسرناه} تعود إلى الكتاب المذكور في قوله تعالى {والكتاب المبين}، "والذي كان جل غرض السورة في إثبات إنزاله من الله، كما أشار إليه افتتاحها بالحروف المقطعة، وقوله {والكتاب المبين} فهذا التفريع مرتبط بذلك الافتتاح، وهو من رد العجز على الصدر، فهذا التفريع تفريع لمعنى الحصر الذي في قوله {فإنما يسرناه بلسانك} لبيان الحكمة في إنزال القرآن باللسان العربي المبين، فيكون تفريعا على ما تقدم في السورة، وما تخلله، وتبعه من المواضع" (٢).

وهذه الخاتمة البديعة تضمنت وصفا عظيما لهذا الكتاب المبين متعلقة بالإنسان، فمع بيانه ووضوحه للقارئ، فقد يسره الله بإنزاله بلسان عربي، يقرأه عليهم النبي العربي محمد x، وهو العربي الذي يتكلم اللغة العربية الفصيحة الواضحة التي لا إشكال فيها ولا تعقيد ولا غموض، كما في بداية السورة بوصفه {والكتاب المبين}.

فهذا الختام تضمن المنة على المؤمنين بتيسير هذا الكتاب المبين لأفهامهم وألسنتهم وعقولهم لكي يرتدعوا عن التكذيب به، واتهام رسوله بالجنون، وتيسيره للقراءة والفهم والتدبر والعمل لأنه بلسان عربي فصيح، وتهديد المكذابين المعاندين لحجج هذا الكتاب وبياناته ودلائله بالترصد لهم والترقب {فارتقب إنهم مرتقبون} بانتظار ما يحل بهم من العذاب والنكال، مثل ما حل بهم من العذاب، وهذا هو الجزاء العادل لمن أعرض ونكص عن البيان الميسر، والله أعلم.

سادسا: المناسبة بين فاتحة سورة الجاثية وخاتمتها (٣)

قال تعالى في افتتاحية سورة الجاثية ﴿حَمَّ ﴿١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦٣/٧).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٢١/٢٥).

(٣) قال السيوطي في مراصد المطالع الجاثية في صدرها { وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا } [٩]، وفي آخرها { ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا } [٣٥].

وَأَيَّتِهِ

يُؤْمِنُونَ



[ الجاثية: ١-٦ ]

هذه الافتتاحية كالدرجة المصونة بما تضمنته من المعاني العظيمة والدلائل الجلية، فهي تأتي متناسقة مترابطة في تمجيد الله وتعظيمه الذي أنزل هذا الكتاب الكريم، وتوجيه النظر إلى الآيات العظيمة المنشورة في الكون الكبير، وهنا تأتي العلاقة الوثيقة بين تعظيم كتاب الله المسطور وكتابه الكوني المنشور فذكر في الآيات الكريمة عدة أدلة للدلالة على وحدانيته وعزته وحكمته منها:

- تنزيل الكتاب خاتم الكتب والمهيمن عليها.
- الدلائل الكونية العظيمة في السموات والأرض.
- خلق الإنسان.
- بث أنواع الدواب من كل نوع .
- اختلاف الليل والنهار .
- إنزال المطر والرزق من السماء.
- إحياء الأرض بعد موتها.
- تصريف الرياح.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: " يرشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع ، من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار، في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه، وهذا بضياءه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقا، لأن به يحصل الرزق، وتصريف الرياح جنوبا وشاماً، ودبورا وصباً، بحرية وبرية، ليلية ونهارية، ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم ، ومنها ما هو ينتج، وقال أولاً { آيات للمؤمنين } ثم { يوقنون } ثم { يعقلون } وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف وأعلى" (١).

ويوجه الإمام الرازي هذا الترتيب القرآني لهذه المقامات العظيمة بقوله: " أنه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع، أولها: يؤمنون، وثانيها: يوقنون، وثالثها: يعقلون، وأظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم من لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العقلاء المجتهدين، فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل" (٢).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦٤/٧).  
(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الشافعي، التفسير الكبير، (٢٢٣/٢٧).

ثم جاءت الخاتمة البديعة التي تناسب هذا المقام الشريف، قال تعالى ﴿

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الخاتمة: "يقول تعالى ذكره" {قلله الحمد} على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه أحمدا أيها الناس، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه، دون ما تعبدون من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه رباً، وتشركون به معه، {رب السموات والأرض} يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع، و{رب العالمين} يقول: مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق، {وله الكبرياء في السموات والأرض} يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد، {وهو العزيز} في نعمته على أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء، {الحكيم} في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم، فيما شاء كيف شاء" (١).

فكأنما ابتدأت الرحلة الإيمانية في تلك الفاتحة الكريمة التي خاطبت العقول السليمة، وما تلاها من التقرير والتوبيخ لمن أعرض عن هذه الآيات التي تناولتها السورة في أولها وآخرها، قال تعالى ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ

تَتَلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ وَإِذَا عَلِمَ  
مِنَ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا حُزُورًا أَؤْتِيكَ هُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧﴾ [الجاثية: ٦-٧].

[٧] ، قال الإمام ابن الزبير: "لما قدم ذكر الكتاب وعظيم الرحمة، وجليل بيانه، وأردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة (الجاثية) من توبيخ من كذب به، وأنه قد ذكر من دلائل السموات والأرض في صدر السورة ما كل قسم منها كاف في الدلالة وقائم بالحجة، ومع ذلك فلم يجد عليهم إلا التماذي في ضلالهم، والإنهماك في سوء حالهم وسيء محالهم" (٢).

من أجل هذا المعنى التحمت الآيات في السورة تقرّيعاً وتوبيخاً ووعيداً وتهديداً إلى آخر السورة، فكان الواقع المناسب لهذا المعنى توجيه الحمد لمن كان له ملك السموات والأرض، وله الوصف الأكمل والأجمل بأن له الكبرياء في السموات والأرض {وهو العزيز الحكيم} عوداً على بدء {تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم}.

(١) الطبري، جامع البيان، (١٨٥/٢٥).

(٢) ابن الزبير، البرهان، ص ١٦٥ (بتصرف).

قال الإمام ابن عاشور في تفسيره: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ

الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ " الفاء لتفريع الحمد والثناء على الله تقريبا على ما احتوت عليه السورة من ألطاف الله، فيما خلق وأرشد وسخر وأقام من نظم العدالة، والإنعام على المسلمين في الدنيا والآخرة، ومن وعيد للمعرضين واحتجاج عليهم، فلما كان ذلك كله من الله كان دالا على اتصافه بصفات العظمة والجلال، وعلى إفضاله على الناس بدين الله، كان حقيقا بإنشاء قصر الحمد عليه، وكل ما سبقه من آيات هذه السورة مقتض للوجوه الثلاثة، ثم اتبع بوصف {رب العالمين} فالعالمين هم: سكان عالم السموات وعالم الأرض تأكيدا لكونهم محقوقين بأن يحمدهم، للإشارة إلى أن استدعاء حمدهم لنفعهم وتزكية نفوسهم، ثم أتبع ذلك بصفتي {العزیز الحكيم}، وبهذه الخاتمة أذن الكلام بانتهاء السورة فهو من براءة الختام" (١).

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾﴾ فالله العزيز

الحكيم ﴿الذي أنزل الكتاب العظيم، وله الدلائل المنشورة في الكون العظيم، وهو المنعم والمتفضل على عباده، فهو المستحق وحده الحمد، و له الكبرياء، بما وصف به نفسه من صفات الجلال والكمال التي جمعها الله في صفة (الكبرياء)، ثم عطف على تلك الصفة العظيم الاسمين الكاملين الموصوف بهما {العزیز الحكيم}، حتى لا يتطرق شك للقلوب الجافية والأسماع الغافلة من حصول شيء لهم من ذلك الوصف العظيم، فقال تعالى في فاتحة السورة {ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها}، ليصحح لهم الطريق، وينبه المستكبرين منهم على الواجب عليهم؛ من تحقيق الحمد والثناء والتمجيد باتباع أوامره التي أنزلها في كتابه، واجتناب نواهيه، وإلا فلهم العذاب المهين الذي يذل كبرياؤهم الكاذب، ويذهب بكبرهم الجائر.

وفي الحديث عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي x

قال

(( جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)) (٢).

وبهذا التفت افتتاحية السورة الكريمة بما تضمنته من الدلائل والصفات بالتفاف بديع بما جاء في خاتمة السورة من البيان والتوضيح.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٧٨/٢٥) (بتصرف).  
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ح (١٨٠).

سابعاً: المناسبة بين فاتحة سورة الأحقاف وخاتمتها (١)

بدأت هذه السورة الكريمة بداية مماثلة لسورة الجاثية، ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ  
الَّذِينَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ [الأحقاف: ١-٢].

ثم جاء قوله تعالى ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا  
تَدْعُونَ ۗ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي  
السَّمَوَاتِ ۗ أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ۝﴾ [الأحقاف: ٣-٤].

هذه السورة ختام سور آل حم فذكر فيها ما يجمع معاني تلك السور  
الكريمة، فهذه السورة الكريمة من آل حم افتتحت بذكر الكتاب وصفاته  
العظيمة، وموقف المكذبين المعاندين منه، فجاءت افتتاحية سورة الأحقاف  
جامعة للمعاني العظيمة المرجوة من إنزال هذا الكتاب، قال الإمام ابن  
كثير - رحمه الله - في تفسير فاتحة الأحقاف: "يخبر تعالى أنه نزل الكتاب  
على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين،  
ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الأقوال والأفعال، ثم قال {  
ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق {أي: لا على وجه العبث  
والباطل، { وأجل مسمى {أي: إلى مدة معينة مضروبة لا تزيد و  
لا تنقص، وقوله { والذين كفروا عما أنذروا معرضون { أي لاهون عما  
يراد بهم، وقد أنزل إليهم كتاباً، وأرسل إليهم رسولاً، وهم معرضون عن  
ذلك كله، أي: وسيعلمون غب ذلك" (٢).

وقد تميزت هذه السورة الكريمة بموضوعات متنوعة من العناية  
بموضوع التوحيد والرسالة والوحي والبعث والجزاء، وقد ذكر الله فيها  
أمثلة متميزة لم تذكر من قبل في سور آل حم مثل قصة قوم عاد، وقصة  
نفر من الجن، ففيها ذكر الجزاء لمن عاند في الإيمان بالله ودلائله ورسوله،  
وهي في قصة قوم عاد، وبيان الجزاء الحسن لمن آمن واستسلم لهذه الآيات  
البيّنات كما حدث مع نفر من الجن .  
من أجل هذه الوحدة الموضوعية الرائعة في هذه السورة، فجاءت خاتمتها  
مناسبة لفتاحتها بما ذكر فيها من التمنن والتفضل والإبلاغ بما أعده الله لعباده

(١) قال السيوطي في مراصد المطالع: الأحقاف: يدبث بذكر خلق السموات  
والأرض، وختمت به، وهي الخاتمة التي كان الحديث عنها.  
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/٢٧٤).

المؤمنين الصابرين ومن سلك مسلكهم، وما أعدّه للكافرين الفاسقين قال تعالى  
 ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا  
 يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٥﴾

قال الإمام السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الخاتمة البديعة: "ثم أمر  
 تعالى رسوله x أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال  
 داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات  
 الخلق، أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم  
 أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، فامتثل x  
 لأمر ربه، فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله، حتى رماه المعادون له عن  
 قوس واحدة، قاموا جميعاً بصدّه عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يمكنهم من  
 المعادة والمحاربة، وهو x لم يزل صادعاً بأمر الله، مقيماً على جهاد  
 أعداء الله، صابراً على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض،  
 وأظهر دينه على سائر الأديان، وأتمه على سائر الأمم، فx تسليماً  
 {ولا تستعجل لهم} أي المكذبين المستعجلين للعذاب، فإن هذا من جهلهم  
 وحمقهم {كأنهم حين يرون ما يوعدون لم يلبثوا} في الدنيا، {إلا ساعة من  
 نهار} فلا يحزنك تمتعهم بالقليل، وهم صائرون إلى العذاب  
 الوبيل، {بلاغ} أي هذه الدنيا، متاعها وشهواتها، ولذائذها بلغة منغصة،  
 ودفع وقت حاضر قليل، وهذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام،  
 بلاغ لكم، وزاد إلى الآخرة، فهو أعظم زاد يتزود به الخلائق، {فهل يهلك}  
 بالعقوبات، {إلا القوم الفاسقون} أي الذين لا خير فيهم، وقد خرجوا عن  
 طاعة ربهم، ولم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل" (١).

فهذه الوصية الكريمة من رب العباد إلى خير العباد بالصبر خاتمة  
 جامعة لما تضمنته من المعاني العظيمة، فالتمنن لأن رسول الله محمد x  
 من أولي العزم من الرسل الصابرين، وهذا من أعظم المنة والفضل بعد  
 تكذيب هؤلاء المكذبين الجاحدين من خلال ذكر أخبارهم وافترائهم على  
 دين الله عز وجل وشدة عداوتهم لرسوله x.

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "وهذه الآية اقتضت أن محمداً x  
 من أولي العزم لأن تشبيهه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من  
 الرسل، يقتضي أنه مثلهم، لأنه ممثّل لأمر ربه، ومن صبر صبرهم كان  
 منهم لا محالة" (٢).

(١) السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٢٩ (بتصرف).  
 (٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٦٧/٢٦).



وقد اختلف العلماء في تعداد أولي العزم من الرسل على أقوال، قال الإمام ابن كثير: "وأشهرها أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين كلهم محمد x، وقد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل، وتكون {من الرسل} لبيان الجنس، والله أعلم"<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الإمام الزركشي هذه الخاتمة البليغة: "مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد، ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم { هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ } [إبراهيم: ٥٢]، وخاتمة

سورة الأحقاف { بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون }"<sup>(٢)</sup>. ثم أمره الله عز وجل بأن لا يستعجل بالدعاء على قومه الكفار، لحكمة عظيمة في علم الله العزيز الحكيم، فهذه الدنيا قصيرة وأجلها محدود، وقوله تعالى { كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار } رد إلى صدر السورة في قوله تعالى { ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى }، فهذا الأجل المسمى لخلق السموات والأرض على عظمته وما فيه من الدقة والإبداع والإحكام يمر على الكافرين يوم القيامة كأنما هو ساعة من نهار. " والمعنى: أنهم إذا عاينوا العذاب صار لطول لبتهم في الدنيا والبرزخ، كأنه ساعة من نهار، أو كأن لم يكن لهول ما عاينوا"<sup>(٣)</sup>.

وبهذا البيان العظيم تختم سور آل حم بختام سورة الأحقاف المتضمن التهديد والوعيد والرجاء والفضل، فكأنما الإعجاز في المناسبة القرآنية في هذه السورة ينضم بعضه إلى بعض في هذه الكلمات الطيبة، التي يختتم فيها العمل والجزاء والأمر والنهي، والله أعلم.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٠٥/٧).  
(٢) الزركشي، البرهان، (١٨٢/١).  
(٣) الرازي، التفسير الكبير، (٣١/٢٨).

## الخاتمة

أحمد الله تعالى وأثنى عليه الخير كله بعد إتمام هذا البحث في المناسبة بين فواتح سور آل حم وخواتمها في كل سورة من سورها المباركة، التي أمضيت في قراءتها وتدبر آياتها سنوات عدة، حتى أنعم الله تعالى علي بهذا البحث، الذي لن تنتهي بيناته ومناسباته ودلائل إعجازه {تنزيل من حكيم حميد}، سائلة المولى الكريم أن يكون إشراقه مضيئة في علوم القرآن الكريم وبيان الإعجاز العظيم في ثنايا مناسبة الفواتح والخواتم في سور آل حم، وأوجز الكلام فيما توصلت إليه من نتائج بما يلي:

- علم مناسبات القرآن الكريم علم عظيم، لا ينتهي أثره والبحث فيه، مع الإفادة من كلام المتقدمين والمتأخرين في هذا النوع من علوم القرآن الكريم بتوخي الحذر من التكلف في إيجاد المناسبات القرآنية تجنباً للتفسير بغير علم.
- الاهتمام بمعرفة المناسبة بين فواتح و خواتم السور له أصول سابقة وثنايا لاحقة، فيجب العناية بشأنه، بالتدبر في اللفظ والمعنى في فواتح السور وخواتمها.
- سور آل حم سور مكية مجيدة، آياتها حكيمة، تصف هذا الكتاب في مجموعها، وتبين إعجازه ودلائله وحججه وبراهينه بالقول الفصل، وتبحث في طريقة الجاحدين لهذا القرآن الكريم بالمناقشة والتفصيل والجواب المتناسق الجميل، فحديثها عن القرآن الكريم سلسلة متدلّية، حلقاتها مترابطة، وروابطها متماسكة، فهي بناء ملتحم بين السور والآيات.
- افتتاحية سور آل حم اتفقت في ذكر الكتاب الحكيم وتحدي العرب به، فكانت الخواتم مناسبة لهذه الفواتح البديعة، ومثالا لقوة التحدي العظيمة المعجزة بمناسبة فواتحها لخواتمها في كل سورة منها، لهذا يجدر بالباحثين تفصيله والكتابة فيه، ليكون شاهداً على هذا الإعجاز في المناسبة بين الفواتح والخواتم.
- خواتم سور آل حم اتفقت على غرض التهديد والوعيد وتناولت ذلك بأسلوب بليغ، ونوعت في عرضه بالأمر بروية الآيات، والدعوة إلى تحقيق النظر، والترقب والترصد، وطلب التحميد والتمجيد، والرجاء والتفضيل، لبيان إعجاز هذه الخواتم فيما بينها وترابطها وتناسقها، فكأنما اتفاق الفواتح ب (حم) فاتفقت الخواتم بعظيم الإعجاز والتنسيق.

وختاماً : أوصي الباحثين والمهتمين بعلوم القرآن الكريم إلى النظر الفاحص والتدبر الأمثل في هذا الكتاب المبين وعلومه وأسراره، وأن يستغرق ذلك جهدهم لما فيه من الخير العظيم والفلاح المبين، وهو المعين على ذلك، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## قائمة بأهم المصادر والمراجع

١. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، ومحمد علي النجار، بدون بيانات.
٢. الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، حققه: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة-الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق وتنسيق: عبدالرزاق بن غالب المهدي- الطبعة الأولى- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٥. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الطبعة الأولى- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٦. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني-بيروت: دار الكتاب العربي- بدون تاريخ النشر.
٧. ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور سعيد جمعة الفلاح،- الطبعة الأولى- دار ابن الجوزي: الدمام، ١٤٢٨هـ.
٨. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: أبو عبدالله عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش - الطبعة الأولى - دار المعرفة: بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٩. حيدر،(د)حازم سعيد، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة موازنة)، الطبعة الثانية، دار الزمان: المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٠. الزحيلي،(الأستاذ الدكتور) وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، دار الفكر: دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١١. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم صيدا: المكتبة العصرية، بدون تاريخ النشر.
١٢. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الطبعة الأولى- عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ.
١٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة- مكتبة دار التراث - القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
١٥. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، وتتمته لتلميذه: عطية محمد سالم، الطبعة الأولى- دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٦. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة،-الطبعة الثانية-دار الخاني:الرياض-دار الوفاء: المنصورة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق : محمود محمد شاكر -الطبعة الأولى- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٨. أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، دراسة وتحقيق: أحمد بن عبدالواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: المملكة المغربية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٩. العسقلاني، أحمد بن علي حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقرأ أصله وأشرف عليه: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض.
٢٠. ابن عطية، أبو محمد عبدالحق الأندلسي، المحرر الوجيز ، تحقيق: مجموعة من المحققين - الطبعة الأولى- الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- بدون تاريخ النشر.
٢١. ابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، الطبعة الأولى-مركز البحوث والدراسات: جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٢٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى-دار الكتب العلمية:بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٣. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى،بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٢٤. قطب، سيد، في ظلال القرآن -الطبعة الثانية عشرة- جدة : دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة: الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٢٦. ابن منظور، لسان العرب ،تنسيق وتعليق : علي شيري -الطبعة الثانية- بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٧. موسوعة الكتب الستة، إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ،-الطبعة الأولى- دار السلام: الرياض، ١٤٢٠هـ.

- المجلات والدوريات:
- الأحمديّة، مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث: دبي، العدد الرابع، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/أغسطس ١٩٩٩م.
  - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس والعشرون، المحرم ١٤٢٠هـ: الرياض، ص ٩٣-١٤٠.

## آيات التَّحَدِّيِّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

جمعاً ودراسة

د. ناصر بن مُحَمَّد بن صالح الصائغ

- \* عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- \* حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بالرياض جامعة أم القرى بتحقيق ( الكشف والبيان للثعلبي من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة الشعراء ) .
- \* حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحته (الترجيح بالسنة عن المفسرين) .





## المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ  
يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٤) ﴿  
(آل عمران: ١٠٢). ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء: ١) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا  
﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
عَظِيمًا ﴿٧١﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١) أَمَا بَعْدُ :

فَإِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ ، أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ ، وَشَرَعَ  
لَهُمُ الشَّرَائِعَ ؛ لِيَعْبُدُوهُ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَلِيَفُوزُوا بِجَنَّتِهِ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْحَمِيدُ ،  
وَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ يُؤَيِّدَ رُسُلَهُ بِمُعْجَزَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى صِدْقِهِمْ ، مُنَاسِبَةٍ  
لِحَالِ قَوْمِهِمْ وَمِنْ جِنْسِ مَا اسْتَهَرُوا بِهِ .  
فَبَعَثَ اللَّهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي عَصْرِ اسْتَهَرَ فِيهِ السَّحَرُ ،  
وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِالْعَصَا وَالْيَدِّ .  
وَبَعَثَ اللَّهُ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى قَوْمٍ اسْتَهَرُوا بِالطَّبِّ وَالْعِلَاجِ ،  
وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِأَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَشِفَاءِ الْمَرْضَى .  
وَبَعَثَ اللَّهُ صَالِحًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى قَوْمٍ اسْتَهَرُوا بِنَحْتِ  
الصُّخُورِ وَالتَّقْنُنِ فِي ذَلِكَ ؛ وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَاقَةٍ خَرَجَتْ مِنَ الصُّخْرِ الَّذِي  
يَنْحَتُونَ مِنْهُ فَهِيَ لَيْسَتْ نَحْتًا ، بَلْ نَاقَةٌ دَاتُ أَكْلِ وَشَرِبِ وَتُدْرِي الْحَلِيبَ .  
وَأَرْسَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى قَوْمٍ فِي غَايَةِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ  
وَالْبَيَانِ (١) ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِآيَةٍ عَقْلِيَّةٍ بَيَانِيَّةٍ فَاقَتْ مَا تَمَيَّزُوا بِهِ ، بَلْ إِنَّ أَثَرَهَا لَمْ  
يَكُنْ مُرْتَبِطًا بِوَقْتٍ مُحَدَّدٍ ، فَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ بِاسْتِمْرَارِ الرِّسَالَةِ حَتَّى قِيَامِ

(١) بَلَغَ مِنْ اهْتِمَامِهِمُ بِالْبَيَانِ أَنْ عَقَدُوا لِلْكَلِمَةِ أَسْوَاقًا يَعْرِضُونَ فِيهَا قِصَائِدَهُمْ وَخُطَبَهُمْ وَمِنْ  
ذَلِكَ سَوْقُ الْمَشْعَرِ بِالْبَحْرَيْنِ ، وَسَوْقُ السَّحْرِ بَيْنَ عَمَانَ وَعَدَنَ ، وَسَوْقُ ذِي الْمَجَازِ فِي  
عَرَفَةَ بِمَكَّةَ ، وَسَوْقُ مَجَنَّةَ ، وَسَوْقُ عَكَاطِ بِالطَّائِفِ ، وَسَوْقُ حَبَاشَةَ بِمَكَّةَ ، وَغَيْرَهَا مِنْ  
الْأَسْوَاقِ .  
انظر : المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ص ٢٦٣ - ٢٦٨ (تصحيح د. إيلرح  
ليختن)  
الأزمينة والأمكنة للمرزوقي ١٦١/٢ (مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدر آباد الهند  
١٣٣٢).

السَّاعَةِ . وَكَانَ لِهَذِهِ الْآيَةِ الْأَثَرُ الْكَبِيرُ فِي كَثْرَةِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) (١) .

وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ كِتَابُ الْهُدَايَةِ وَالْإِعْجَازِ، وَمَنَارَةُ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ: ﴿

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٦)

وَقَدْ تَحَدَّى اللَّهُ الْعَرَبَ - عَلَى بِلَاغَتِهِمْ وَقِصَاحَتِهِمْ - بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ . وَوَقَفُوا أَمَامَهُ عَاجِزِينَ ، وَبِبِلَاغَتِهِ مُنْبَهَرِينَ . وَكَانَتْ الْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا التَّحَدِّيَّ مَنْفَرَّةً فِي مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَكِّيَّةٍ وَمَدَنِيَّةٍ . فَرَأَيْتُ خِدْمَةَ الْقُرْآنِ أَنْ أَجْمَعَ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي تَحَدَّى اللَّهُ فِيهَا الْعَرَبَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ، ثُمَّ أَقُومَ بِتَفْسِيرِهَا وَالْوُقُوفِ مَعَهَا وَدِرَاسَتِهَا ، وَالَّتِي تُظْهِرُ إِعْجَازَ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَإِقَامَةَ الدَّلِيلِ عَلَى إِعْجَازِهِ ؛ لِثَبُوتِ الدَّعْوَى حَوْلَ مَصْدَرِهِ الرَّبَّانِيِّ ؛ فَوْقَ اخْتِيَارِي عَلَى مَوْضُوعِ :

(١) أَخْرَجَهُ النَّجَّارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ فَصَائِلِ الْقُرْآنِ ح ٤٩٨١ ، وَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الْإِيمَانِ ح ١٥٢ .

## آيات التحدي بالقرآن الكريم جمعا ودراسة

- وَقَدْ دَفَعَنِي إِلَىٰ اخْتِيَارِهِ أُمُورٌ :
- ١ - أَهْمِيَّةُ الْمَوْضُوعِ ؛ فَهُوَ فِي إِثْبَاتِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ .
  - ٢ - أَنَّ كَثِيرًا مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ ، يُشِيرُونَ فِي كُتُبِهِمْ إِلَى آيَاتِ التَّحْدِيِّ ؛ فَرَغِبْتُ فِي جَمْعِهَا ، وَدِرَاسَتِهَا .
  - ٣ - أَنِّي لَمْ أَقِفْ عَلَى مَنْ جَمَعَ تِلْكَ الْآيَاتِ فِي كِتَابٍ مُسْتَوَّلٍ ، مَعَ كَثْرَةِ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا وَالِاسْتِدْلَالِ بِهَا (١) .
- وَقَدْ افْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْبَحْثِ أَنْ أَتَنَاوَلَهُ فِي مُقَدِّمَةٍ ، وَتَسْعَةَ مَبَاحِثٍ ، وَخَاتِمَةٍ ، وَفَهَّارَسَ ؛ فَجَاءَتْ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ :
- المُقَدِّمَةُ : وَاشْتَمَلَتْ عَلَى أَسْبَابِ اخْتِيَارِ الْمَوْضُوعِ ، وَخُطَّةِ الْبَحْثِ ، وَمَنْهَجِي فِيهِ .

(١) بعد انتهائي من إعداد البحث ، علمت بأن بحثا في هذا الموضوع وهي :  
- آيات التحدي في القرآن الكريم : الدلالة والإيحاء للدكتور عبدالعزيز العمار ، عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام  
ويصف مؤلفه الكتاب بقوله : " أما عن الكتاب، فهو صغير المحتوى، جاء في اثنتين وخمسين صفحة، صدرته بمقدمة عن بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وجعلته مدخلا للحديث عن آيات التحدي في القرآن الكريم، ثم ذكرت أن التحدي عادة مألوفة لدى العرب قبل نزول القرآن وبعده، فمن عادة القوم أن يتحدى بعضهم بعضاً في مقارضة الشعر، وتدبيح الخطب، ومن ثم جاء القرآن متوافقاً مع طبيعتهم، وما جُلبوا عليه ثم ذكرت مراتب التحدي، ونزول آياتها، أشرت فيه إلى أن تحدي الله لكفار قريش بأن يأتيوا بمثل القرآن جاء في مراتب متعددة، ومطالب متنوعة بحسب المقامات، ثم أطلت النفس في مناقشة ترتيب هذه الآيات في النزول، مفندا رأي من يرى أن القرآن تدرج معهم في التحدي من الكثير إلى القليل، ومن الصعب إلى السهل، مبينا أن الصواب في ذلك: أن القرآن حين تحداهم كان يواجه حال المشركين، وينفض شبههم حول القرآن، فكان مقدار التحدي حسب الحالة التي كانوا عليها، فتحدهم حيناً بالقرآن، وحيناً بعشر سور، وحيناً بسورة واحدة، وذلك كله مراعاة للحالة التي كانوا عليها وقت تنزل هذه الآيات ثم ذيلت هذا القول بذكر العلماء الذي ذهبوا إلى هذا القول، وأخذوا به. ثم كانت لي وقفات طويلة مع إحياء آيات التحدي ودلالاتها، ويكاد يكون هذا الأمر زبدة هذا الكتاب وخلاصته، وفي وقفات تأملية لهذه الآيات، مدعومة بأراء العلماء، فقد رجعت إلى كلامهم، وأفدت منه، وهي ثامن وقفات. ثم ختمت الكتاب بوقفة بلاغية مع آيتي البقرة المتحدى بها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي هِيَ أَلْوَدَّهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ أُوَدَّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ( البقرة : ٢٣، ٢٤ ) . وقد سعيت لإظهار شيء من بلاغة هاتين الآيتين، ونكتهما البيانية "

(http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=١٢٤١٨)

- التحدي في آيات الإعجاز للدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري وهو بحث قدمه لمؤتمر الإعجاز الذي انعقد في الثمانينيات في بغداد ، فصل القول وأطال في الحديث عن التحدي . وطبعته مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .  
- دلالة المثلية في آيات التحدي ، للدكتور سعيد جمعة .  
ولم أوفق للإطلاع عليها . وإن كان بعضها له وجهة في بحث الموضوع غير الوجهة التي بحثت فيها .

المَبْحَثُ الأوَّلُ : آياتُ التَّحْدِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، جَمَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ آيَاتِ التَّحْدِي ، وَفُتِّ بِتَفْسِيرِهَا تَفْسِيرًا مُجْمَلًا ، ثُمَّ ذَكَرْتُ عِدَّةَ مَلْحُوظَاتٍ وَقَوَائِدٍ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ

المَبْحَثُ الثَّانِي : التَّحْدِي خَاصُّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَذَكَرْتُ فِيهِ أَنَّ التَّحْدِي خَاصُّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دُونَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْأُخْرَى فَلَمْ يَتَّحِدْ اللَّهُ بِهَا الْبَشَرَ .  
المَبْحَثُ الثَّلَاثُ : ذِكْرُ الْمُتَّحِدِي بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَذَكَرْتُ فِيهِ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي الذِّينِ تَحَدَّاهُمْ اللَّهُ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : بَيَانُ وَجْهِ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ ، وَبَيَّنْتُ فِيهِ نَوْعَ التَّحْدِي الْوَارِدِ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ .

المَبْحَثُ الْخَامِسُ : مَرَّاحِلُ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَذَكَرْتُ فِيهِ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي مَرَّاحِلِ نَزُولِ آيَاتِ التَّحْدِي وَتَرْتِيبِ آيَاتِهَا .

المَبْحَثُ السَّادِسُ : الْقَدْرُ الْمُعْجِزُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَبَيَّنْتُ فِيهِ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي الْقَدْرِ الْمُعْجِزِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

المَبْحَثُ السَّابِعُ : الصَّرْفَةُ وَآيَاتُ التَّحْدِي ، وَبَيَّنْتُ فِيهِ وَجْهَ اسْتِشْهَادِ الْعُلَمَاءِ بِآيَاتِ التَّحْدِي عَلَى إِبْطَالِ الْقَوْلِ بِالصَّرْفَةِ .

المَبْحَثُ الثَّامِنُ : بَيَانُ مَوْقِفِ الْعَرَبِ أَمَامَ آيَاتِ التَّحْدِي ، وَذَكَرْتُ فِيهِ عَجْزَ الْعَرَبِ عَنِ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ مَعَ فَصَاحَتِهِمْ وَبَلَاغَتِهِمْ .

المَبْحَثُ الثَّاسِعُ : مُعَارَضَةُ الْقُرْآنِ ، وَذَكَرْتُ فِيهِ بَعْضَ الْمُحَاوَلَاتِ لِمُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الْخَاتِمَةُ : وَفِيهَا أَهَمُّ نَتَائِجِ الْبَحْثِ .

الْفَهْرَسُ : وَفِيهَا فَهْرَسٌ لِلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ ، وَفَهْرَسٌ لِلْمَوْضُوعَاتِ .  
وَقَدْ اجْتَهَدْتُ - مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ - فِي خِدْمَةِ هَذَا الْمَوْضُوعِ ، سَائِرًا عَلَى الْمُنْهَجِ التَّالِي :

(١) رَجَعْتُ إِلَى كُتُبِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَكُتُبِ عُلُومِ الْقُرْآنِ ، وَمَوَاضِعِ

تَفْسِيرِ الْآيَاتِ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ ، وَكُتُبِ أُخْرَى ، فَجَمَعْتُ الْمَادَةَ الْعِلْمِيَّةَ

(٢) حَاوَلْتُ الْاِقْتِصَارَ جَاهِدًا فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ التَّحْدِي ، بِمَا يُعِينُ عَلَى فَهْمِهَا .

(٣) اجْتَهَدْتُ فِي عَدَمِ إِثْقَالِ الْحَوَاشِي بِالْتَّرَاجِمِ ، إِلَّا مَنْ كَانَ غَيْرَ مَشْهُورٍ .

(٤) رَجَّحْتُ مَا يُمَكِّنُ تَرْجِيحَهُ بَعْدَ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَجَمْعِ الْأَقْوَالِ وَمِنَاقَشَتِهَا .

(٥) كَتَبْتُ الْآيَاتِ بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ ، ذَاكِرًا اسْمَ السُّورَةِ وَرَقْمَ الْآيَةِ فِيهَا .

(٦) ضَبَطْتُ الْبَحْثَ بِالشُّكْلِ لِيعِينِ الْقَارِئُ الْكَرِيمَ عَلَى فَهْمِ الْمُرَادِ .

(٧) خَرَّجْتُ الْأَحَادِيثَ مُكْتَفِيًا بِالصَّحِيحِينَ إِنْ كَانَ فِيهِمَا وَإِلَّا فَمِنْ غَيْرِهِمَا مَعَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ .

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي خَالِصًا لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ، مُوَافِقًا لِلْمِنْهَجِ الْقَوِيمِ ،  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

### المَبْحَثُ الأول آياتُ التَّحَدِّيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى قَوْمِهِ ، وَأَمْرَهُ بِأَنْ يُبَلِّغَ رَسُولَةَ رَبِّهِ ،  
وَأَنْ يَأْمُرَ هُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ وَيَتَّبِعُوهُ .  
وَأَيْدِ رَسُولَهُ ﷺ بِآيَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى صِدْقِهِ ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ،  
وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .

تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ( فصلت : ٤٢ ) . إِلَّا أَنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ لَمْ  
يُؤْمِنُوا لَهُ بِذَلِكَ فَكَذَّبُوهُ وَرَفَضُوا دَعْوَتَهُ . مُحْتَجِّينَ بِأَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ ، وَأَنَّهُ  
كَاذِبٌ وَمُفْتَرٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ  
مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ ( ص ٤ ) ، وَقَالَ عَنْهُمْ سُبْحَانَهُ :

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُمْ  
فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ ( ص ٧-٨ ) بَلْ وَأَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ  
الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ ، وَقَالُوا عَنْهُ سِحْرٌ ، وَشِعْرٌ ، وَكَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ ، وَأَنَّهُ كَلَامُ  
بَشَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ ، بَلْ وَزَعَمَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى  
الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ ، إِذَا شَاءُوا ذَلِكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا  
قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ( الأنفال : ٣١ )

وَحَبِثُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ ، فَقَدْ  
وَاجَهَ الْقُرْآنُ هَذَا الزَّعَمَ بِالتَّحَدِّيِّ ، فَقَدْ تَحَدَّاهُمْ اللَّهُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

وَالتَّحَدِّيِّ : " هُوَ أَنْ يَخْذُوهُمْ ، أَيْ يَدْعُوهُمْ فَيَبْعَثُهُمْ إِلَى أَنْ يُعَارِضُوهُ ،  
فَيُقَالُ فِيهِ : حَدَّانِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَيْ : بَعْتَنِي عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ سَمِّيَ حَادِي  
الْعَيْسِ ، لِأَنَّهُ بَحْدَاهُ يَبْعَثُهَا عَلَى السَّيْرِ " (١)

"وَالْمُسْتَفِيزُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ الْيَوْمَ ، وَالْمَبْتُوثُ فِي كُلِّ كِتَابٍ أَنَّ التَّحَدِّيَّ :  
أَنْ تَفْعَلَ أَنْتَ فِعْلًا ، ثُمَّ تَطْلُبُ مِنْ خَصْمِكَ بِأَنْ يَبْدُلَ غَايَةَ جَهْدِهِ فِي  
مُعَارَضَتِهِ وَالْإِثْنَانِ بِمِثْلِهِ ، وَأَنْتَ عَلَى تَقَّةٍ مِنْ أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى مِثْلِ هَذَا  
الْفِعْلِ ، طَالِبًا بِذَلِكَ إِظْهَارَ عَجْزِهِ وَضَعْفِهِ عَنْ مُسَامَاتِكَ ، أَوْ غَلْبَتِكَ ، أَوْ

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٧٦/٤ .

الظهور عليك. وهذا هو المعنى المقصود عند ذكر الأنبياء، وتحديهم الناس بمعجزاتهم" (١).

وقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس سور منه: في سورة البقرة، وفي سورة يونس، وفي سورة هود، وفي سورة الإسراء، وفي سورة الطور.

وزاد بعض العلماء موضعاً آخر في سورة القصص في قوله تعالى:

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْوِيهِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَأَهْدَىٰ أَلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص: ٤٩ - ٥٠).

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذه الآية ليست من آيات التحدي لأن الله لم يطلب من المشركين الإتيان بكلام مثل القرآن، ولا تأليف كتاب مثل القرآن، من عند أنفسهم، بل طلب منهم أن يأتوا بكتاب من عند الله - وليس من عندهم - وذلك بأن يكون فيهم رسول ينزل الله عليه كتاباً هو أهدى من التوراة والقرآن، لاتباعه ويهتدي به. وهذا غير تحديهم بأن يؤلفوا هم كتاباً مثل القرآن (٢).

وفي هذا المبحث أورد آيات التحدي في القرآن الكريم بحسب ترتيبها في المصحف مع شيء من تفسيرها فأقول مستعيناً بالله:

التحدي الأول:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(البقرة: ٢٣، ٢٤).

تفسيرها: جاءت هذه الآيات مناسبة لآية التي قبلها، ووجه المناسبة، أنه سبحانه وتعالى لما أقر التوحيد، وأبطل الشرك في الآية السابقة لها؛ شرع في تقرير نبوة محمد ﷺ، وإقامة الحجج على صدق نبوته والتي من أعظمها القرآن الكريم.

(١) وتسمية هذا الأمر بالتحدي محدث مؤلّد، ليس في كتاب الله ولا في حديث رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نجده في كلام أهل القرنين الأول والثاني من الهجرة. وظهر بعض الظهور في كلام أهل القرآن الثالث، ثم استفاض بعد ذلك، وأقدم من ذكر التحدي بهذا المعنى المحدث هو أبو عثمان الجاحظ ١٥٠-٢٥٥هـ ولا سيما في رسالته (حجج النبوة)، ولفظ التحدي نجده مقترنا بلفظي الإعجاز والمعجزة. والتحدي أسبق الثلاثة وجوداً في لغة المتكلمين.

بتصرف من مداخل إعجاز القرآن لمحمود محمد شاكر ص ٢٠ و ٢١-٢٣.

(٢) انظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للدكتور صلاح الخالدي ص ٥٢.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) . وَقَوْلِهِ : ﴿ فِي رَيْبٍ ﴾ أَيُّ فِي شَكِّ وَقَلَقٍ : ﴿ مِمَّا نَزَّلْنَا ﴾ الْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَفِي الْإِثْبَانِ بِلَفْظِ التَّنْزِيلِ دُونَ الْإِنْزَالِ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ النَّزُولُ عَلَى سَبِيلِ التَّدْرُجِ ، وَهَذَا اللَّفْظُ لَائِقٌ بِهَذَا الْمَكَانِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَنَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَلَمْ يَنْزَلْ مُنْجَمًا . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٣٢) ( الفرقان : من الآية ٣٢ ) .

قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْإِنْزَالِ وَالتَّنْزِيلِ فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ وَالْمَلَائِكَةِ : أَنَّ التَّنْزِيلَ يَخْتَصُّ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يُشِيرُ إِلَى إِنْزَالِهِ مَفْرَقًا مُنْجَمًا وَمَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَالْإِنْزَالُ عَامٌّ " (١) .

﴿ عَلَى عَبْدِنَا ﴾ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ : ﴿ فَاتُوا ﴾ أَمْرٌ تَعْجِيزٌ وَتَحَدٍ ﴿ سُورَةَ ﴾ جَاءَتْ سُورَةٌ هُنَا مُنْكَرَةً وَهِيَ تُفِيدُ الْعُمُومَ ، فَتَشْمَلُ أَيُّ سُورَةٍ كَانَتْ .  
﴿ مِّنْ ﴾ هُنَا صِلَةٌ كَقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور: من الآية ٣٠) .

وَإِتْيَانُ ﴿ مِّنْ ﴾ هُنَا فِي آخِرِ آيَاتِ التَّحَدِّيِّ نُزُولًا ، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّنْزِيلِ مَعَهُمْ مِنَ الْأَخْفِ فَالْأَخْفِ ، فَقَدْ تَنَزَّلَ مَعَهُمْ مِنْ طَلَبِ الْمُمَاتِلِ إِلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِّمَّا يُمَاتِلُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَا أَكْفِكُمْ بِالْمُمَاتِلَةِ الْعَامَّةِ ، بَلْ حَسْبُكُمْ أَنْ تَأْتُوا بِشَيْءٍ فِيهِ جِنْسُ الْمُمَاتِلَةِ وَمُطْلَقُهَا . وَبِمَا يَكُونُ مَثَلًا عَلَى التَّقْرِيبِ لَا التَّحْدِيدِ ، وَهَذَا أَقْصَى مَا يُمَكِّنُ مِنَ التَّنَزُّلِ (٢) .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ ﴿ مِّنْ ﴾ لِيَبَيِّنَ الْجِنْسَ (٣) .

﴿ مِّثْلِهِ ﴾ الضَّمِيرُ (الهاء) عَائِدٌ إِلَى (ما) فِي قَوْلِهِ : ﴿ مِمَّا نَزَّلْنَا ﴾ ، وَالْمَعْنَى : مِنْ مِثْلِ الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ : مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ (٤) ، وَاخْتَارَهُ الطَّبْرِيُّ وَالرَّازِيُّ ، وَنَقَلَهُ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٤٠/٥، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) انظر: النبا العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨٤ .

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٠١/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٧٢/١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٩٧/١ بسنده عنهما .

مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَالْحَسَنَ وَأَكْثَرَ الْمُحَقِّقِينَ . وَاخْتَارَهُ  
الْقُرْطُبِيُّ وَابْنَ كَثِيرٍ ، وَنَسَبَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ لِلْجُمْهُورِ (١) .

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ ( الهاء ) عَائِدٌ إِلَى ﴿ عَلَيَّ عَبْدِنَا ﴾ أَيِّ مِنْ مِثْلِ مُحَمَّدٍ  
﴿ يَعْنِي مِنْ رَجُلٍ أُمِّيِّ مِثْلِهِ . وَالرَّاحِجُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ ، وَيَدُلُّ عَلَى تَرْجِيحِهِ  
وَجُوهٌ :

١ - أَنْ رُجُوعَهُ لِلْقُرْآنِ مُطَابِقٌ لِسَائِرِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي بَابِ التَّحْدِي لَاسِيَّمَا  
آيَةَ سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلُوبًا فَآتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (يونس :  
٣٨ )

٢ - أَنَّ الْكَلَامَ يَدُورُ حَوْلَ الْمُنْزَلِ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَإِنْ  
كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ، فَوَجَبَ صَرْفُ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ .

٣ - أَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ كُلَّهُمْ مُتَّفَرِّقِينَ وَمُجْتَمِعِينَ ، سِوَاءً فِي ذَلِكَ أُمِّيَّهُمْ وَكَاتِبُهُمْ ،  
وَذَلِكَ أَكْمَلُ فِي التَّحْدِي وَأَشْمَلُ ، مِنْ أَنْ يَتَّحِدَى أَحَادَهُمُ الْأُمِّيِينَ ، مِمَّنْ  
لَا يَفْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ شَيْئًا .

قَالَ السَّخَاوِيُّ (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: " وَأَمَّا مَنْ قَالَ : إِنَّ الْهَاءَ تَعُودُ لِلنَّبِيِّ  
﴿... فَكَلَامٌ مِنْ رَكِبِ الْخَطَرِ ، وَلَمْ يُعَيْنِ النَّظَرَ ، لِأَنَّ كَلَامَهُ يَقْتَضِي أَنَّ  
بَعْضَ النَّاسِ يَقْدِرُ عَلَى الْإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ ، وَهُمْ الْعُلَمَاءُ بِالسِّيَرِ وَالْمُمَارِسُونَ  
لِلْكَتْبِ وَهَذَا يُبَيِّنُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) (٣) .  
الإسراء ٨٨ ) (٣) .

وقوله : ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ أَيِّ مِنْ مِثْلِ الْقُرْآنِ فِي الْبَيَانِ ، لَا فِي  
التَّأْلِيفِ وَالْمَعَانِي ، الَّتِي بَيَّنَّ بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ غَيْرَهُ ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ مِنْ هَذَا  
الْوَجْهِ ، وَلَا نَظِيرَ وَلَا شَبِيهَ . قَالَهُ الطَّبْرِيُّ (٤) .

(١) انظر: تفسير الطبري ١ / ٣٩٧ ، معالم التنزيل البيهقي ١ / ٧٢ ، المحرر الوجيز  
لابن عطية ١ / ٢٠١ ، تفسير الرازي ٢ / ١٢٩ ، تفسير ابن كثير ١ / ٦٣ ، تفسير  
القرطبي ١ / ٢٣٢ .

(٢) هو : محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين  
السخاوي الأصل القاهري الشافعي ، فقيه مقرئ محدث مؤرخ ، توفي سنة ٩٠٢ هـ .

انظر: الأعلام ٦ / ١٩٤ ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٣ / ٢١٤٦ .

(٣) جمال الفراء وكمال الإقراء ١ / ٤٧ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ١ / ٣٩٧ .



﴿وَادْعُوا﴾ اسْتَنْصِرُوا وَاسْتَعِينُوا . ﴿شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾  
 أَعْوَانَكُمْ وَمَنْ تَنْهَدُونَ لَهُ بِالْإِلَوهِيَّةِ لِيَسَاعِدُوَكُمْ فِي الْإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ .  
 وَفِي هَذَا تَحَدُّ لِلْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ وَهُوَ غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّحَدِّي .  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنَّ هَذَا الْفُرْآنَ مُفْتَرَى عَلَى اللَّهِ، وَفِي أَنْكُمْ  
 قَادِرُونَ عَلَى الْإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ  
 سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: من  
 آية ٣١) ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ إِنْ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِيمَا مَضَى. ﴿وَلَنْ  
 تَفْعَلُوا﴾ أَبَدًا فِيمَا بَقِيَ  
 ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ  
 مَنْ عَارَضَ الْفُرْآنَ فَمَا وَاهُ النَّارُ<sup>(١)</sup>.

التَّحَدِّي الثَّانِي :

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ  
 وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: ٣٨).

تَفْسِيرُهَا : جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ

أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧) ، وَالَّتِي تُفِيدُ أَنَّهُ مَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ هَذَا  
 الْقُرْآنِ أَنْ يُخْتَلَقَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ مُطَابِقٌ  
 وَمُصَدِّقٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُنزَلَةِ ، وَمُؤَافِقٌ لَهَا ، وَأَنَّهُ لِأَشْكَ  
 أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . ثُمَّ بَعْدَهَا تَحَدَّاهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ الْهَمْزَةُ  
 لِلْإِنْكَارِ ، وَالْمَعْنَى : بَلْ يَقُولُونَ ، وَقِيلَ : أَمْ بِمَعْنَى الْوَاوِ ، أَيْ : وَيَقُولُونَ .  
 ﴿افْتَرَبَهُ﴾ إِخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ ، وَافْتَعَلَهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ . ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ،  
 مُتَّحِدِيًا لَهُمْ وَمُعْجِزًا . ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ مِثْلُ الْقُرْآنِ فِي الْفَصَاحَةِ ،  
 وَالْبَيَانِ ، وَحُسْنِ النَّظْمِ ، وَفُورَةِ الْمَعْنَى .

(١) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٩٦-٤٠٦ ، معالم التنزيل للبخاري ١/ ٧٢ ، الجامع لأحكام  
 القرآن للقرطبي ١/ ٢٣١ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٥٢ ، مفاتيح الغيب للرازي  
 ١٢٥/٢ .

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَلَمْ يُقَلِّمْ مِثْلَهَا : لِأَنَّ الْكِنَايَةَ أُخْرِجَتْ عَلَى الْمَعْنَى ، أَيْ مَعْنَى السُّورَةِ ، لَا عَلَى لَفْظِهَا " (١) . وَأَنْكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَطِيَّةٍ بِقَوْلِهِ : " وَهَذَا وَهَمْ بَيِّنٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ " (٢) .

﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ، اذْعُوا مَنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَدْعُوا مِنْ أَوْلِيَائِكُمْ ، وَشُرَكَائِكُمْ ، وَمَعْبُودِيكُمْ ؛ لِيُعِينُوكُمْ ، وَيَسَاعِدُوكُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سِوَى اللَّهِ ، أَوْ غَيْرِهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنْ هَذَا الْقُرْآنَ مُفْتَرَى مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ (٣) .

### التَّحْدِي الثَّلَاث :

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورِ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ (هود : ١٣) .

تَفْسِيرُهَا : ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَيُّقُولُ الْمُشْرِكُونَ ﴿أَفْتَرَنَاهُ﴾ اِخْتَلَقَ وَتَكَدَّبَ مَا يُوحَى إِلَيْهِ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورِ مِثْلِهِ﴾ مِثْلُ الْقُرْآنِ

### ﴿مَفْتَرِيَتٍ﴾ مَفْتَعَلَاتٍ مُخْتَلَفَاتٍ .

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُتَحَدَّى بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهُ قَدْرُ عَشْرِ سُورٍ تُمَاتِلُ الْقُرْآنَ فِي نَظْمِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَالْمُرَادُ بِالْمَعْنَى : مَا يَتَضَمَّنُهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَخْبَارٍ عَنِ الْغَيْبِ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَحُكْمٍ وَأَحْكَامٍ . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي الْمُتَحَدَّى بِهِ ، هُوَ مُمَاتَلُهُ الْقُرْآنَ فِي حُسْنِ النَّظْمِ وَالْبَيَانِ فَحَسَبَ ، دُونَ الْمَعْنِيَاتِ وَالْحُكْمِ وَالْأَحْكَامِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالْأَمْثَالِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الرَّاجِحَ هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي ، وَأَنَّ الْمُتَحَدَّى بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : عَشْرُ سُورٍ تُمَاتِلُ الْقُرْآنَ فِي حُسْنِ النَّظْمِ وَالْبَيَانِ ، وَذَلِكَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهَا : ﴿مَفْتَرِيَتٍ﴾ .

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨٣/١٢ .

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٢٥٢/١ .

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ١٨٢/١٢ - ١٨٣ ، معالم التنزيل للبخاري ١٣٤/٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤٤/٨ مفاتيح الغيب للرازي ٩٨/١٧ ، التفسير المنير للزحيلي ١٧٥/١١ .

وَقَوْلُهُ هُنَا: ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ لِأَجْلِ أَلَّا يَظُنَّ الْمُتَحَدِّثُونَ أَنَّهُمْ مُطَالِبُونَ بِالْمِثْلِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْوُجُوهِ (فَأِنَّهُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْخَالِيَةِ ، وَالْقِصَصِ السَّالِفَةِ ؛ فَقِيلَ لَهُمْ : مُفْتَرِيَاتٍ إِزَاحَةً لِعَلِّهِمْ ، وَقَطْعًا لِأَعْدَارِهِمْ ؛ فَعَجَزُوا ) (١) .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ أَنَّ السُّورَةَ الَّتِي وَقَعَ بِهَا طَلِبُ الْمُعَارَضَةِ لَهَا ، هِيَ سُورَةُ مُعَيَّنَةٍ ، وَهِيَ : ( سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَالْأَنْعَامِ ، وَالْمَائِدَةِ ، وَالْأَنْعَامِ ، وَالْأَعْرَافِ ، وَالْأَنْفَالِ ، وَالْتَّوْبَةِ ، وَيُونُسَ ، وَهُودَ ) مُفَسَّرًا هَذَا بِالْمِثْلِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ . وَهَذَا الْقَوْلُ غَيْرُ صَحِيحٍ ؛ لِأَنَّ : ( هَذِهِ السُّورَةُ أَكْثَرُهَا مَدَنِيٌّ فَكَيْفَ يَصِحُّ الْحَوَالَةُ بِمَكَّةَ عَلَى مَا لَمْ يُنْزَلْ ، وَلَعَلَّ هَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ) قَالَهُ : أَبُو حَيَّانٍ (٢) .

قَوْلُهُ : ﴿وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غَيْرُهُ إِلَى الْمُعَاوَنَةِ ، وَالْمُعَارَضَةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَّهُ مُفْتَرِيٌّ (٣) .

التَّحْدِي الرَّابِعُ :

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ : ﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الْإِسْرَاءِ : ٨٨) :

تَفْسِيرُهَا : ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِصِبْغَةِ التَّمْرِ يَضُ ، وَأَسْنَدَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبَبِ قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ جَادَلُوهُ فِي الْقُرْآنِ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ غَيْرِهِ ، شَاهِدَةً لَهُ عَلَى نُبُوَّتِهِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ بِهِمْ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِهِ (٤) .  
وَفِي هَذَا نَظَرٌ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ ، وَسَيَاقُهَا كُلُّهُ مَعَ فُرَيْشَ ، وَالْيَهُودِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِهِ فِي الْمَدِينَةِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ (٥) رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) انظر : البرهان للزركشي ١١١/١ .

(٢) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ١٠٤/١ .

(٣) انظر : جامع البيان للطبري ٣٤٤ - ٣٤٣/١٢ ، معالم التنزيل ١٦٥/٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٩ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٥٢/١ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٠٢/١٧ ، التفسير المنير ٣١/١٢ .

(٤) انظر : جامع البيان للطبري ٧٥/١٥ .

(٥) انظر : تفسيره ٦٦/٣ .

﴿ قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِّينِ اجْتَمَعَتْ ﴾ وَاتَّفَقَتْ ﴿ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ مُتَّحِدُونَ كَذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي (١) ، وَقَدَّمَ الْإِنْسَ عَلَى الْجِنِّ هُنَا ، لِأَنَّ الْإِعْجَازَ مِنْهُمْ أَظْهَرَ ، وَالْخِطَابَ إِلَيْهِمْ أَخْصَّ .

﴿ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ ﴾ جَوَابٌ لِلْقَسَمِ فِي ﴿ لِّينِ ﴾ . ﴿ بِمِثْلِهِ ﴾ . أَي بِمِثْلِ الْقُرْآنِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ يُشْبِهُهُ كَلَامُ الْمَخْلُوقِ كَلَامَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ ، وَلَا مِثَالَ لَهُ ، وَلَا عَدِيلَ لَهُ !!؟ ﴿ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ مُعِينًا وَمُظَاهِرًا ، مِثْلَ تَعَاوُنِ الشُّعْرَاءِ عَلَى بَيْتِ شِعْرِ فَيُقِيمُونَهُ . فَإِنَّهُمْ لَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ (٢) . وَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ خَبْرًا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ مُتَّضَمٌّ مَعْنَى التَّحْدِي ، وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الْمُعَاصِرِينَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ التَّحْدِي . حَيْثُ يَرَى أَنَّهَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَيْسَ تَحْدِيًّا لَهُمْ (٣) .

التَّحْدِي الْخَامِسُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الطُّورِ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) ( الطُّورُ : ٣٣ و ٣٤ ) .

تَفْسِيرُهَا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أَي هُوَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ ﴿ نَقَوْلَهُ ﴾ اخْتَلَقَ وَافْتَرَى الْقُرْآنَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، وَالنَّقُولُ : تَكْلُفُ الْقَوْلِ ، وَيُرَادُ بِهِ الْكُذْبُ غَالِبًا . ﴿ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ جَحْدًا وَاسْتِكْبَارًا . وَكُفْرُهُمْ هَذَا هُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، ثُمَّ أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ ؛ فَقَالَ : ﴿ فَلْيَأْتُوا ﴾ أَي هُوَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ ، وَهُوَ أَمْرٌ تَعَجِيزٌ ، وَتَحْدِيدٌ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴿ مِثْلَ الْقُرْآنِ ، وَنَظْمِهِ ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ ، مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَنْ يَنْعَدَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتُوا مِنْ ذَلِكَ بِمِثْلِ الَّذِي أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ فِي دَعْوَاهُمْ أَنْ مُحَمَّدًا نَقَوْلَهُ ، وَافْتَرَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ (٤) .

وَبَعْدَ هَذَا التَّفْسِيرِ الْمَوْجَزِ لِآيَاتِ التَّحْدِي ، نَلْحَظُ مَا يَلِي :

(١) انظر: ص ٢٥ .  
 (٢) انظر: جامع البيان للطبري ٧٥/١٥ ، معالم التنزيل للبيهقي ١٢٧/٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٦/١٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٩/٣ .  
 (٣) هو د. صلاح الخالدي ، كما في إعجاز القرآن البياني له ص ٥٢ .  
 (٤) انظر: جامع البيان للطبري ٥٩٦/٢١ ، معالم التنزيل للبيهقي ٣٩٢/٧ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٣/١٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٠/٤ .

- ١- أن آيات التَّحْدِي شَمَلَتْ الْقُرْآنَ الْمَكِّيَّ وَالْمَدَنِيَّ ، فَهِيَ فِي سُورِ يُوسُفَ ، وَهُودٍ ، وَالْإِسْرَاءِ ، وَالطُّورِ ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ؛ وَفِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ ، وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ . وَكَانَ التَّحْدِي فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْمَدَنِيِّ ، فَقَدْ وَرَدَ التَّحْدِي فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ فِي السُّورِ : يُوسُفَ ، وَهُودٍ ، وَالْإِسْرَاءِ ، وَالطُّورِ ، ثُمَّ تَكَرَّرَ التَّحْدِي فِي الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ .
  - ٢- أن آيات التَّحْدِي يَسْبِقُهَا الْحَدِيثُ عَنْ تَشْكِيكِ الْكَافِرِينَ فِي الْقُرْآنِ ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ ؛ فَتَأْتِي آيَاتُ التَّحْدِي لِإِبْطَالِ هَذَا الزَّعْمِ .
  - ٣- أن آيات التَّحْدِي يَتَّبِعُهَا إِثْبَاتُ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ ، وَتَقْرِيرُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ، أَوْحَى بِهِ إِلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .
  - ٤- تَكَرَّرَتْ كَلِمَةُ ﴿مَثَلِهِ﴾ فِي كُلِّ آيَاتِ التَّحْدِي ، وَالْمُرَادُ بِالْمِثْلِيَّةِ: الْمَثَلِيَّةُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ ، وَوَرَدَتْ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ مَسْبُوقَةً بِـ ﴿مَنْ وَسَبَقَ بَيَانَ مَعْنَاهَا .﴾
  - ٥- كَانَتْ نَتِيجَةُ هَذَا التَّحْدِي أَنَّ الْكُفَّارَ عَجَزُوا عَنِ الْإِثْبَانِ بِالْمَطْلُوبِ ، وَدَلَّ عَجْزُهُمْ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . (١)
  - ٦- أَنَّ جَمِيعَ آيَاتِ التَّحْدِي وَرَدَ التَّحْدِي فِيهَا بِلَفْظِ الْإِثْبَانِ ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ وَلَمْ يَقُلْ : فَلْيَقُولُوا ، وَفِي هَذَا تَوْسِيعٌ لِلْعَرَبِ فِي التَّحْدِي حَيْثُ فَتَحَ الْمَجَالَ لَهُمْ فِي الْمَعَارِضَةِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ كَانَتْ ، وَلَمْ يَشْتَرَطْ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ ، فَلَهُمُ الْحَقُّ بِالرَّجُوعِ إِلَى مَوْرُوثِهِمُ الْجَاهِلِيِّ ، وَغَيْرِهِ .
  - ٧- لَمْ يَكُنِ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ فِي التَّحْدِي الْإِثْبَانُ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ مُطَابِقًا لِمَعَانِيهِ ، وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ مِثْلُهُ فِي الْبَيَانِ فَقَطْ ، وَلَا يَهُمُّ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى مُفْتَرِيًّا ، أَوْ مُخْتَلَفًا ، أَوْ كَذِبًا .
  - ٨- تَحْدَى اللَّهُ الْعَرَبَ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ؛ لِأَنَّ لَدَيْهِمُ الْفُدْرَةَ عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَ كَلَامِ الْبَشَرِ ، وَكَلَامِ غَيْرِهِمْ .
  - ٩- أَنَّ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ كَانَ مُوجَّهًا لِلْكَافِرِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ آيَاتِ التَّحْدِي ، فَإِنَّ آيَاتِ التَّحْدِي كَانَتْ يَسْبِقُهَا تَسْجِيلُ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ . وَقَدْ عَجَزَ الْكَافِرُونَ عَنِ الْمَعَارِضَةِ ، وَعَجَزَ هُمْ - وَهُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ - يَدُلُّ عَلَى عَجْزِ غَيْرِهِمْ . وَأَيُّهُ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ أَفَادَتْ شُمُولَ التَّحْدِي لِكُلِّ الْمَحْلُوقَاتِ ؛ فَالْكُلُّ عَاجِزٌ عَنِ الْإِثْبَانِ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
- قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : ( وَهَذِهِ أَيْضًا مُعْجِزَةٌ أُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ أَخْبَرَ خَبْرًا جَازِمًا قَاطِعًا مُقَدِّمًا غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا مُشْفِقٍ ، أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

(١) انظر: إعجاز القرآن البياني للخالدي ص ٥٦ .

لا يُعَارِضُ بِمِثْلِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ ، وَدَهَرَ الدَّاهِرِينَ ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ الْأَمْرُ ،  
لَمْ يُعَارِضْ مِنْ لَدُنْهُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُمَكِّنُ (١) .  
١٠- التَّحْدِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ غَيْرُهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ، فَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:  
﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ نَحْدُ ضَمِيرِ الْجَلَالَةِ بَدَلًا مِنْ فِعْلِ الْأَمْرِ

(قُلْ): ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾  
وَهَذَا يَجْعَلُ التَّحْدِي مِنَ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ  
بِوَأَسْطَةِ الرَّسُولِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ، أَوْ فِي سُورَةِ يُوسُفَ ، وَلِذَا  
كَانَتْ آيَةُ الْبَقَرَةِ الْمَدَنِيَّةُ خَاتِمَةَ آيَاتِ التَّحْدِي .  
١١- رَبَّبَ بَعْضُهُمْ آيَاتِ التَّحْدِي عَلَى النَّحْوِ التَّالِي :

- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكُتُبٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهَا أَتَّبِعُهُ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ  
مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِّنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾  
(سورة القصص: ٤٩-٥٠).

- ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا  
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) (آيَةُ ٨٨ سُورَةِ  
الْإِسْرَاءِ).

- ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ  
أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) (آيَةُ ٣٨ سُورَةِ يُوسُفَ) .  
- ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ  
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٣) (آيَةُ ١٣ سُورَةِ هُودٍ) .

- ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ  
مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ (آيَةُ ٣٤ سُورَةِ الطُّورِ) .

- ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ  
مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا  
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (آيَةُ  
٢٣-٢٤ سُورَةِ الْبَقَرَةِ) .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٦٣/١ .

ثُمَّ قَالَ : وَيُلاحِظُ أَنَّ التَّحَدِّيَّ قَدْ تَتَابَعَ مَا بَيْنَ السُّورِ ٥٠ و ٥١ و ٥٢ -  
يَعْنِي سُورَةَ الْإِسْرَاءِ ، وَسُورَةَ يُونُسَ ، وَسُورَةَ هُودٍ - وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ  
اشْتِدَادُ الْبَلَاءِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ سَفَهَاءِ قَوْمِهِ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ  
أَبِي طَالِبٍ ، وَوَفَاةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ -  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، فَتَتَابَعَ نَزُولُ آيَاتِ التَّحَدِّيِّ خِلالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ حَتَّى  
الهِجْرَةِ ، فَكَانَ وَقَعُهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَشَدَّ مِنَ الصَّوَاعِقِ ، وَأَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ  
(١)

## كَشَافٌ تَفْصِيلِيٌّ لِآيَاتِ التَّحْدِي فِي الْقُرْآنِ

م	آيات التحدي	السورة	نوعها	رقم الآية	ترتيب السورة حسب المصحف	ترتيب السورة حسب النزول	التحدي
١	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	البقرة	مدنيّة	٢٣-٢٤	٢	٨٧	الإتيان بسورة من مثله
٢	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾	يونس	مكية	٣٨	١٠	٥١	الإتيان بسورة مثله
٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ۚ مُفْتَرِيَاتٍ ۚ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	هود	مكية	١٣	١١	٥٢	الإتيان بعشر سور مثله
٤	﴿ قُلْ لِيَنْجَمِعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾	الإسراء	مكية	٨٨	١٧	٥٠	الإتيان بمثل هذا القرآن
٥	﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ۚ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	الطور	مكية	٣٣-٣٤	٥٢	٧٦	الإتيان بحديث مثله

المَبْحَثُ الثَّانِي



## التَّحْدِي حَاصٌّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا إِلَى أَقْوَامِهِمْ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥) ، وَقَدْ جَاءَ هُوَ لِأَجْلِ الرُّسُلِ بَيِّنَاتٍ ، وَمُعْجَزَاتٍ بَاهِرَاتٍ دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ ، وَمُصَدِّقَةٌ لَهُمْ فِي رَسُولَتِهِمْ ، وَمُؤَيِّدَةٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ آجْرُمُوا ﴾ (الروم : ٤٧) وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ لَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد : ٢٥) وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمَادِيَّةُ دَالَّةً عَلَى صِدْقِ مَنْ جَاءَ بِهَا ، لِعَجْزِ أَيِّ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا

كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ كُتُبًا سَمَاوِيَّةً لِهَدَايَةِ أَقْوَامِهِمْ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ تُنَزَّلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مُعْجِزَةٌ لَهُمْ تُؤَيِّدُهُمْ فِي دَعْوَتِهِمْ ، وَإِنذَارٌ لِقَوْمِهِمْ ، مِثْلَ الْمُعْجِزَاتِ الْمَادِيَّةِ الْآخَرَى ، الَّتِي أُبْدُوا بِهَا ، كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً ، وَقَلْقِ الْبَحْرِ ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَإِنَّمَا كَانَتْ تُنَزَّلُ لِلْهُدَايَةِ وَالتَّعْبُدِ بِأَمْرِهَا وَتَوَاهِيهَا ، وَالتَّسْتِرِّشَادِ بِهَا ، وَالتَّحْتِكَامِ إِلَيْهَا عِنْدَ التَّنَازُعِ وَالْاِخْتِلَافِ .

أَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَقَدْ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِلْهُدَايَةِ ، وَكَذَلِكَ مُؤَيِّدًا لَهُ فِي دَعْوَتِهِ ، دَالًّا عَلَى صِدْقِهِ . فَاصْبَحَ الْقُرْآنُ مُعْجِزَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَمَعْنَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ : " هُوَ عَدَمُ قُدْرَةِ الْكَافِرِينَ عَلَى مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ ، وَفُضُورِهِمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، رُغْمَ تَوَافُرِ مَلَكَتِهِمُ الْبَيِّنَاتِيَّةِ ، وَقِيَامِ الدَّاعِي عَلَى ذَلِكَ ، وَهُوَ اسْتِمْرَارُ تَحْدِيثِهِمْ ، وَتَقْرِيرِ عَجْزِهِمْ عَنِ ذَلِكَ " (١)

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُتُبَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ لَمْ يَقَعْ الْإِعْجَازُ وَالتَّحْدِي بِهَا مِثْلَ الْقُرْآنِ مَا يَلِي :

١- أَنَّ اللَّهَ تَكَرَّرَ فِي كِتَابِهِ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ ، وَمُحَاوَرَتِهِمْ لَهُمْ ، وَمَا أُبْدُوا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَأَفَاضَ الْقُرْآنُ فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْقِصَصِ ، مِثْلَ قِصَّةِ نُوحٍ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَلَمْ يَرُدَّ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ أَنَّهُمْ حَاجُّوا أَقْوَامَهُمْ بِكُتُبِهِمُ الْمُنَزَّلَةِ ، وَتَحَدَّوْهُمْ وَأَعْجَزَوْهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَوْضِعًا لِلتَّحْدِي .  
أَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَقَدْ ذُكِرَ التَّحْدِي بِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ حَتَّى فِي السُّورِ الْمَدِينِيَّةِ كَسُورَةِ الْبَقُرَةِ .

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للدكتور صلاح الخالدي ص ١٧ .

٢- وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : " مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ لِي فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١) .

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَايِرَ مُعْجَزَتِهِ عَنِ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَخَصَّ مُعْجَزَتَهُ بِكُونِهَا وَحْيًا أَوْحِيَ إِلَيْهِ - وَهُوَ الْقُرْآنُ - وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أُنزِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ كُتُبًا مِثْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا خَاصِّيَّةُ الْإِعْجَازِ كَمَا يَلْمَحُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ ، فَعَلِمَ أَنَّ الْإِعْجَازَ وَالتَّحْدِيَّ إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ : " وَقَوْلُهُ : ( وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا ) أَي : الَّذِي إِخْتَصِمَتْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ هَذَا الْقُرْآنُ الْمُعْجَزُ لِلْبَشَرِ أَنْ يُعَارِضُوهُ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مُعْجَزَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٢) .

وَبِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ فَإِنَّ الْإِعْجَازَ وَالتَّحْدِيَّ خَاصٌّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ، وَلَا يَعْنِي هَذَا عَدَمَ اشْتِمَالِ تِلْكَ الْكُتُبِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ الْإِعْجَازِ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ ، بَلْ فِيهَا بَعْضُ الْوَجْهِ الْمُعْجَزَةِ الْمَذْكُورَةِ لِلْقُرْآنِ مِثْلَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْمُعْتَبَاتِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَكَاشَتْهَا عَلَى التَّشْرِيحَاتِ الْمَلَائِمَةِ لِمَنْ أُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ لِلتَّحْدِيِّ .  
يَقُولُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ نَزَلَتْ بِبَعْضِ الْمَعَانِي الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ قَالَ : " لَا مُعْجَزَةٌ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا تَشْهَدُ لِمَنْ أُنزِلَ إِلَيْهِ بِالتَّصْدِيقِ " (٣) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ فُضَائِلِ الْقُرْآنِ ح ٤٩٨١ ، وَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي

صَحِيحِهِ كِتَابُ الْإِيمَانِ ح ١٥٢

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ لِسُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةَ ٢٣ .  
وَانظُرْ : رِسَالَةٌ عِلْمِيَّةٌ بِعَنْوَانِ : ( فَضْلُ الْقُرْآنِ دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ ) د . عَبْدِ السَّلَامِ الْجَارِ اللَّهِ ص ٣٥٠ .

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ ٢٠٠١/١ .

### المَبْحَثُ الثَّالِثُ المُتَحَدَّى بِالْقُرْآنِ

وبَعْدَ هَذَا العَرَضِ لآيَاتِ التَّحَدِّيِّ فِي القُرْآنِ ، وَذَكَرَ أَنَّ التَّحَدِّيَّ خَاصٌّ بِالْقُرْآنِ الكَرِيمِ ، نَقَفَ فِي هَذَا المَبْحَثِ مَعَ تَسْأُؤٍ قَدْ يَرُدُّ ، أَلَا وَهُوَ : مَنْ الَّذِينَ تَحَدَّاهُمْ اللهُ بِهَذِهِ الآيَاتِ ؟ فَأَقُولُ :

ذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ وَمِنْهُمُ الزَّرْكَشِيُّ<sup>(١)</sup> رَحِمَهُمُ اللهُ إِلَى أَنَّ التَّحَدِّيَّ إِنَّمَا وَقَعَ لِلإِنْسِ دُونَ الجِنِّ ، مُسْتَدِلًّا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الجِنَّ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ الَّذِي جَاءَ القُرْآنُ عَلَى أَسَالِيهِ ، وَإِنَّمَا ذُكِرُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ ( الإسراء : مِنْ الآيَةِ ٨٨ ) تَعْظِيمًا لِإِعْجَازِ القُرْآنِ لِأَنَّ الهَيْئَةَ الاجْتِمَاعِيَةَ لَهَا مِنْ القُوَّةِ مَا لَيْسَ لِلأَفْرَادِ<sup>(٢)</sup> .

وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الجِنَّ مُتَحَدِّونَ بِالْقُرْآنِ أَيْضًا . فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ فَإِنَّهُ شَامِلٌ لِلإِنْسِ وَالجِنِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهَا ﴿ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ . وَالجِنُّ أَيْضًا أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرِّسُولُ ﷺ مِثْلَ الإِنْسِ ، وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ الجِنَّ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ قَوْلٌ غَرِيبٌ ؛ فَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ

مُنذِرِينَ ﴾ الآيَاتِ . ( الأحقاف : ٢٩-٣٢ ) فَإِنَّهُمْ فَهَمُوا القُرْآنَ وَوَعَوْهُ ، ثُمَّ عَادُوا دُعَاةَ رُشْدٍ وَهَدَايَةٍ لِأَقْوَامِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّ الرِّسُولَ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّهُ أَنَا نِي دَاعِيَ الجِنِّ ، فَأَجَبْتُهُمْ أَقْرَبُهُمُ القُرْآنَ " <sup>(٣)</sup> . وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَدِلَّةِ وَالتِّي تُثَبِّتُ سَمَاعَ الجِنِّ لِلْقُرْآنِ ، وَفَهْمَهُمْ لَهُ ... كَمَا أَنَّ هَذَا القَوْلَ تَخْصِيصٌ بِلَا مُخَصَّصٍ ، يَقُولُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ : " وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ ﴾ ( الإسراء : مِنْ الآيَةِ ٨٨ ) عُمُومٌ كُلِّ

(١) هو: محمد بن عبدالله بن بهادر ، أبو عبدالله ، بدر الدين الزركشي ، فقيه أصولي أديب ، صاحب: البرهان في علوم القرآن ، مات في مصر سنة ٧٩٤ هـ .  
انظر: الدرر الكامنة ١٧/٤ ، طبقات المفسرين للداودي ١٥٨/٢ .  
(٢) انظر : البرهان للزركشي ١١١/٢ ، التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٣/١٥ .  
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ح ٤٥٠ ، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير ٤٦٦/٢ وغيرهما .

إِنْسٍ وَجِنٌّ أَبَدًا ، لَا يَجُوزُ تَخْصِيصُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بَعِيرٌ نَصٌّ وَلَا إِجْمَاعٌ " (١)

وعَلَّلَ أَبُو حَيَّانَ (٢) - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ سَبَبَ تَحَدِّيِ الْجِنِّ مَعَ الْإِنْسِ بِقَوْلِهِ: "وَلَمَّا كَانَتْ الْجِنُّ تَفْعَلُ أَفْعَالًا مُسْتَعْرَبَةً كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ أَنْدَرَجُوا مَعَ الْإِنْسِ فِي التَّحَدِّيِّ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي التَّعْجِيزِ... " (٣)

فَالْقُرْآنُ مُعْجِزٌ لِكَافَةِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ . وَالتَّحَدِّيُّ بِالْقُرْآنِ أَيْضًا عَامٌّ لِلْعَرَبِ وَلِغَيْرِهِمْ فِي زَمَنِ نَزُولِ الْقُرْآنِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ " فَالْقُرْآنُ لَيْسَ مُعْجِزَةً مَوْفُوتَةً بِالْفِتْرَةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا ، وَلَا مَحْصُورَةً فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى هَذَا التَّحَدِّيِّ ، وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الزَّمَنِ كُلِّهِ ، وَعَلَى النَّاسِ جَمِيعًا فِي أَجْيَالِهِمُ الْمُتَعَاقِبَةِ " (٤) .

وَقَدْ عَدَّ الرَّمَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٥) مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازَ الْقُرْآنِيَّ: ( التَّحَدِّيُّ لِلنَّاسِ كَافَّةً ) (٦)

وَهَذَا الْعُمُومُ لِلتَّحَدِّيِّ يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٤) ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَادْعُوا مِمَّنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (هُود: ١٣) ، فَالتَّحَدِّيُّ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا يَمْتَدُّ عَلَيْهِ ﴿ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ مِنَ الرَّأغِبِينَ فِي الْمُعَارَضَةِ ، وَلَهُمْ أَنْ يَحْتَسِبُوا مَنْ شَاءُوا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَيَسْتَعِينُوا بِمَا شَاءُوا مِنْ مَخْتَرَعَاتٍ وَلَوْ كَانَتْ الْعُقُولُ الْإِلِكْتَرُونِيَّةُ . وَمَنْ قَصَرَ التَّحَدِّيُّ عَلَى الْعَرَبِ ، وَجَعَلَ عَجْزَهُمْ دَلِيلًا تَفْصِيلِيًّا عَلَى عَجْزِ الْعَالَمِينَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَنِدُ إِلَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الصَّرِيحِ الْمَوْجَّهِ إِلَى الْعَالَمِينَ

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢٦/٣ ، علوم القرآن لحازم سعيد ٢٨٠ و٢٨٧ .

(٢) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين، أبو حيَّان ، نحوي ، لغوي ، مفسر ، مقرئ ، إمام عصره في النحو واللغة، صاحب البحر المحيط في التفسير توفي بالقاهرة سنة ٧٥٤ هـ .

انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٦/٩ ، الأعلام ١٥٢/٧ ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٢٥٠/٣ .

(٣) انظر: البحر المحيط ٢٠٨/٥ .

(٤) إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ٢١٥/١ .

(٥) هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي المعروف بالرمَّاني المعتزلي أبو الحسن ، نحوي لغوي مفسر مقرئ، شيخ العربية ، وأستاذ علوم اللغة في عصره ، توفي سنة ٣٨٤ هـ .

انظر: الأعلام ٣١٧/٤ ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ١٦٣٦/٢ .

(٦) إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ٢١٥/١ .

جَمِيعًا ، كَمَا أَنَّهُ يَتَنَاقَضُ مَعَ عُمُومِ الرِّسَالَةِ الَّتِي يَقْتَضِي عُمُومَ التَّحَدِيِّ (١) .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ قَالَ : " ﴿ وَلَنْ ﴾ لِنَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ ، فَتَبَّتِ لِلْخَبَرِ أَنَّهُمْ فِيمَا يَسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ ، لَا يَأْتُونَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، كَمَا أَخْبَرَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَقُولَ فِي سُورَةِ سُوحَانَ ، وَهِيَ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ ، أَفْتَتَحَهَا بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ ، وَهُوَ كَانَ بِمَكَّةَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ ، وَذَكَرَ فِيهَا مِنْ مَخَاطِبَتِهِ لِلْكَفَّارِ بِمَكَّةَ مَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

﴿ قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) (الإسراء: ٨٨).

فَعَمَّ بِأَمْرِهِ لَهُ أَنْ يُخْبَرَ بِالْخَبَرِ جَمِيعَ الْخَلْقِ ، مُعْجِزًا لَهُمْ ، قَاطِعًا بِأَنَّهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ ، لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، وَلَوْ تَنَظَّهَرُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَيَّ ذَلِكَ ، وَهَذَا التَّحَدِيُّ وَالِدُعَاءُ ، هُوَ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَهَذَا قَدْ سَمِعَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفَهُ الْعَامُّ وَالْخَاصُّ ، وَعِلْمٌ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يُعَارِضُوهُ ، وَلَا أَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَمِنْ حِينِ بُعِثَ وَإِلَى الْيَوْمِ ، الْأَمْرُ عَلَيَّ ذَلِكَ ، مَعَ مَا عَلِمَ مِنْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَلَمَّا بُعِثَ إِنَّمَا تَبِعَهُ قَلِيلٌ.

وَكَانَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَيَّ إِطْطَالِ قَوْلِي ، مُجْتَهِدِينَ بِكُلِّ طَرِيقٍ مُمَكِّنٍ تَارَةً يَذْهَبُونَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ فَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ أُمُورٍ مِنَ الْغَيْبِ ، حَتَّى يَسْأَلُوهُ عَنْهَا ، كَمَا سَأَلُوهُ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ ، وَأَهْلِ الْكَهْفِ ، وَذِي الْقُرْنَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ (٢) ، وَتَارَةً يَجْتَمِعُونَ فِي مَجْمَعٍ بَعْدَ مَجْمَعٍ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَهُ فِيهِ ، وَصَارُوا يَضْرِبُونَ لَهُ الْأَمْثَالَ فَيَشْبَهُونَهُ بِمَنْ لَيْسَ مِثْلُهُ لِمُجَرِّدِ شَيْءٍ مَا ، مَعَ ظُهُورِ الْفَرْقِ ، فَتَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: سَاحِرٌ ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: كَاهِنٌ ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ . إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَعْلَمُونَ هُمْ وَكُلُّ عَاقِلٍ سَمِعَهَا أَنَّهَا اقْتِرَاءٌ عَلَيْهِ.

فَإِذَا كَانَ قَدْ تَحَدَّاهُمْ بِالْمُعَارَضَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَهِيَ تُبْطِلُ دَعْوَتَهُ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهَا لَفَعَلُواهَا ، فَإِنَّهُ - مَعَ وُجُودِ هَذَا الدَّاعِي التَّامِّ الْمُؤَكَّدِ - إِذَا كَانَتِ الْقُدْرَةُ حَاصِلَةً ، وَجَبَ وُجُودُ الْمَقْدُورِ ، ثُمَّ هَكَذَا الْقَوْلُ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَهَذَا الْقَدْرُ يُوجِبُ عِلْمًا بَيِّنًا لِكُلِّ أَحَدٍ بِعَجْزِ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ بِحِيلَةٍ وَبِغَيْرِ حِيلَةٍ ، وَهَذَا أُبْلِغُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يُكْرَرُ جِنْسُهَا؛ كَأَحْيَاءِ الْمَوْتَى ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِهِ (٣) .

(١) انظر: القرآن يتحدى ص ١٥٥ .

(٢) الكلام لشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَيَعْنِي بِهِ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي ٤/٥٦-٥٨ .

(٣) الجواب الصحيح ٧٧/٣ .

وإِذَا عَجَزَ الْعَرَبُ الْمُعَاصِرُونَ لِيَزْمَنَ نُزُولِ الْوَحْيِ ، وَهُمْ أَهْلُ  
الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ ، فَعَجَزَ مَنْ بَعْدَهُمْ أَوْلَىٰ قَائِلُهُ " إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ ذَلِكَ  
الْعَصْرِ كَانُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ أَعَجَزَ ، لِأَنَّ فَصَاحَةَ  
أَوْلِيكَ فِي وَجْهِهِ مَا كَانُوا يَتَفَنَّنُونَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ مِمَّا لَا تَزِيدُ عَلَيْهِ فَصَاحَةُ  
مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِمْ أَنْ يُقَارَبُوهُمْ أَوْ يُسَاوَوْهُمْ ، فَأَمَّا أَنْ يَتَقَدَّمُوهُمْ  
أَوْ يَسْبِقُوهُمْ فَلَا " (١) .

يَقُولُ الْجُرْجَانِيُّ<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ : " إِنَّ الْإِعْجَازَ يَنْبُتُ عَنْ طَرِيقِ عَجْزِ  
الْعَرَبِ عَنْ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّ الْعِبْرَةَ بِعَجْزِ الْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ دُونَ  
الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْ زَمَانِ النَّبُوَّةِ " (٣) .

(١) إعجاز القرآن ، للباقلاني ص ١٩٥ .  
(٢) هو: أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني ، كان عالماً واسع الثقافة ، كما كان  
متكلماً على مذهب الأشعري ، وفقهياً على مذهب الشافعي ، توفي سنة ٤٧١ هـ .  
انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٢/٣ .  
(٣) الرسالة الشافية للجرجاني

## المَبْحَثُ الرَّابِعُ وَجْهُ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ

إِنَّ سِرَّ إعجازِ الْقُرْآنِ وَحَقِيقَتَهُ، أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ، وَكَيْفَ يُشْبِهُهُ كَلَامُ الْمَخْلُوقِينَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى. فَأَعْجَازُ الْقُرْآنِ خَارِجٌ عَنِ مَقْدُورِ الْبَشَرِ أَصْلًا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا وَجْهُ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ مَعَ الْعِلْمِ بَعْدَ مَقْدَرَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ؟ وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أولاً: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ هِدَايَةً لِلنَّاسِ وَدَلَالَةً عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَنْزَلْ لِلتَّحْدِي، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّحْدِي بِهِ مَعَ وُرُودِ الطَّعْنِ وَالشَّكِّ فِيهِ، وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ آيَاتُ التَّحْدِي:

فَآيَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَرَدَ التَّحْدِي فِيهَا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ ذِكْرِ رَبِّبِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ.

وَأَيْتَا سُورَةِ يُوسُفَ، وَسُورَةِ هُودٍ وَرَدَ التَّحْدِي فِيهِمَا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ طَعْنِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، وَقَوْلِهِمْ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ افْتَرَاهُ.

وَأَيَةُ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ وَرَدَ التَّحْدِي فِيهَا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِيَاقِ ذِكْرِ جَدَلِهِمْ وَطَلْبِهِمُ الْآيَاتِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ كَافِيَةٌ، وَالتَّحْدِي بِهَا مُعْنٍ فِي قِيَامِ الْحُجَّةِ دُونَ قَرْنِهِ بِآيَاتٍ أُخَرَ.

وَأَيَةُ سُورَةِ الطُّورِ وَرَدَ التَّحْدِي فِيهَا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ طَعْنِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَقَوْلِهِمْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَقُولُهُ.

ثَانِيًا: أَنَّ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ وَرَدَ مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ الْخَصْمِ؛ لِإِلْزَامِهِ الْحُجَّةَ، وَقَطْعِ الْمَعْذِرَةِ، وَسَدِّ الدَّرَائِعِ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهَا، خَاصَّةً وَأَنَّهُمْ زَعَمُوا الْقُدْرَةَ عَلَى مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يُؤَلَّفُوا مِثْلَهُ لَأَلْفُوا،

وَلَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ ذَلِكَ، وَقَدْ سَجَّلَ الْقُرْآنُ هَذَا الزَّعْمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا

تُنَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ (الأنفال: ٣١) وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ

الْمَدِينِيَّةِ فَإِنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةً، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَحَدِ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ، حِينَمَا عَادَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ بِلَادِ الْفُرْسِ، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَخْبَارَهُمْ

وَحَفِظَ قِصَصَهُمْ وَسَمِعَ تَارِيخَهُمْ (١).

فَجَاءَ التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ لِإِبْطَالِ هَذَا الزَّعْمِ، وَلِيَبَيِّنَ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ وَبِمَنْ جَاءَ بِهِ، لِذَا جَاءَ عَقِبَ آيَاتِ التَّحْدِي بَيَانُ

اتِّقَاعِ الْمُكْذِبِينَ، وَتَمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ تَكْذِيبَهُمْ بَعْدَ التَّحْدِي إِنَّمَا هُوَ جَحْدٌ وَمُعَانَدَةٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ التَّحْدِي إِلَّا الْإِدْعَانُ، أَوْ اسْتِحْقَاقُ

الْعُقُوبَةِ.

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٤٢/١١، أسباب النزول للواحي ص ٢٧٠.

فَأَيُّهُ التَّحْدِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : أَخْبَرَ بَعْدَهَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ بَعْدَ التَّحْدِي وَعَجَزَهُمْ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا النَّارَ بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَإِلَّا فَإِنَّهَا قَدْ أُعِدَّتْ لَهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤) .

وَأَيُّهُ التَّحْدِي فِي سُورَةِ يُوسُفَ : أَخْبَرَ بَعْدَهَا جَلَّ وَعَلَا أَنْ تَكْذِيبَهُمْ بَعْدَ التَّحْدِي وَعَجَزَهُمْ هُوَ مِنْ جِنْسِ تَكْذِيبِ مَنْ قَبْلَهُمْ . فَلْيَنْظُرُوا إِلَى عَاقِبَةِ أَوْلِيكَ ، وَلِيَحْذَرُوا أَنْ تُصِيبَهُمْ كَمَا أَصَابَتْهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس : ٣٩)

وَأَيُّهُ التَّحْدِي فِي سُورَةِ هُودٍ : أَخْبَرَ بَعْدَهَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِمُعَارِضٍ بَعْدَ التَّحْدِي فَقَدْ انْتَقَى الْمُعَارِضُ ، وَاسْتَقَرَّ الدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادِيَّةِ وَحْدَهُ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا التَّسْلِيمُ لَهُ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (هود : ١٤)

وَأَيُّهُ التَّحْدِي فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ : أَخْبَرَ تَعَالَى بَعْدَهَا أَنَّ كُفْرَ النَّاسِ وَجُحُودَهُمْ لَيْسَ عَنْ قُصُورٍ بَيِّنَةٍ ، وَعَجَزٍ فِي الدَّلِيلِ ، وَلَكِنَّهُ جُحُودٌ لِلْحَقِّ وَرَدٌّ لِلْحُجَّةِ وَمُكَابَرَةٌ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء : ٨٩)

وَأَيُّهُ التَّحْدِي فِي سُورَةِ الطُّورِ : أَخْبَرَ تَعَالَى بَعْدَهَا أَنَّ كُفْرَهُمْ وَجُحُودَهُمْ هُوَ الْحَامِلُ لَهُمْ فِي الطَّغْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَوْلِهِمْ : إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ افْتَرَاهُ . ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور : ٣٤) (١) .

(١) انظر : تقييدات في إعجاز القرآن ص ٢٩ .



## المَبْحَثُ الخَامِسُ مَرَاجِلُ التَّحَدِّيِّ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لَقَدْ جَاءَ التَّحَدِّيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُتَنَوِّعًا - كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ - فَمَرَّةً تَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ ، وَمَرَّةً بَعْشَرَ سُورٍ ، وَمَرَّةً بِسُورَةٍ مِنْهُ ، وَمَرَّةً بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ . وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ نَزُولَهَا كَانَ مُتَفَرِّقًا ، لِذَا اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَرْتِيبِ آيَاتِ التَّحَدِّيِّ عَلَى أَقْوَالٍ ، هِيَ :

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ : إِنَّ التَّحَدِّيَّ جَاءَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَصْعَبِ إِلَى الْأَسْهَلِ ، وَمِنَ الْكَثِيرِ إِلَى الْقَلِيلِ .  
فَتَحَدَّاهُمْ أَوْلًا بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدِ قَدْرِ مُعَيَّنٍ ، كَمَا فِي سُورَةِ الطُّورِ : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ .  
فَلَمَّا عَجَزُوا تَحَدَّاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَقْتَرِيَّاتٍ ، كَمَا فِي سُورَةِ هُودٍ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَّتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٣) .

فَلَمَّا عَجَزُوا تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، كَمَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) .  
فَلَمَّا عَجَزُوا أَكَّدَ عَلَيْهِمُ التَّحَدِّيَّ بِالْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِ الْقُرْآنِ ، وَأَكَّدَ عَدَمَ مَقْدَرَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٧) .  
فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤) .  
ثُمَّ سَدَّ عَلَيْهِمْ مَنَافِذَ الْقَوْلِ كَمَا فِي آيَةِ الْإِسْرَاءِ : ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٨٨) .  
وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَ بِهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ وَمِمَّنْ ذَكَرَ هَذَا التَّرْتِيبَ : الزَّرْكَشِيُّ ، وَتَبِعَهُ السِّيُوطِيُّ ، وَقَالَ بِهِ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ (١) .  
وَقَالُوا مُؤَيَّدِينَ مَا دَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذَا التَّسْلُسِ : إِنَّ الْعَقْلَ وَالْمَنْطِقَ يُحْتَمَانِ هَذَا التَّرْتِيبَ ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : أَكْتُبْ مِثْلَ مَا أَكْتُبُ ، فَإِذَا عَجَزَ قَالَ : أَكْتُبْ عَشْرَةَ أَسْطُرٍ مِثْلَ مَا أَكْتُبُ ، وَاسْتَعْنِ بِمَا شِئْتَ مِنْ النَّاسِ ، فَإِنْ عَجَزَ قَالَ لَهُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ : قَدْ أَقْتَصَرْتُ مِنْكَ عَلَى سَطْرٍ

(١) انظر : البرهان للزركشي ١١٠/٢ ، الإتيان للسيوطي ٤/٤ ، مناهل العرفان ٣٣٣/٢ .

واحد ، فإذا ظهر عجزه حال الإنفراد ، وحال الاجتماع والتعاون ، تبين عجزه عن المعارضة على الإطلاق (١).

يقول الفخر الرازي رحمه الله : " واعلم أن التحدّي بعشر سور لأبد وأن يكون سابقاً على التحدّي بسورة واحدة ، وهو مثل أن يقول الرجل لغيره : اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب ، فإذا ظهر عجزه عنه ؛ قال : قد اقتصرت منها على سطر واحد مثله " (٢).

يقول محمد رشيد رضا رحمه الله : " وهذا الترتيب لم يصحّ به نقل ، بل المروي في ترتيب السور يخالفه ، فإن سورة هود نزلت عقب سورة يونس... " (٣).

القول الثاني : ذهب إليه المبرّد ، وتبعه ابن عطية ، والشهاب ، وبعض المتأخرين رحمهم الله تعالى ، وهو أن آيات التحدّي نزلت على غير الترتيب الذي ذكره جمهور المفسرين ، بل إن التحدّي بسورة كما في سورة يونس : ﴿ أم يقولون افترنه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صديقين ﴾ ، وقع قبل التحدّي بعشر سور كما في سورة هود ﴿ أم يقولون افترنه قل فاتوا بعشر سور مثله مفترين وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صديقين ﴾ .

واستندوا في ذلك على ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس ؓ : " في أنه تحدّاهم بسورة مثله في البلاغة ، والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا ؛ تحدّاهم بعشر سور مثله في النظم " . يقول ابن عطية رحمه الله : " وقد اختلف الناس في هذا الموضوع ، فقيل : دعوا إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب ، وغير ذلك من الأوصاف ، وكان ذلك تكليفاً ما لا يطاق ، فلما عسر عليهم خفف بالدعوة إلى المفتريات " (٤).

ووجه الجمهور الرواية بقولهم : " هب أن السورة متقدّمة في النزول ، إلا أنها لما نزلت على التدرّج جاز أن تتأخّر بعض الآيات ومنها آية التحدّي عن هذه ، ولا ينافي تقديم السورة على السورة " (٥).

ويقول محمد رشيد رضا رحمه الله عن جواب الجمهور : " وهذا الجواب إنما يقال فيما تصحّ الرواية في تأخر نزوله وتقدّمه ، ولا يصحّ

(١) انظر : مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم ٣٦-٤٢ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٠٢/١٧ .

(٣) تفسير المنار ٣٢/١٢ .

(٤) المحرر الوجيز ١١٥/٩ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ١١٥/٩ معالم التنزيل للبغوي ١٦٥/٤ .

بالتحكّم المحض فيما هو خلاف الأصل الثابت بالنقل ، وأبعده عن التصوّر أن يكون في موضوع واحد في سورتين متعاقبتين... (١) إلى أن قال في موضع آخر: " وإئني أجزم هنا- بعد التأمل في جميع آيات التحدّي ، وتاريخ نزول سورها- أنها لم يكن مراعى بها الترتيب التاريخي في مخاطبة المشركين كما زعم جمهور المفسرين ، بل ذكر كل منها بمناسبة سياق سورته... (٢) .

القول الثالث : إن آيات التحدّي ليست مرتبة ، وأن التحدّي لم يكن مرحلياً متدرجاً . ومما يرجحه ما يلي :

١- أن الترتيب يحتاج إلى دليل صحيح ممن شاهدوا النزول ، يثبت ترتيب نزول آيات التحدّي ، وهذا ما لم أقف عليه ، خاصة وأن هناك آيات مكّية نزلت في سور مدنيّة والعكس كذلك ، فالمسألة لا تعتمد على العقل وإنما مآلها النقل ، ولا يمكن الاعتماد عليه إلى حد كبير فقد كثر الاختلاف فيه كما قلت فيه الدقة .

٢- أن التحدّي في القرآن كان بالكيف لا بالكمّ والمقدار ، فاستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور أو القرآن كله ، إذ كنه متعذر .

فلا أثر إذا للاختلاف في ترتيب آيات التحدّي إذ جميع القرآن معجز قليله وكثيره ، والله أعلم .

(١) تفسير المنار ٣٣/١٢ .  
(٢) المرجع السابق ٤٤/١٢ .

### المَبْحَثُ السَّادِسُ

#### الْقَدْرُ الْمُعْجَزُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَبَعْدَ هَذَا الْعَرْضِ الْمَوْجَزِ لِمَرَاكِبِ التَّحَدِّيِّ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّ مِمَّا يَنْصِلُ بِهِ الْحَدِيثُ عَنِ الْقَدْرِ الْمُعْجَزِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَأَقُولُ :

لَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ سَلْفًا وَخَلْفًا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجَزٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَهُمْ فِي تَحْدِيدِ الْقَدْرِ الْمُعْجَزِ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى أَقْوَالٍ ، مِنْهَا :

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ : إِنَّ الْإِعْجَازَ مُتَعَلِّقٌ بِجَمِيعِ الْقُرْآنِ لَا بَعْضِهِ ، وَيَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ (١) ، قَالَ السِّيُوطِيُّ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِهَذَا الْقَوْلِ : " وَالْآيَاتَانِ السَّابِقَتَانِ تَرُدُّهُ " (٢) . وَيَعْنِي بِهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (يُونُسُ : مِنَ الْآيَةِ ٣٨) ، وَقَوْلُهُ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ﴾ (هُودُ : مِنَ الْآيَةِ ١٣) .

فُلْتُ : وَمِمَّا يَرُدُّهُ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَحَدَّى بِالْقُرْآنِ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ وَقْتَهُ قَدْ اكْتَمَلَ نُزُولُهُ

الْقَوْلُ الثَّانِي : إِنَّ الْقَدْرَ الْمُعْجَزَ مُتَعَلِّقٌ بِسُورَةٍ تَامَةٍ قَصِيرَةٍ كَانَتْ أَوْ طَوِيلَةٍ . وَذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ . وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ وَقَوْلُهُ :

﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ .

الْقَوْلُ الثَّلَاثُ : إِنَّ الْقَدْرَ الْمُعْجَزَ يَتَعَلَّقُ بِقَدْرِ السُّورَةِ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِذَا كَانَتْ آيَةٌ بِقَدْرِ حُرُوفِ سُورَةٍ - وَإِنْ كَانَتْ كَسُورَةِ الْكَوْثَرِ - فَذَلِكَ مُعْجَزٌ ، قَالَهُ الْبَاقِلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ مُسَوِّغًا ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى عَجْزِهِمْ عَنِ الْمَعَارَضَةِ فِي أَقَلِّ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ

الْقَوْلُ الرَّابِعُ : أَنَّ الْقَدْرَ الْمُعْجَزَ يَتَعَلَّقُ بِالْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْقُرْآنِ

الْقَوْلُ الْخَامِسُ : إِنَّ الْقَدْرَ الْمُعْجَزَ مُتَعَلِّقٌ بِقَلِيلِ الْقُرْآنِ وَكَثِيرِهِ ، فَالْقُرْآنُ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ مُعْجَزٌ دُونَ تَحْدِيدِ اللَّعْدَدِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطُّورُ : ٣٤) . فَقَوْلُهُ : ﴿ بِحَدِيثٍ ﴾ مُطْلَقٌ يَشْمَلُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ .

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَذَهَبَ سَائِرُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ مُعْجَزٌ ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ ، وَلَا صِحَّةُ لَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَقُلْ أَنَّ مَا دُونَ السُّورَةِ لَيْسَ مُعْجَزًا بَلْ قَدْ قَالَ تَعَالَى عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، وَلَا

(١) انظر : إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥٤ ، الإتقان للسيوطي ١٧/٤ .

(٢) الإتقان ١٧/٤ .

يَخْتَلِفُ اثْنَانِ فِي أَنْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ قُرْآنٌ ، فَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ مُعْجَزٌ " (١)

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذا القول هو الراجح ، وذلك أن التحدّي بجنس القرآن لا بالمقدار. لذا جاء التحدّي مرة بالقرآن، ومرة بعشر سور، ومرة بسورة من مثله.

ومما يرجّحُه أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٦) فلو لا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه - لأي جزء من كلام الله - ، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة. فالمقدار المعجز من القرآن هو كل ما أدى لفكرة كاملة ، سواء بمقدار القرآن كاملاً ، أو عشر سور ، أو سورة واحدة ، وربما نقص عن مقدار سورة - وأقصر سورة هي سورة الكوثر - كآية ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٩) ، وربما زاد عنها كثيرًا ، أو كان آية واحدة كآية الدّين (٢).

### المبحث السابع الصرفه وآيات التحدّي

إن مما يتصل بآيات التحدّي الحديث عن الصرفه ؛ والصرفه لغة على وزن فعلة - بفتح الفاء واللام وسكون العين -: رد الشيء عن وجهه ، يقال: صرفه يصرفه ، صرفًا ، فأنصرف ، وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه. (٣)

ويراد بها اصطلاحًا : صرف العرب عن معارضة القرآن ، وسلب عقولهم عنها ، وكانت في مقدورهم ، لكن عاقبهم أمر خارجي ؛ فصار معجزة كسائر المعجزات ، وأول من جهر بالصرفه ، ودعا إليها: إبراهيم بن سيار النّظام المعنّزلي (ت ٢٢٠ هـ) (٤).

والقول بالصرفه باطل بلا شك ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو بسلب القدرة الجازمة ، وهو أن

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٧/٣ .  
(٢) انظر: إعجاز القرآن للبقلائي ص ٢٥٤ ، البرهان للزركشي ١٠٨/٢ ، الإتيقان للسيوطي ١٧/٤ ، فكرة إعجاز القرآن للحمصي ٢٣ ، دراسات في علوم القرآن للرومي ٢٧٠ .  
(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ٣٢٨/٧ (مادة صرف).  
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن ٩٣/٢ ، الإتيقان في علوم القرآن ٤/٤ .

الله صَرَافَ قُلُوبِ الْأُمَمِ عَنِ مُعَارَضَتِهِ مَعَ قِيَامِ الْمُفْتَضَى التَّامِّ ، أَوْ سَلْبِهِمُ  
الْقُدْرَةَ الْمُعْتَادَةَ فِي مِثْلِهِ سَلْبًا عَامًّا " (١)

وَلَنْ أُثْبِتَ بَطْلَانَهُ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ ؛ فَإِنَّ كُتُبَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، بَلْ  
وَكُتُبَ عُلُومِ الْقُرْآنِ غَالِبًا مَا تَتَطَرَّقُ لِهَذَا الْقَوْلِ ، وَتُقَدِّهُ  
إِلَّا أَنِّي أُشِيرُ هُنَا إِلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ يَسْتَشْهَدُونَ بِآيَاتِ التَّحْدِي عَلَى  
إِدْكَارِ الصَّرْفَةِ ، وَوَجْهَ إِنْكَارِهِ أَنَّ اللَّهَ تَحْدَى بِالْقُرْآنِ نَفْسِهِ - لَمْزَايَا  
وَخَصَائِصَ اسْتَقَرَّتْ فِيهِ تَقْصِيرُ طَاقَةِ الْبَشَرِ وَفُتْرَتُهُمْ عَنْ مُضَاهَاتِهَا - وَلَيْسَ  
بِأَمْرٍ خَارِجٍ عَنْهُ ، وَهُوَ الصَّرْفَةُ . وَقَدْ تَحْدَى اللَّهُ بِالْقُرْآنِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ،  
وَاسْتَتَارَ حَمِيَّتُهُمْ ، وَكَرَّرَ التَّحْدِي وَالتَّقْرِيعَ بِهِ ، وَدَعَا إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِكُلِّ مَنْ  
يُمْكِنُ الْإِسْتِعَانَةَ بِهِ ؛ لِلإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانُوا مَصْرُوفِينَ لَمَا كَانَ فِي هَذَا  
التَّحْدِي قَائِدُهُ

وَمِمَّنْ أَبْطَلَ الْقَوْلَ بِالصَّرْفَةِ بِآيَاتِ التَّحْدِي الْبَاقِلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ ، حَيْثُ  
قَالَ : " وَمِمَّا يُبْطَلُ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْقَوْلِ بِالصَّرْفَةِ : أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْمُعَارَضَةُ  
مُمْكِنَةً وَإِنَّمَا مَنَعَ مِنْهَا الصَّرْفَةُ لَمْ يَكُنْ الْكَلَامُ مُعْجَزًا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْمَنْعُ  
مُعْجَزًا ، فَلَا يَتَضَمَّنُ الْكَلَامُ فَضِيلَةً عَلَى غَيْرِهِ فِي نَفْسِهِ " (٢)

وَمِمَّنْ أَبْطَلَ الْقَوْلَ بِالصَّرْفَةِ بِآيَاتِ التَّحْدِي أَيْضًا الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ،  
حَيْثُ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِآيَةِ الْإِسْرَاءِ : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا  
بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٣٨) : " وَهَذِهِ  
الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُثْبِتُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ أَرْخَى لَهُمُ الْعِنَانُ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي  
الْمُعَارَضَةِ ، وَمُنِحُوا الْقُدْرَةَ عَلَى التَّعَاوُنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَشَتَّانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ  
سَلَبُوا الْقُدْرَةَ عَلَى الْحَرَكَةِ فِي حَالِ صِحَّتِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ " (٣) . وَغَيْرِهِمْ مِنْ  
الْعُلَمَاءِ ، وَلَعَلَّ فِيمَا ذَكَرْتُ كِفَايَةً .

وَبِالْتَّفَلُّ عَنِ هَذَيْنِ الْإِمَامَيْنِ - وَهُمَا مِنْ أَشْهَرِ مَنْ أَلْفَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ -  
يَبَيِّنُ أَنَّ آيَاتِ التَّحْدِي دَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ الْقَوْلِ بِالصَّرْفَةِ ، وَقَدْ أَبْطَلَ بِهَا  
غَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٧٩/٤ .

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ٧٧ .

(٣) انظر: رسالة "بيان إعجاز القرآن" للخطابي ص ٢٣ .

## المَبَحَثُ الثَّامِنُ مَوْقِفُ الْعَرَبِ أَمَامَ آيَاتِ التَّحَدِّيِّ

لَقَدْ بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي وَقْتٍ بَلَغَتْ فِيهِ الْعَرَبُ أَرْفَعَ مُسْتَوَى عَرَفْتُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ، وَارْتَقَوْا فِي ذَلِكَ فَوْقَ جَمِيعِ الْأُمَمِ مَرَاتِبَ ظَاهِرَةً . وَقَدْ أَيْدَى اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِآيَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى صِدْقِهِ ، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، وَكَانَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مُعْجَزَتَهُ الْخَالِدَةَ ، وَقَدْ فَاجَأَ الْقُرْآنُ الْعَرَبَ بِمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ ، فَبَهَنَهُمْ وَحَبَّرَهُمْ ( وَمَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ ذَكَرَ آبَاءَهُمْ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّونَ ، وَذَكَرَ أَوْلِيَانَهُمْ بِغَيْرِ مَا يُؤْمِنُونَ ، لَمْ يَتَحَرَّكُوا لِأَنَّهُمْ يَقُولُوا بِمِثْلِهِ ، وَأَذَعُوا لِبَلَاغَتِهِ وَقُوَّتِهِ ... وَأَنَّ الْقُرْآنَ تَحَدَّى أَنَّهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ؛ فَمَا فَعَلُوا ، بَلْ مَا تَحَرَّكَ الْعُقَلَاءُ فِيهِمْ لِأَنَّهُمْ يَفْعَلُوا ، حَتَّى لَا يَسْفُتُوا فِي تَفْكِيرِهِمْ ، وَهُمْ أَمَامَ رَجُلٍ كَبِيرٍ فِي قَوْمِهِ وَعَقْلِهِ ، وَمَعَهُ آيَاتُ اللهِ تَعَالَى ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى عَجْزِ مُطْلَقٍ ) (١)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبْرٍ رَحِمَهُ اللهُ : " وَأَشْهَرُ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ الْقُرْآنُ ، لِأَنَّهُ ﷺ تَحَدَّى بِهِ الْعَرَبَ - وَهُمْ أَفْصَحُ النَّاسِ لِسَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ اقْتِدَارًا عَلَى الْكَلَامِ - بِأَنَّهُمْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا مَعَ شِدَّةِ عِدَاوَتِهِمْ لَهُ ، وَصَدَّهُمْ عَنْهُ " (٢)

وَعَجْزُ الْعَرَبِ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ تَابِتٌ ثَبُوتًا لَا مَجَالَ لِلرَّيْبِ فِيهِ ، فَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأَمْصَارُ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَجْزِهِمْ تَكْوِينُهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ اسْتِمْرَارِ التَّحَدِّيِّ لَهُمْ مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى الْمُعَارَضَةِ لَمَا عَدَلُوا عَنْهَا وَخَاضُوا الْحُرُوبَ ضِدَّ النَّبِيِّ ﷺ بَدِيلًا عَنْهَا ، وَأَنَّ مُحَاوَلَةَ مُسَلِّمَةِ الْكُذَّابِ عَلَى الْمُعَارَضَةِ ثَبِينٌ مِقْدَارٌ إِذْرَاكَ الْعَرَبِ لِعَجْزِهِمْ ، إِذْ لَمْ يُحَاوَلُوا الْمُجَارَاةَ حَتَّى لَا يَسْفُتُوا ، وَيَكُونُوا أَضْحُوكَةً بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَوْضِعَ سُخْرِيَّةٍ يَسْخَرُونَ بِعُقُولِهِمْ .

يَقُولُ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللهُ : " لَمْ يَزَلْ ﷺ يَقْرَعُهُمْ أَشَدَّ التَّقْرِيعِ ، وَيُوبِّخُهُمْ غَايَةَ التَّوْبِيخِ ، وَيُسَقِّهُمُ أَحْلَامَهُمْ ، وَيَحْطُ أَعْلَامَهُمْ ، وَيُسَيِّتُ نِظَامَهُمْ ، وَيَذِمُّ آلِهَتَهُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَيَسْتَبِيحُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَهُمْ فِي كُلِّ هَذَا نَاكِصُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، مُحْجَمُونَ عَنْ مُمَاتَلَتِهِ ، يُخَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّشْغِيبِ وَالتَّكْذِيبِ ، وَالِاعْتِرَارِ وَالِاقْتِرَاءِ ، وَقَوْلِهِمْ : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ (الم: ٢٤) ،

و ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمَرٌّ ﴾ (القمر: ٢) ، و ﴿ إِنْكَ أَقْرَبَهُ ﴾ (الفرقان: ٤) ، و ﴿ أَسْطَرِجُ الْأَوْلِينَ ﴾

(١) انظر : المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص ٧٢ .

(٢) انظر : فتح الباري ، كتاب المناقب باب ٢٢ .

(في سور منها: الأنعام: ٢٥)، والمباهنة والرضا بالذنيبة، كقولهم: ﴿قُلُوبَنَا عَلَفٌ﴾ (البقرة: ٨٨)، و﴿قُلُوبَنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ ﴿وَفِيءَاذَانَنَا وَقَرٌّ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ (فصلت: ٥)، و﴿لَا سَمْعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَافِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦)، والإدعاء - مع العجز - بقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (الأنفال: ٣١)، وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ (البقرة: ٢٤). فَمَا فَعَلُوا وَمَا قَدَرُوا .

وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ سُخْفَانِهِمْ كَمُسَلِّمَةِ الْكَذَّابِ ، كَشَفَ عَوَارَةَ لَجَمِيْعِهِمْ ، وَسَلَبَهُمْ - وَاللَّهِ - مَا أَلْفَوْهُ مِنْ فَصِيحِ كَلَامِهِمْ ، وَإِلَّا فَلَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الْخَبْرَةِ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَمَطِ فَصَاحَتِهِمْ ، وَلَا جِنْسِ بِلَاغَتِهِمْ ، بَلْ وَلَوْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ، وَأَتَوْا مُدْعِينَ مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَفْتُونٍ " (١)

ومن سياق الأخبار المتواترة يتضح أن عجزهم اقتدرن بأمر:

١ - إعجابهم بعلوه أن يصل إليه أحد من البشر . فهذا الوليد بن المغيرة يقول عن القرآن - مع كفره وعنايته وشدته عداوته - : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني ، أعرف رجزها وقصيدها ، والله ما يشبه الذي يؤوله شيئاً من ذلك ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغديق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، ما يقول هذا بشر . (٢)

وقد قال ذلك الوليد بن المغيرة في مجمعهم فما أنكروا عليه ذلك ولكنهم أنكروا الإيمان به .

٢ - أنهم ومع شركهم واستكبارهم يحدبون إليه ويريدون أن يسمعه .

فروى ابن إسحاق قال حدثني الزهري ، قال : حدثت أن أبا جهل ، وأبا سفيان ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فنلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا قلوبكم بعض سفاهتكم لأوقعتم في أنفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا : لا نبرح حتى نعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال :

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢١٩/١ .  
 (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٩/٢٢ سورة المدثر) وغيره ، وكان هذا سبب نزول آيات من سور المدثر .



أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله ! لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها . فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ ، فقال : ماذا سمعت؟ ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجأنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه؟ والله ! لا نؤمن به أبداً ولا نصدقُه . فقام عنه الأخنس بن شريق (١) .

٣- أن القرآن كان سبباً في دخول بعضهم الإيمان حين عرفوا إعجازه ؛ فقد سجل لنا التاريخ عدداً من الصحابة الذين كانوا على جاهلية فلامس القرآن شغاف قلوبهم ، وملك أفئدتهم وعقولهم فعرفوا أنه الحق وأمنوا به ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه حديثاً طويلاً عن إسلامه وفيه : أن أنيساً أبا أبي ذر ذهب إلى مكة ثم عاد فقال لأبي ذر : ( لقيت رجلاً بمكة على دينك . يزعم أن الله أرسله . قلت : فما يقول الناس؟ قال : يقولون : شاعرٌ ، كاهنٌ ، ساحرٌ . وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة . فما هو بقولهم . ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر (٢) . فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي ، أنه شعرٌ . والله ! إنه لصادقٌ . وإنهم لكاذبون . قال : قلت : فأكفني حتى أذهب فأنظر . وآمن ... ) (٣)

وسمعه جبير بن مطعم فتأثر به فآمن ، أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن محمد بن جبير عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في المغرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي (٤) .

والطفيّل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه شاعرٌ يُفرّق بين الكلام الحسن والكلام الرديء ، سمع القرآن فآمن به ، وغيرهم كثير (٥) .

فَعَجَزَ الْعَرَبُ الْكَافِرُونَ الْفُصَحَاءُ عَنِ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يَتِمَّ كُنُوتُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَا طَلَبَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ حِينَ مَا تَحَدَّاهُمْ ، وَإِذَا تَبَيَّنَ عَجْزُ الْعَرَبِ فَهُوَ عَجْزٌ لِعَيْرِهِمْ إِذْ هُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ فَغَيْرُهُمْ أَحْرَى وَأَوْلَى ، لِذَا تَتَابَعَتْ الْقُرُونُ وَظَلَّ الْإِعْجَازُ الْقُرْآنِيُّ رَاسِحًا كَالطُّودِ الشَّامِخِ تَذِلُّ أَمَامَهُ الْأَعْنَاقُ

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق، فقرة ٢٣٢، ص ١٦٩، تحقيق محمد حميد الله، مطبعة محمد الخامس، المغرب، سنة ١٣٩٦. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣١٥/١، تحقيق السقا وآخرون .

(٢) أقرء الشعر : طريقه وبحوره .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي ذر رضي الله عنه ح ٢٤٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي باب ٩ ح ٣١٨١ .

(٥) انظر : المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص ٧٦ .

لا تَتَفَكَّرُ فِي أَنْ تُدَانِيَهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ تُسَامِيَهُ ، لِأَنَّهَا أَشَدُّ عَجْزًا وَأَقْلُ طَمَعًا  
فِي هَذَا الْمَطْلَبِ الْعَزِيزِ ، وَسَيَظِلُّ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ <sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر : النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨٣ وما بعدها ، فقد استعرض عجز  
العرب الأول أثناء نزول القرآن ومن بعدهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

## المَبْحَثُ التَّاسِعُ مُعَارَضَةُ الْقُرْآنِ

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفْتِ - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ - مِنَ الْمَبْحَثِ السَّابِقِ عَجَزَ الْعَرَبِ عَنِ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، حِينَ تَحَدَّاهُمْ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ، رَأَيْتِ أَنْ أَسْوَكَ لَكَ أَنَّ التَّأْرِيخَ قَدْ ذَكَرَ عَنِ أَنَسٍ لَهُمْ بَعْضَ الْمَحَاوَلَاتِ لِمُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ " فَجَاءُوا فِي مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ بِكَلَامٍ لَا يُشْبِهُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يُشْبِهُ كَلَامَ أَنْفُسِهِمْ ، بَلْ نَزَلُوا بِهِ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ السَّخْفِ وَالنَّفَاقَةِ بَادِ عَوَارِهِ ، بَاقِ عَارِهِ وَسَنَارِهِ : فَمِنْهُمْ عَاقِلٌ اسْتَحْيَا أَنْ يُبَيِّنَ تَجْرِبَتَهُ ، فَحَطَّمَ قَلَمَهُ وَمَرَّقَ صَحِيفَتَهُ ، وَمِنْهُمْ مَآكِرٌ وَجَدَ النَّاسَ فِي زَمَانِهِ أَعْقَلَ مِنْ أَنْ تَرُوجَ فِيهِمْ سَخَافَاتِهِ ، فَطَوَى صُحُفَهُ وَأَخْفَاهَا إِلَى حِينٍ ، وَمِنْهُمْ طَائِشٌ بَرَزَ بِهَا عَلَى النَّاسِ . فَكَانَ سُخْرِيَةً لِلسَّاخِرِينَ وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ . فَمَنْ حَدَّثْتَهُ نَفْسَهُ أَنْ يُعِيدَ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ مَرَّةً أُخْرَى فَلْيَنْظُرْ فِي تِلْكَ الْعِبَرِ ، وَلْيَأْخُذْ بِأَحْسَنِهَا . وَمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ فَلْيَصْنَعْ مَا شَاءَ " (١)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَقَدْ انْتَدَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ لِمُعَارَضَتِهِ ، لَكِنْ جَاءَ بِكَلَامٍ فَضَحَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَظَهَرَ بِهِ تَحْقِيقُ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ عَجَزِ الْخَلْقِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، مِثْلَ قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ... " (٢)

وهذه المحاولات لمعارضة القرآن لم أكن أودُّ أن أسودَّ بها هذا البحث ، لولا أن ذكرها يبين مقدار إذراك المشركين ، إذ لم يحاولوا المجارة ، حتى لا يسفوا ويكفروا أضحوكة بين العرب ، وموضع سخريته يسخرون بعقولهم . كما أن ذكرها يبين مدى قدرة البشر على المعارضة ، إذ إن ( ما أتوا به باسم المعارضة ، لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة مخجلة : أخلجهم أمام الجماهير ، وأضحكت الجماهير منهم ، فبأءوا بغضب من الله ، وسخط من الناس ، وكان مصرعهم هذا كسبا جديدا للحق ، وبرهاننا ماديا على أن القرآن كلام الله القادر وحده ، لا يستطيع معارضته إنس ولا جان ، ومن ارتاب فأمامه الميدان ) (٣)

فَيَذْكَرُ التَّأْرِيخُ عَنِ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ قَوْلَهُ مُعَارِضًا الْقُرْآنَ : " يَا ضَيْفَدَعُ بِنْتُ ضَيْفَدَعِينَ . نَفِي مَا تَنْفِينَ . نِصْفُكَ فِي الْمَاءِ وَنِصْفُكَ فِي الطِّينِ . لَا الْمَاءُ تَكَدِّرِينَ . وَلَا الشَّرَابُ تَمْنَعِينَ " وَقَوْلُهُ : " وَاللَّيْلِ الدَّامِسِ . وَالذَّنْبِ الْهَامِسِ . مَا قَطَعْتَ أُسَيْدًا مِنْ رَطْبٍ وَلَا يَابِسًا "

(١) النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨١ .  
(٢) انظر : الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٨١/٤ .  
(٣) انظر : مناهل العرفان ٣٥٧/٢ .

وَقَوْلُهُ : " الْفَيْلُ . مَا الْفَيْلُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَيْلُ . لَهُ ذَنْبٌ وَبَيْلٌ . وَخَرَطُومٌ طَوِيلٌ " (١)

وَنَظْرًا لِاحْتِرَامِي لِدَوْقِكَ الرَّفِيعِ - أَبْهَا الْقَارِئِ الْكَرِيمِ - فَإِنِّي أَكْتَفِي بِمَا ذَكَرْتَ . ( وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِسْقَافِ لَيْسَ مِنَ الْمَعَارِضَةِ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، وَأَيْنَ مُحَاكَاةُ الْبَيْعَاءِ مِنْ فَصَاحَةِ الْإِنْسَانِ ، وَأَيْنَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ السُّوقِيَّةُ الرَّكِيكَةُ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الرَّفِيعَةِ ، وَمَعَانِيهِ الْعَالِيَةِ ؟ وَهَلْ الْمَعَارِضَةُ إِلَّا الْإِثْيَانُ بِمِثْلِ الْأَصْلِ فِي لُغَتِهِ ، وَأَسْلُوبِهِ وَمَعَانِيهِ أَوْ بَارَقِي مِنْهُ فِي ذَلِكَ ؟ ) (٢)

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ (٣) قَدْ شَكَكَ فِي ثُبُوتِ مَعَارِضَةِ مُسَيَّلِمَةٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعَرَبِ لِلْقُرْآنِ بِحُجَّةٍ تَقْدُمُ هُوْلَاءِ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِعَجْزِهِمُ الْبَالِغِ أَمَامَهُ . وَقَالُوا : إِنَّ مَا رَوَى لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا أوردَهَا الْإِخْبَارِيُّونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَسْخَرُوا بِهِوْلَاءِ ، وَيَسْتَهْزِئُوا بِهِمْ . قُلْتُ : وَلَا أَرَى أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ لِمُنَاقَشَةِ هَذَا الْقَوْلِ وَإِبْطَالِهِ إِلَّا أَنَّنِي أَقُولُ : إِنَّ مَنْ ادَّعَى النَّبُوَّةَ لَمْ يُسْتَعْرَبْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ مِنْ مِثْلِ هَذَا ، وَسَلَّكَ كُلَّ سَبِيلٍ - وَلَوْ كَانَ مُخَالَفًا لِطَبِيعَتِهِ وَسَجِيَّتِهِ - مِنْ أَجْلِ أَنْ يُثَبِّتَ مَا ادَّعَاهُ .

(١) انظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٧٦/٤-٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) وممن قال بذلك: د. صلاح الخالدي في كتابه إعجاز القرآن البياني ص ٧٧ .

## الخاتمة

- في خاتمة هذا البحث أسطرٌ ملخصاً له ، وأهم نتائجِه :
- ١- جمعتُ فيه جميع آياتِ التَّحْدِي ، والتي تحدَّى اللهُ بها الإتيانَ بمثلِ هذا القرآنِ ، أو بعضه ، وقد وردَ التَّحْدِي بالقرآنِ الكريمِ في خمسِ سورٍ منه : في سورة البقرة ، وفي سورة يونس ، وفي سورة هود ، وفي سورة الإسراء ، وفي سورة الطور .
  - ٢- تمَّ معرفتهُ أقوالَ العلماءِ في المنحدِّي بهم في تلك الآياتِ ، وأنَّ الرَّاجِحَ أنَّ جميعَ الثَّقَلَيْنِ مُنحدِّونَ بالإتيانِ بمثلِ هذا القرآنِ إلى قيامِ الساعةِ .
  - ٣- أنَّ آياتِ التَّحْدِي جاءتْ بعدَ أن طعنَ المشركونَ في القرآنِ وشكَّوا فيه ، كما جاءتْ لإلزامهم الحُجَّةَ وقطعَ المعذرةِ . وإلا فالقرآنُ خارجٌ عن مقدورِ البشرِ ، لا يُمكنُ أن يأتوا بمثله .
  - ٤- ذُكرتُ فيه أقوالَ العلماءِ في مراحلِ آياتِ التَّحْدِي وترتيبِ آياتِها ، وأنَّ الرَّاجِحَ أنَّ التَّحْدِي لم يكنْ مرحلياً مُتدرِّجاً .
  - ٥- بيَّنتُ فيه أقوالَ العلماءِ في القدرِ المعجزِ من القرآنِ ، وأنَّ الرَّاجِحَ أنَّ القدرَ المعجزَ متعلقٌ بقليلِ القرآنِ وكثيره ، دونَ تحديدٍ للعددِ .
  - ٦- بيَّنتُ فيه وجهَ استشهادِ العلماءِ بآياتِ التَّحْدِي على إبطالِ القولِ بالصرْفَةِ .
  - ٧- ذُكرتُ فيه عجزَ العربِ عن معارضةِ القرآنِ مع فصاحتهم وبلاغتهم ، بل وإعجابهم بفصاحتِهِ وبيانه ، وأنجذابهم له ، وتأثر كثيرٍ منهم به ، ممَّا يدلُّ على أنَّ القرآنَ من عندِ الله .
  - ٨- ذُكرتُ فيه بعضَ المحاولاتِ لمعارضةِ القرآنِ الكريمِ . والتي دلَّتْ على إعجازِ القرآنِ ، إذ إنَّ تلكَ المحاولاتِ أصبحتْ للسخريةِ والنُّذُرِ بقائلِها .
  - ٩- أنَّ اللهَ تحدَّى بالقرآنِ الكريمِ جميعَ الثَّقَلَيْنِ أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ ، فما فعلوا ولن يفعلوا ، وقد تحدَّى اللهُ المشركينَ ، وهم أهلُ الفصاحةِ والبيانِ ، وعلى شِدَّةِ كراهيتهم لمحمدٍ ﷺ ولما جاء به ، فما استطاعوا ذلكَ ، فدلَّ عجزُهم على أنَّ القرآنَ من عندِ الله .
- هذه أهمُّ نتائجِ البحثِ ، وقد بدلتُ فيه ما استطعتُ من جُهدٍ ووقتٍ ، إلا إنِّي كلِّي أملٌ بأن يلاقيَ البحثُ قارئاً كريماً ، يقبلُ صوابه ، ويصوبُ خطأه ، ويعفو عن زلله .
- واللهُ أسألُ أن يكونَ ما كتبتُ خالصاً لوجهِ الكريمِ ، وأن يوفِّقنا لهداهُ ، وأن يجعلَ عملنا في رضاهُ ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلى اللهُ وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه إلى يومِ الدين .



## فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

١. الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ، للسيوطي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٥ هـ .
٢. إِعْجَازُ الْقُرْآنِ ، للباقلاني ، تحقيق السيد صقر ، دار المعارف بمصر .
٣. إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط ١٤٢٧ ، ٦ .
٤. إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْبَيِّنَاتِيِّ وَدَلَائِلُ مَصْدَرِهِ الرَّبَّانِيِّ ، د. صلاح الخالدي ، دار عمار ، الأردن ، ط الأولى ١٤٢١ .
٥. الْبَحْرُ الْمَحِيْطُ ، لأبي حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي .
٦. الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ، للزرخشى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩١ م .
٧. تَأْوِيلُ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ ، ابن قتيبة ، تحقيق السيد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .
٨. التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر .
٩. تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ = جَامِعُ الْبَيَانِ
١٠. تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، ابن كثير الدمشقي ، تقديم يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧ .
١١. التَّفْسِيرُ الْمُنِيرُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْمَنْهَجِ ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، ط الأولى ١٤١١ .
١٢. تَقْيِيدَاتٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، د. مُحَمَّدُ الشَّظِيفِي ، دار ابن عفان ، السعودية الخبر ، ط الأولى ١٤١٨ .
١٣. ثَلَاثُ رَسَائِلٍ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، الرَّمَّانِي وَالْخَطَّابِيُّ وَالجُرْجَانِيُّ .
١٤. جَامِعُ الْبَيَانِ عَنِ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: د. عبدالله التركي ، هجر للطباعة والنشر ، ط الأولى ، ١٤٢٢ .
١٥. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، للقرطبي ، دار الكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ ، ط الثانية ، ١٣٧٢ هـ .
١٦. جَمَالُ الْقُرْآنِ وَكَمَالُ الْإِقْرَاءِ ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق علي البواب ، مطبعة المدني ، ط الأولى .
١٧. الْجَوَابُ الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَلَ دِينَ الْمَسِيحِ ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق مجدي سالم ، توزيع مكتبة البلد الأمين بجمده ، ط الأولى ١٤١٤ هـ .
١٨. دَرَاْسَاتٌ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، د. فهد الرومي ، مكتبة التوبة في الرياض ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٠ .
١٩. رُوحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، لمحمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٠. الشُّفَا بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى ، للقاضي عياض اليعصبي ، دار التراث ، القاهرة .
٢١. صَحِيحُ الْإِمَامِ الْبَخَارِيِّ ، مطبوع مع فتح الباري ترقيم عبد الباقي .
٢٢. صَحِيحُ الْإِمَامِ مُسْلِمَ ، ترقيم مُحَمَّدُ فُوَادِ عَبْدِ الْبَاقِيِّ .

- ٢٣ . علوم القرآن بين البرهان والإتقان ، د.حازم سعيد ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، ١٤٢٠هـ .
- ٢٤ . غرائب التفسير ، للكرماني ، دار القبلة ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
- ٢٥ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٢٦ . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهري ، تحقيق د.عميرة ، جدة ، ١٤٠٢هـ .
- ٢٧ . فكرة إعجاز القرآن مُدُّ البعثة حَتَّى عصرنا الحاضر ، نعيم الحمصي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية .
- ٢٨ . القرآن يتحدَّى ، أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط الأولى ١٣٩٧ .
- ٢٩ . مجمع الزوائد ومَنبغ الفوائد ، للهيثمي ، مؤسسة المعارف، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .
- ٣٠ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق الأنصاري وزملاؤه ، ط القطرية .
- ٣١ . معالم التنزيل ، للبعوي ، تحقيق النمر وزميليه ، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى ١٤٠٩ .
- ٣٢ . المعجزة الكبرى ، لمحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
- ٣٣ . مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثالثة .
- ٣٤ . مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ .
- ٣٥ . النبأ العظيم ، محمد عبدالله دراز ، دار القلم .



# البحر في القرآن الكريم

## آيات ودلالات

د . عبدالله بن عبدالرحمن الرومي

- \* عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود .
- \* حصل على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود بأطروحته ( موارد السيوطي في الإتيان من الدراسات القرآنية ) .
- \* حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود بأطروحته (دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني).



## المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد عني المسلمون بالقرآن الكريم عناية فائقة ، ليقينهم بأنه مصدر عزهم وسموهم ، عناية كانت وما تزال محل فخر واعتزاز على الأمم كلها ، ولقد اتخذت تلك العناية اتجاهات متغايرة ومتعددة : فمنهم من اعتنى بحفظه ، ومنهم من اعتنى بضبط حروفه ، ومنهم من اعتنى بمتعلقات الأداء منه ، أو ببيان ألفاظه الغريبة أو أسباب النزول أو ناسخه ومنسوخه، وغير ذلك من العلوم ، والتي منها : التفسير ، بأنواعه واتجاهاته .

والأصل أن معنى القرآن مفهوم ، ويتبادر إلى الذهن المراد منه ، وليس معنى هذا أن المسلم يكون مفسراً للقرآن ، فهناك من الدلالات والمعاني ما يختص بعلمها العلماء .

ولوضوح معنى القرآن نجد من أسلم بمجرد سماعه من دون تفسير لآياته ، ومن أجل هذا حاولت في بحثي أن لا أتى بالواضحات ، إلا إذا كان بيان الواضحات هو الطريق لبيان غيرها مما يحتاج إلى بيان ، واللسان العربي يتفاوت من جيل إلى جيل ، وما كل من تكلم العربية استطاع معرفة مقاصد الكتاب .

والتفسير ليس مقصوداً لذاته - كالجهد ليس مقصوداً لذاته - بل لما يستخرج من خلاله من الجمال والكمال والإعجاز والدرر والبديع ، ومن هنا رأيت ما ظهر من الدلالات الربانية من الآيات القرآنية ، من خلال كلام العلماء والمفسرين لآيات البحر في القرآن الكريم ، فعمدت إلى هذا الموضوع : ( البحر في القرآن الكريم .... آيات ودلالات ) والذي لم أرى من كتب فيه استقلالاً كتابة علمية .

وتتفاوت آيات البحر في القرآن الكريم فيما نريد إبرازه من المعاني ، وقد وردت آيات ، وظهرت دلالات كثيرة ، من خلال البحر الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، دلالات في الدين ، ودلالات في الدنيا ، منها ما هو حاصل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، كموسى عليه السلام ومن معه ، ومنها ما هو حاصل للأمم كأمة محمد x .

وكان ورود البحر في القرآن الكريم في سياقات متعددة ، متفقة تارة في دلالاتها ومختلفة أخرى ، فتأتي من خلال البحر في القرآن الدلالة على وجود الصانع القادر، وعلى وحدانية الله تعالى لمن كان له عقل وتمييز ، وعلى صدق الأنبياء ، وثبت من طريق البحر معجزة ، وذلك حين انشاقه .

وأغرق الله به المكذبين ، وجاء كيفية إغراقهم في مواضع ، وقد جاء البحر في القرآن موقع الحجة من الدعوى ، وذلك أن الله تعالى أعلن أن

الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُتلقى بالإنكار من كثير من الناس ، فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع ، فجاء بدلائل واضحة لا يسع الناظر إلا التسليم إليها كتسخير البحر للركوب الذي هو من أعظم آيات الله كما بينه في مواضع من كتابه .  
وقد تأملت ما وجدته من كلام العلماء و المفسرين ، فانتيقت منه ورتبته ونسفته وخلصت إلى نتائج .  
واشتمل هذا البحث على الخطة التالية : مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهارس .  
المقدمة : وفيها أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ، واصطلاحات البحث ، وأهداف البحث ، وأسئلة البحث .  
التمهيد وفيه عدد الآيات وتصنيفها .  
الفصل الأول : تعريف البحر وبيان المرادفات وأوجه الاستعمال .  
الفصل الثاني : دلالة آيات البحر في القرآن على وحدانية الله تعالى .  
الفصل الثالث : دلالة آيات البحر في القرآن على نعم الله تعالى على عباده .  
الفصل الرابع : دلالة آيات البحر في القرآن على صدق النبوة .  
الفصل الخامس : دلالة آيات البحر في القرآن على بعض المعاني المتفرقة .  
الخاتمة : وفيها أهم النتائج .  
الفهارس اللازمة .

أسباب اختيار الموضوع :  
أولاً: جودة الموضوع وطرافته ، وعدم بحثه استقلالاً ، كدراسة علمية ، على حسب علمي بعد البحث والسؤال .  
ثانياً : أهمية الموضوع ، وتظهر أهميته في إبرازه دلالات لا توجد في غيره ، مثل دلالات بيبس البحر لموسى عليه السلام ، على الإعجاز .  
ثالثاً : كون الموضوع يسلط الضوء على المساحة الأكبر في الأرض .

الدراسات السابقة :  
وجدت من الدراسات السابقة لهذا الموضوع كتاب : (من آيات الله في البحار) ، تأليف: ماهر أحمد صوفي، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦هـ .

وهو يتحدث مفصلاً عن آيات الله في البحار وتفسيرها وفق النظريات العلمية الحديثة ، فهو يفسر بما يسمى اليوم بالتفسير العلمي الحديث ، وهذا لا يلتقي مع موضوع بحثي والذي يتناول الباحث فيه آيات البحر في

القرآن واستنباط ما تدل عليه من الفوائد والهدايات والدلالات دراسة موضوعية .<sup>(١)</sup>

وكذلك وجدت بعض المقالات المتفرقة ، والتي لا تستوعب الموضوع إنما هي إشارات ناقصة وغير دقيقة ، مثل :

- البحر في منظور القرآن الكريم ، لمحمد وليد كامل ، مجلة الخفجي ، مجلة شهرية، العدد السابع ، جمادى الأولى ، ١٤٢٣ هـ ص ١٢ - ١٨ .

- البحر والبحرين في القرآن الكريم ، لربحي مصطفى عليان ، مجلة الأمن والحياة مجلة شهرية ، السنة ٢١ العدد ٢٣٩ ، ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

أهداف البحث :

- معرفة عدد ورود مفردة ( البحر ) في القرآن ، ومعرفة ألفاظها : أفراداً وتثنية وجمعاً .

- تصنيف آيات البحر في القرآن من جهة المعنى .

- الكشف على الدلالات التي برزت من حديث القرآن عن البحر .

أسئلة البحث :

- كم مرة وردت مفردة ( البحر ) في القرآن ؟ وما عدد الألفاظ التي ورد بها أفراداً وتثنية وجمعاً ؟

- ما تصنيف آيات البحر في القرآن من جهة المعنى ؟

- ما هي الدلالات التي برزت من حديث القرآن عن البحر ؟

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، ويزيدنا علماً ، وما يقع من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله ، وما حصل من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد والشكر .

#### التمهيد

وفيه : عدد آيات البحر وتصنيفها

إذا تتبعنا مفردة " بحر " في القرآن الكريم ، وجدناها ذكرت في القرآن إحدى وأربعين مرة على اختلاف ألفاظها : أفراداً ، وتثنية ، وجمعاً ، وهي كما يلي :

وردت بلفظ الأفراد : " البحر " في اثنين وثلاثين موضعاً ، في عشرين سورة .

ووردت بلفظ الأفراد : " بحر " في موضع واحد في سورة ( النور ) .

(١) من آيات الله في البحار ص ١٤ ، تأليف : ماهر أحمد صوفي ، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦ هـ .

ووردت بلفظ التثنية في خمسة مواضع ، في خمسة سور .  
ووردت بلفظ الجمع في ثلاثة مواضع ، في ثلاث سور .

وإذا تتبعنا معاني ودلالات آيات البحر في القرآن ، نجد أنها لا تخرج  
عموماً عن أربعة معاني في الجملة ، وهي كما يلي :

- الأول : الدلالة على وحدانية الله تعالى .
- الثاني : الدلالة على نعم الله تعالى .
- الثالث : الدلالة على صدق الأنبياء .
- الرابع : الدلالة على بعض المعاني المتفرقة .

## الفصل الأول

### تعريف البحر وبيان المرادفات وأوجه الاستعمال

البحر : معروف ، وأما أصل البحر : فقد قال الراغب هو : " كل مكان واسع جامع للماء الكثير ، هذا هو الأصل " (١).

ويكون مالحاً وهو الغالب ، وقد يكون عذباً ، ومن مرادفات البحر في اللغة : اليمّ ، وكذلك : النهر العظيم ، يسمى : بحراً . قال ابن منظور : " البحر : الماء الكثير ، ملحاً كان أو عذباً ، وهو خلاف البر ، سمي بذلك لعمقه واتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قلّ في العذب " (٢) وقال : " وقد أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر " . وعن ابن سيده : " كل نهر عظيم بحر " وقال الزجاج : " كل نهر لا ينقطع ماؤه ، فهو بحر " وقال الأزهري : " كل نهر لا ينقطع ماؤه مثل دجلة والنيل وما أشبههما من الأنهار العذبة الكبار ، فهو بحر " (٣).

وقال الرازي : " والجمع : أبحر و بحار و بحور ، وكل نهر عظيم : بحر ، .. وماء بحر : أي ملح " (٤).

ما تقدم هو المعنى اللغوي للبحر ومرادفاته من اليم والنهر ، أما في القرآن فمن المرادف للبحر في القرآن كذلك : اليمّ ، وقد ورد ( اليمّ ) في القرآن ثمان مرات في سبع آيات في أربع سور . وأطلق اليم في القرآن على : البحر ، وهو الماء المالح الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وجنوده ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٣٦) الأعراف : ١٣٦ : قال الطبري " يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم ، يقول انتقمنا منهم بإحلال نعمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليم وهو البحر " (٥)

وكذلك أطلق اليم في القرآن على : النهر ، وهو الماء العذب ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ

- (١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ص ٣٧ ، دار المعرفة - لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .
- (٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : بحر ، ج ٤ ص ٤١ ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى .
- (٣) لسان العرب مادة : بحر ج ٤ ص ٤٢ ، مصدر سابق .
- (٤) مختار الصحاح ، الرازي ، مادة : ب ح ر ، ج ١ ص ١٧ ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، تحقيق : محمود خاطر .
- (٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، ج ٩ ص ٤٢ ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ .

عَدُوِّي وَعَدُوُّلَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِئُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْتِي ﴿٣٩﴾ طه: ٣٩ ،  
قال ابن جزري : " واليم : البحر ، والمراد به هنا النيل " (١) وقال  
القرطبي : " (فاقذفه في اليم ) أي اطرحيه في البحر : نهر النيل " (٢) .  
ومن المرادف للبحر في القرآن : النهر ، وقد ورد النهر في القرآن  
في أربع وخمسين مرة في إحدى وخمسين آية في اثنتين وثلاثين سورة .  
وكان إطلاق البحر في القرآن على النهر في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ

الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا  
﴿٥٣﴾ الفرقان: ٥٣ ، قال الزمخشري : " سمى الماءين الكثيرين  
الواسعين : بحرین ، والفرات : البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة  
والأجاج : نقيضه " (٣) .

فيكون من مرادفات البحر في القرآن : اليم ، والذي يطلق على: النهر  
العذب وهو النيل ، وقد أطلق البحر في القرآن وكان المراد : النهر البليغ  
العذوبة .

ويرى بعض المفسرين أن البحر في القرآن جاء على أربعة أوجه :  
أحدها : البحر المعروف في الأرض ، الثاني : الماء العذب ، الثالث :  
بحر تحت العرش ، الرابع : العامر من البلاد .  
قال ابن الجوزي : " وذكر بعض المفسرين أن البحر في القرآن على أربعة  
أوجه :

أحدها : البحر المعروف في الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ  
لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ﴿٦٠﴾ الكهف: ٦٠

وقوله تعالى : ﴿ وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ الدخان: ٢٤ .  
والثاني : ( البحر ) الماء العذب والمالح ، ومنه قوله تعالى في سورة

الرحمن: ١٩ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ﴿١٩﴾ .  
والثالث : بحر تحت العرش ، ومنه قوله تعالى في سورة الطور: ٦

﴿ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورِ ﴾ ﴿٦﴾ .

- (١) التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ج ٣ ص ١٢ ، دار الكتاب العربي - لبنان -  
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة  
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١١ ص ١٩٥ ، دار النشر : دار الشعب -  
القاهرة  
(٣) الكشاف ، الزمخشري ج ٣ ص ٢٩٢ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،  
تحقيق : عبد الرزاق المهدي .



والرابع : العامر من البلاد ، ومنه قوله تعالى في سورة الروم: ٤١ :  
﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤١) (١).

وحاصل ما تقدم أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن :  
يطلق على المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر ، ومن مرادفات  
البحر : اليم ، والذي يطلق على : النهر العذب .

#### الفصل الثاني

دلالة آيات البحر في القرآن على وحدانية الله تعالى

نجد أن القرآن الكريم ذكر أحوالاً للبحر فيها دلالة على وحدانية الله  
تعالى واستحقاقه العبادة ، ومن هذه الأحوال :

أولاً : حمل البحر السفن وسيرها فيه :  
من أحوال البحر في القرآن الدالة على وحدانية الله تعالى أنه يحمل السفن  
وتسير فيه بما ينفع الناس ، من الكسب والتجارة وغير ذلك ، والإقرار  
بهذا الأمر المشاهد للناس إقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد  
الألوهية .

والآيت في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ  
فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ  
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤) البقرة: ١٦٤ ﴿ هُوَ  
الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا  
بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا  
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٢) يونس:  
٢٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣١) لقمان: ٣١ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ  
كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٣٢) الشورى: ٣٢ ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٢٤)  
الرحمن: ٢٤

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي ١٩٨/١ ، مؤسسة  
الرسالة - لبنان/بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد  
الكريم كاظم الراضي .

والفلك هي : السفن ، قال السمرقندي : ﴿ وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾<sup>(١)</sup> يعني : السفن ، ويقال للسفينة الواحدة : الفلك ، ولجماعة السفن : الفلك ، يعني : السفن التي تسير في البحر فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة فتسير في البحر ﴿ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ من الكسب والتجارة وغير ذلك " (١)

وسبب تسمية السفينة فلكاً ، لأنها تدور بالماء بسهولة<sup>(٢)</sup> ، والسفينة : طائر مقلوب والماء في أسفلها نظير الهواء في أعلاها ، قال ابن العربي : " فالسفينة طائر مقلوب ، والماء في استقاله للسفينة نظير الهواء في اعتلائه " (٣)

ونرى الأمر العجب في جري السفن في البحر في القرآن فهي فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة ، قال قتادة : " ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة " (٤)

وقد كانت نسبة الجريان إلى : الفلك ، ولا شك أن الذي أجزاها هو الله تعالى ، أما الفلك فهي من الجمادات ونسبة الجريان إليها لظهوره فيها ، قال ابن حزم في قوله تعالى : ﴿ وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ : " ومثل هذا كثير جدا ، وبهذا جاءت اللغات في نسبة الأفعال الظاهرة في الجمادات إليها ، لظهورها فيها فقط ، لا يختلف لغة في ذلك " (٥)

إن الآية في الفلك التي يجب أن نتأملها هي تسخيرها من الله تعالى لنا ، ثم جريها على هذا الماء متقلبة بما تحمله من منافع الناس ، بريح واحدة مقبلة ومدبرة ، وتسخير البحر لحمل الفلك من جانب إلى جانب آخر ، فينتقل ما عند أولئك إلى هؤلاء ، والعكس ، مع قوة سلطان الماء ، وهيجا ن البحر ، أن في ذلك لآية بيينة على استحقاق صانع هذا للعبادة دون سواه ، قال السمعاني :

- (١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ج ١ ص ١٣٦ ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د. محمود مطرجي .
- (٢) اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن عادل ج ٣ ص ١٢٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .
- (٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- (٤) تفسير البغوي ج ٣ ص ٦٤ ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .
- (٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ج ٣ ص ٤٦ ، مكتبة الخانجي - القاهرة .

" والآية في الفلك : تسخيره وجريها على وجه الماء ، وهي موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلق على وجه الماء " (١)

ولا يحصل جريان الفلك على وجه البحر إلا بتسخير ثلاثة أشياء ، قال الرازي :

" أحدها : الرياح التي تجري على وفق المراد .  
ثانيها : خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك .  
ثالثها : خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه

وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر ، فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى " (٢)

ولا شك أن الاطلاع على العجائب التي في البحر من دلائل توحيد الله تعالى ، ولا يكون الاطلاع على عجائب البحر إلا بالفلك ولذلك خصها الله تعالى بالذكر ، قال الألويسي : " خص ( الفلك ) بالذكر مع أن مقتضى المقام حينئذ أن يقال : والعجائب التي في البحر لأنه سبب الإطلاع على أحواله وعجائبه فكان ذكره ذكرا لجميع أحواله وطريقا إلى العلم بوجوده " (٣)

إن إعلان العبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له ، قضية كبرى تحتاج إلى آية عظيمة ، لأن هذه الدعوى تفرض على من آمن بها أن تكون حياته ومماته لله وحده ، ولا يكون التصديق بمثل هذه الدعوى إلا بأدلة يؤمن على مثلها البشر ، ولذلك جاء في الحديث قول النبي x : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " (٤) ، فجاء تسخير البحر في القرآن للركوب من أعظم آيات الله تعالى حجة لدعوى التوحيد وإفراده بالعبادة سبحانه .

قال ابن عاشور : " موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحجة من الدعوى ، ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُنلقى بالإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة

(١) تفسير القرآن ، السمعاني ج ١ ص ١٦٣ ، دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن غنيم

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي ج ٢٧ ص ٢٢٥ ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، الطبعة : الأولى .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألويسي ج ٢ ص ٣١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٤) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٤ ص ١٩٠٥ ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ٢٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم إليها" (١).

وقال الشنقيطي: "فتسخير البحر للركوب من أعظم آيات الله" (٢).  
ثم إننا نلاحظ قضية عقدية في خلق أفعال العباد في تسيير الله تعالى الفلك في البحر، فتسيير الفلك في البحر: من الله تعالى، والسير: فعل العباد، فقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِّرْكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا يَمُّونَ﴾ يونس: ٢٢ دليل على أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى، فأخبر تعالى بتسيير الفلك في البحر أنه خالق لسيرنا؛ فالتسيير فعله والسير فعل العباد وهو أثر التسيير، وفي هذا رد على القدرية الذين يقولون إن الخلق هم الخالقون لسيرهم، وهذا رد منهم للقرآن.  
قال ابن القيم: "فالتسيير فعله، والسير فعل العباد وهو أثر التسيير" (٣).

إن في حمل البحر للسفن وسيرها فيه بريح طيبة ثم تحولها إلى ريح عاصف مثال لمكر الإنسان، من دعاء الله وحده في الضراء دون السراء، فإذا جرت الفلك بما يوافق المقصود يحصل للراكب الفرح والسرور، قل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِّرْكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا يَمُّونَ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ يونس: ٢٢، ثم إذا جاءت الرياح العاصفة، والأمواج العظيمة، وعلامات الهلاك، انقطع عن المخلوقين وتعلق بالله وحده، ثم إذا نجاه الله تعالى رجع إلى العقائد الباطلة

قال الرازي: "واعلم أن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود، حصل له الفرح التام والمسرة القوية، ثم قد تظهر علامات الهلاك دفعة واحدة. فأولها: أن تجيئهم الرياح العاصفة الشديدة. وثانيها: أن تأتيهم الأمواج العظيمة من كل جانب. وثالثها: أن يغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع، وأن النجاة ليست متوقعة، ولا شك أن الانتقال من تلك الأحوال الطيبة الموافقة إلى هذه الأحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم، والرعب الشديد، وأيضاً مشاهدة هذه الأحوال والأهوال في البحر مختصة بإيجاب مزيد الرعب، والخوف ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته، ويصير

- (١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج ٢ ص ٧٦، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م.  
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ج ٢ ص ٣٤٣، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.  
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، ج ١ ص ٥٨، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

منقطع الطمع عن جميع الخلق ، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى ، ثم إذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة ، ونقله من هذه المضرة القوية إلى الخلاص والنجاة ، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة " (١).

قال أبو حيان : " ولما كان الخوف في البحر أغلب على الإنسان منه في البر وقع المثل به لذلك المعنى الكلي به من التجاء العبد لربه تعالى حالة الشدة والإهمال لجانبه حالة الرخاء " (٢).

إن حمل الناس بالفلك في البحر فيه امتنان من الله تعالى على الناس جميعاً المؤمن والكافر ، وفيه إبراز لنعم الله تعالى ، ولفت الناس إلى جريان الفلك وما فيه من المنافع من أجل أن يشكر المعرض ، ويستديم الشاكر ، قال أبو حيان : " خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين ، والمسировون في البر والبحر مؤمنون وكفار ، والخطاب شامل ، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر . ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع " (٣).

ويأتي النص القرآني على أن جري السفن في البحر نعمة من الله تعالى على خلقه في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ نِعْمَتَ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ لقمان: ٣١ قال الطبري : " السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه .. إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل " (٤).

وقد جاء في القرآن تشبيه السفن الجارية في البحر بالأعلام ، وأنها منشآت ، في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٣٣) الشورى: ٣٢ وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٢٤) الرحمن: ٢٤ قال الطبري : " والجواري : جمع جارية ، وهي السائرة في البحر... وقوله : كالأعلام ، يعني : كالجبال ، واحداً علم " (٥).

فمن علامات توحيد الله تعالى : هذه السفن التي كأنها من عظمها جبال ، قال أبو حيان : " فيها من عظيم دلائل القدرة ، من جهة أن الماء

(١) التفسير الكبير ج ١٧ ص ٥٥ ، مصدر سابق .  
(٢) تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج ٥ ص ١٤١ ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض .  
(٣) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٤٢ ، مصدر سابق .  
(٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٢١ ص ٨٤ ، مصدر سابق .  
(٥) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٢٥ ص ٣٣ ، مصدر سابق .

جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل ، والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة ، ومع ذلك جعل تعالى للماء قوة يحملها بها ويمنع من الغوص . ثم جعل الرياح سبباً لسيرها . فإذا أراد أن ترسو ، أسكن الريح ، فلا تبرح عن مكانها " (١)

وبين الله تعالى حال هذه السفن الجوارى بأنها "المنشآت " : أي : الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن ، والمرفوعات القلاع ، كما يذكر الطبري (٢)

ثانياً : ظلمات البحر :

نجد من الآيات التي تحدثت عن هذه الحالة ما يلي :

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ

لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ الأنعام: ٦٣

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ التُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ الأنعام: ٩٧

﴿ أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لَيْلٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا

فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ النور: ٤٠

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِ ۗ أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ النمل: ٦٣

الظلمات مفردتها : ظلمة ، وهي : عدم النور ، قال الراغب : " الظلمة : عدم النور ، وجمعها : ظلمات ، .. ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق ، كما يعبر بالنور عن أضدادها " (٣)

والموج ، قال ابن عاشور : " والموج : اسم جمع موجة ، وهي : مقادير من ماء البحر أو النهر تتصاعد علي سطح الماء من اضطراب الماء بسبب شدة رياح ، أو تزايد مياه تنصب فيه ، ويقال : مآج البحر إذا اضطرب ماؤه " (٤)

(١) تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٩٧ ، مصدر سابق .  
 (٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٢٧ ص ١٣٣ ، مصدر سابق .  
 (٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣١٥ ، مصدر سابق .  
 (٤) تفسير التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٧٧ ، مصدر سابق .

قال الطبري في المراد بظلمة البحر : " وعنى بالظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال وظلمة الماء " (١) .

وقد جاءت ظلمات البحر في القرآن مثلاً مضروباً على أعمال الكفار ، والبحر اللجي مثلاً لقلب الكافر ، قال الطبري : " وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة .. مثل ظلمات في بحر لجي ، ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء ، ولجة البحر : معظمه ، .. فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم ، والبحر اللجي مثلاً لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلال والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض " (٢) .

وما وجه المثل ؟ قال ابن الجوزي : " قال المفسرون : لما ضرب الله للمؤمن مثلاً بالنور ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات " (٣) .

وجاءت ظلمات البحر لبيان كمال رحمة الله تعالى بنجاة من أراد من خلقه منها، قال الرازي في تفسير هداية الله تعالى للناس من ظلمات البحر : " اعلم أن هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال القدرة الإلهية ، وكمال الرحمة والفضل والإحسان " (٤) .

والهداية : فيها وجهان : قال السدي : " أحدهما : يرشدكم من مسالك البحر ، الثاني : يخلصكم من أهوال البحر " (٥) .

وكيف تكون الهداية من الله تعالى للناس في ظلمات البحر ؟ قال الزمخشري : " بالنجوم في السماء " (٦) وقال ابن عاشور : " فالله الهادي للسير في تلك الظلمات، بأن خلق النجوم على نظام صالح للهداية في ذلك ، وبأن ركب في الناس مدارك للمعرفة بإرصاد سيرها وصعودها ،

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٧ ص ٢٨٦ ، مصدر سابق .  
(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٨ ص ١٥٠ ، مصدر سابق .  
(٣) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ج ٦ ص ٥١ ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة .  
(٤) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٨ ، مصدر سابق .  
(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي ج ٤ ص ٢٢٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .  
(٦) الكشاف ج ٣ ص ٣٨١ ، مصدر سابق .

وهبوطها ، وهدهام أيضاً بمهاب الرياح ، وخولهم معرفة اختلافها بإحساس جفافها ورطوبتها ، وحرارتها وبردها " (١).

وعند وقوع ظلمات البحر على الناس ، يرجعون إلى الله تعالى ويوحدونه ويخلصون له الدعاء ، فإذا نجاهم من شدائد الظلمات ، نقضوا عهدهم ، وبالغوا في الكفر ، قال الرازي : "والمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى ، وهذا الرجوع يحصل ظاهراً وباطناً ، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى ، وينقطع رجأؤه عن كل ما سوى الله تعالى .. فإن الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة .. يقدم على الشرك " (٢).

فحال هؤلاء إقرار بالتوحيد حال الشدائد فقط ، وأما عند الإنجاء منه فيشركون ، قال البقاعي : " أحوالهم في إقرار توحيدهم وقت الشدائد والرجوع عن ذلك عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئاً وأكد له الميثاق على الشكر ، فلما أحسن إليه بإعطائه سؤله نقض عهده وبالغ في الكفر ، وذلك عندهم في غاية من القبائح لا توصف " (٣).

ثالثاً : شمول علم الله تعالى على ما في البحر :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٥٩) الأنعام: ٥٩ والسبب في تخصيص البحر بالذكر مع ما ذكره في هذه الآية ، لأنه من أعظم مخلوقات الله ، أو لكونه أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيه (٤) ، وقال القرطبي : " خصهما ( البر والبحر ) بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر " (٥).

ولا شك أن تعلق علم الله تعالى : بالمشاهدات للناس ، وكذلك بما غاب عنهم ، وقد جاء البحر في الآية المتقدمة لبيان علم الله تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلق علمه تعالى بالمغيبات ، وهذا فيه تنبيه على أن الكل في علم الله تعالى سواء ، قال الألوسي : " والمراد من هذه الجملة كما قال غير

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٧ ، مصدر سابق .

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٨ ، مصدر سابق .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ج ٢ ص ٦٥٠ ، دار الكتب

العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .

(٤) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، ج ٢ ص ١٢٣ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٤ ، مصدر سابق .



واحد ، بيان تعلق علمه تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلقه بالمغيبات ،  
تكلمة له وتنبيهها على أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء " (١) .  
فيصير علم الله تعالى لما في البحر مثالا محسوسا ، مقوياً ومكملاً  
للعظمة الحاصلة تحت قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾  
كما يذكر الرازي (٢) ، وقال البيضاوي : " فهو عطف للأخبار عن تعلق  
علمه تعالى بالمشاهدات ، على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به  
" (٣) .

فيكون معنى الكلام كما يقول الطبري : " عند الله علم ما غاب عنكم  
أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ، ويعلم أيضاً  
مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى عليه شيء لأنه لا شيء إلا ما  
يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم " (٤) .

وأما لماذا قدم ( اشتمال علم الله تعالى على البر ) ، على ( اشتمال  
علمه تعالى على البحر ) قال الرازي : " لأن الإنسان قد شاهد أحوال  
البر ، وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال ، وكثرة  
ما فيها من الحيوان والنبات والمعادن . وأما البحر فأحاطة العقل بأحواله  
أقل إلا أن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها  
وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب " (٥) .

ومناسبة ذكر علم الله تعالى على ما في البحر بعد ذكر علمه تعالى  
مفاتيح الغيب ، قال الرازي : " ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾

﴿ قضية عقلية محضة مجردة ، فالإنسان الذي يقوى عقله على الإحاطة بمعنى  
هذه القضية نادر جداً . والقرآن إنما أنزل لينتفع به جميع الخلق . فها هنا طريق آخر  
، وهو : أن من تكرر القضية العقلية المحضة المجردة ، فإذا أراد إيصالها إلى عقل  
كل أحد ذكر لها مثلاً من الأمور المحسوسة الداخلة تحت القضية العقلية الكلية ،  
ليصير ذلك المعقول بمعاونة هذا المثال المحسوس مفهوماً لكل أحد ، والأمر في  
هذه الآية ورد على هذا القانون ، لأنه قال أولاً : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا ﴾

﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ ثم أكد هذا المعقول الكلي المجرد بجزئي محسوس فقال : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي  
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ وذلك لأن أحد أقسام معلومات الله هو جميع دواب البر والبحر ،

(١) روح المعاني ج ٧ ص ١٧١ ، مصدر سابق .  
(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩ ، مصدر سابق .  
(٣) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤١٦ ، دار الفكر - بيروت .  
(٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٧ ص ٢١٣ ، مصدر سابق .  
(٥) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩

والحس والخيال قد وقف على عظمة أحوال البر والبحر ، فنذكر هذا المحسوس  
يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول " (١).

رابعاً : الضُرُّ والغَرَقُ في البحر :  
جاء البحر في القرآن الكريم على أنه من مظان الضر والغرق من الله  
تعالى على من خالف أمره وأشرك مع الله تعالى أحداً من خلقه ، قال الله  
تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ نَدَعُونَ إِلَّا إِلَاءَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ  
أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ٦٧ ﴾ أفأمنتُمْ أن يَحْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ  
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ٦٨ ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى  
فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا  
٦٩ ﴾ الإسراء: ٦٧ - ٦٩ وأسباب الهلاك من الله تعالى على من خالف  
أمره كثيرة وليس الغرق في البحر وحده ، ففي جانب البر مثله وهو :  
الخسف ، قال الزمخشري : " ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف ؛  
لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء ، فالبر والبحر  
عنده سياتن يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر ، فعلى العاقل  
أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان " (٢).

وقد عَجَلَ اللهُ تعالى عقوبة الغرق في البحر على من اتبع أمر فرعون  
، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٩٦ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٩٧ ﴾ يَاقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ٩٨ ﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ  
يَسَّ الْوَرْدُ الْمَرْفُودُ ٩٩ ﴾ هود: ٩٦ - ٩٩ قال الطبري : " يقول الله تعالى  
ذكره : وأتبعهم الله في هذه ، يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم  
فيها من الغرق في البحر : لعنته " (٣).

وبالمقابل أنجى الله تعالى من الغرق في البحر من آمن به ، من أتباع  
رسوله موسى عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ  
٦٥ ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ٦٦ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ٦٧ ﴾

(١) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩ ، مصدر سابق .

(٢) الكشاف ج ٢ ص ٦٣٥ ، مصدر سابق .

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٢ ص ١١٠ ، مصدر سابق .

الشعراء: ٦٥ - ٦٧ قال الطبري : " وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه ، من الغرق في البحر ، ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين .. ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه " (١) .

إن تغريق الله تعالى في البحر للمكذبين : سنة الله تعالى في خلقه على من سلك هذا المسلك من تكذيب رسل الله تعالى ، قال الطبري في إغراق الله تعالى للمكذبين : " لدلالة بيينة يا محمد لقومك من قريش ، على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي ، وعظة لهم وعبرة أن اذكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك ، مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم " (٢) .

وقد أنعم الله تعالى على المصدقين رسل الله تعالى بالنجاة من الغرق كما في قصة موسى عليه السلام ، وفي ذلك دلالة على تنجية الله تعالى للمؤمنين من كل ما كانوا يخشونه ، ومما يخشونه : الغرق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ بَيْسًا لَا يَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخَشْيَةً ﴾ (٧٧) طه: ٧٧ قل ابن جزري: "أي: لا تخف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى الغرق في البحر " (٣) بل أمرهم الله تعالى أن لا يخافوا ، قال السعدي : " وأمرهم الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون ، ولا يخشوا من الغرق في البحر " (٤) .

خامساً : الحاجز بين البحرين :

ذكرنا أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن : يطلق على المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر .  
وقد جعل الله تعالى بين البحرين : المالح والعذب ، حاجزاً مانعاً من اختلاط أحدهما بالآخر ، فلا يفسد أحدهما الآخر ، ومن الآيات الدالة على ذلك ، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ (٥٣) الفرقان: ٥٣

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٩ ص ٨٢ ، مصدر سابق .  
(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٩ ص ٨٢ ، مصدر سابق .  
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٢ ، مصدر سابق .  
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١ ص ٥١٠ ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، تحقيق : ابن عثيمين .

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ  
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّ لَهٗ مَعَ اللَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦١) ﴿ النمل: ٦١ ﴾ مَجَّ  
الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ الرحمن: ١٩ - ٢٠

فالحاجز بين البحرين : المالح والعذب ، من خصائص ربوبية الله تعالى<sup>(١)</sup> ، وهو من بديع الحكمة أن جعل الله تعالى هذا الحاجز المعنوي ، قال ابن عاشور : " وجعل الحاجز بين البحرين من بديع الحكمة ، وهو حاجز معنوي حاصل من دفع كلا المائتين : أحدهما الآخر عن الاختلاط به ، بسبب تفاوت الثقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركب منها الماء الملح والماء العذب . فالحاجز حاجز من طبيعتهما وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما " (٢) ، وقال الزمخشري : " أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين ، لا فصل بين المائتين في مرأى العين ﴿ يَنْهَمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ، ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة " (٣) .

أن هذا الحاجز بين البحرين لحكمة من الله تعالى ، فيه منافع للناس ، فالمالح : به يطيب الهواء ، ويتولد السمك والحوت ، والعذب : منه يشربون ، وتشرب أشجارهم ، قال السعدي : " ويحصل النفع بكل منهما . فالعذب : منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم وحروثهم ، والملح : به يطيب الهواء ويتولد السمك والحوت ، واللؤلؤ والمرجان " (٤) .

فيتحصل أن الحاجز بين البحرين من دلائل ربوبية الله تعالى المستلزمة إفراده تعالى بالعبودية وحده ، وأن فيه منافع للناس .

سادساً : الفساد في البحر :

جاء في القرآن ما يدل على ظهور الفساد في البحر في قوله تعالى :  
﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤١) ﴿ الروم: ٤١ ﴾ قال ابن عباس في معنى الفساد في البحر : " هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا . قال النحاس : وهو أحسن

(١) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد آل معمر ج ٧ ص ٤٦٤

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٣ ، مصدر سابق .

(٣) الكشاف ج ٤ ص ٤٤٥ ، مصدر سابق .

(٤) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١ ص ٨٣٠ ، مصدر سابق .

ما قيل في الآية (١) " فظهور الفساد فيه : هو بارتفاع البركات ، ونزول رزايا ، وحدوث فتن ، وتغلب عدو كافر (٢) ، وسبب ظهور هذا الفساد : قال ابن جزري : " وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات ، وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان " (٣)

سابعاً: امتلاء البحر دون أن يفيض :  
جاء قسم الله تعالى بالبحر المسجور : الممتلئ ، وهو مع امتلائه لا يفيض ويجري ويغمر وجه الأرض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ﴾ الطور: ٦ ، وهذا الأغلب من معاني السَّجْر ، قال الطبري : " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض ، وذلك أن الأغلب من معاني السجر : الإيقاد ، كما يقال : سجرت التتور ، بمعنى أوقدت ، أو الامتلاء .. فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر وكان البحر غير موقد اليوم ، وكان الله - تعالى ذكره - قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد ، صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ " (٤)

ثامناً : التمثيل بالبحر :  
ورد في القرآن ضرب المثل بالبحر ، بأن لو كان مداداً لكلمات الله تعالى ، والمداد : ما يكتب به ، وهو : اسم ما يمد الشيء كالحبر للدواة - للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات ، من وعده بالثواب والعقاب ، وذكره ما خلق وما هو خالق ، وعلم القرآن ، ومواعظه تعالى وعلمه وحكمته وعجائبه ، لنفد البحر ، وما نفدت كلمات الله تعالى ، (٥)  
كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ الكهف: ١٠٩

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١٤ ص ٤٠ ، مصدر سابق .  
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، ج ٤ ص ٣٤٠ ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .  
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٢٤ ، مصدر سابق .  
(٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ٢٧ ص ٢٠ ، مصدر سابق .  
(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٦ ص ٣٩ مصدر سابق ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ ، ج ٣ ص ١٠٩ ، تفسير البيضاوي ج ٣ ص ٥٢٦ مصدر سابق .

ولو أن شجر الأرض كلها بریت أقلاما ، والبحر لهذه الأقلام مدادا ، ومن بعده سبعة أبحر ، تكتب هذه الأقلام كلام الله تعالى بذلك المداد من البحار ، لتكسرت تلك الأقلام ولنقد ذلك المداد ولم تنفذ كلمات الله وعلمه تعالى<sup>(١)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧)

لقمان: ٢٧ .  
وهل إذا نفذ البحر تنفذ بعده كلمات الله تعالى ؟ قال الزركشي : " ليس المراد أن كلمات الله تنفذ بعد نفاذ البحر، بل لا تنفذ أبدا ، لا قبل نفاذ البحر ولا بعده ، وحاصل الكلام : لنفذ البحر ولا تنفذ كلمات ربي " (٢).  
والبحار السبع التي تمد البحر ، هي بحار غير موجودة ، قال الرازي : ﴿ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ إشارة إلى بحار غير موجودة ، يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أخر " (٣).

وحصر البحار بـ (سبعة) غير مراد ، بمعنى : لو كانت أكثر من سبعة بحار تمد البحر هل تنفذ كلمات الله تعالى ؟ قال الرازي : " ليس لانحصارها في سبعة ، وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر ، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد ، لأنها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ، والذي يدل عليه وجوه ..... فصارت السبعة كالعديد الحاصر للكثيرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير " (٤).  
كما أن التمثيل بالبحر ورد في الأثر ، حيث مثلت الفتن التي تموج ، كموج البحر ، وذلك في حديث حذيفة رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْفِتْنَةِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَ ، قَالَ : إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ ، فَكَيْفَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : فِتْنَتُهُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَوَالِدِهِ وَجَارِهِ تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْمَعْرُوفُ .. قَالَ : ليس هذه أريد ، ولكني أريد التي تموج كموج البحر .. الحديث (٥).

تاسعاً : تسجيل البحر :

من أحوال البحر في القرآن التي تكون من أشرط الساعة ، وفيها الدلالة على وحدانية الله تعالى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَلْبَحَارُ سَجَرَتْ

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٨٠ ، مصدر سابق .  
(٢) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج ٣ ص ٣٩٩ ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .  
(٣) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٣٨ ، مصدر سابق .  
(٤) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٣٨ ، مصدر سابق .  
(٥) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٢ ص ٥٢٠ ، مصدر سابق .

﴿٦﴾ التكوير: ٦ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ ﴿٣﴾ الانفطار: ٣ ، اختلف المفسرون في معنى: التسجير ، فقال بعضهم: اشتعلت نارا وحميت ، وقال آخرون معنى ذلك فاضت ، وقال آخرون بل عني بذلك أنه ذهب ماؤها ، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت ، كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ ﴿٣﴾ الانفطار: ٣ والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء: ماء مسجور " (١).

وتسجير البحر وتفجيره هو تغير لأحوال البحار عن صورتها المعهودة ، ومن الأشياء التي إذا وقعت حينها علمت كل نفس ما حضر لديها من الأعمال ، التي قدمتها .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣٠ ص ٦٨ ، مصدر سابق .

### الفصل الثالث

#### دلالة آيات البحر في القرآن على نعم الله تعالى على عباده

وردت آيات البحر في القرآن في مواضع دالة على نعم الله تعالى ، وامتنتانه على عباده ، من خلال أمور ، منها :  
أولاً : أكل صيد البحر وطعامه :

جاء الامتنان بنعمة الله تعالى على عباده بصيد البحر وبطعامه ، في قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٦) المائدة: ٩٦ ، فقد أجمع العلماء على أن صيد البحر وطعامه : حلال ، أكله وبيعه وشراؤه ، للمقيم والمسافر (١) ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " صَيْدُهُ مَا اصْطِيدَ وَطَعَامُهُ مَا رَمَى بِهِ " (٢) .

وقد جاء وصف لحم البحر الذي سخره الله تعالى لعباده بأنه : طرياً ، وهذا يدل على قدرة الله تعالى وحكمته ، من جهة إظهار الضد من الضد ، فيخرج الله تعالى لنا لحماً طرياً عذباً من البحر المالح ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٤) النحل: ١٤ وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٣) فاطر: ١٢ ، قال الرازي : " واعلم أن في نكر الطري مزيد فائدة ، وذلك لأنه لو كان السمك كله مالحاً ، لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري ، فإنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث لا بحسب الطبيعة ، بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد " (٣) .

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨٢ ابن بطال ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ج ١ ص ٢٦٥ ، دار الفكر - بيروت ، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ابن قدامة ، ج ٣ ص ١٦٥ ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى .

(٢) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٥ ص ٢٠٩٢ ، مصدر سابق .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ٦ ، مصدر سابق .



ولحم البحر : طرياً عذباً ، والطري : الناعم الغض (١).  
وقال ابن منظور : " الغض : الطري الذي لم يتغير " (٢) وقال  
الراغب : " والغض الطري الذي لم يطل مكثه " (٣).  
وقال الفيروزبادي : " الطازج : الطري " (٤) ، وقال المناوي :  
الطري : الشيء الغض ومنه الطرواة " (٥).

وأما اللحم العذب : المستساغ ، قال ابن منظور : " العذب من الشراب  
والطعام : كل مستساغ " (٦).

ومن الجائز أكله في البحر: الميتة فيه ، جاء في صحيح مسلم : " بَاب  
إِبَاحَةِ مَيْتَاتِ الْبَحْرِ " وذكر حديث جابر رضي الله عنه ، قَالَ بَعَثْنَا رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ - وَفِيهِ - وَأَنْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ  
كَهَيْئَةِ الْكُتَيْبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ قَالَ : قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ  
: مَيْتَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَ ، بَلْ نَحْنُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ  
اضْطُررْنَا فَمَكَّلُوا ، قَالَ : فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِينًا .  
وفي الحديث : أَنَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : هُوَ رِزْقُ  
أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٍ فَنُطْعِمُونَا ، قَالَ : فَأَرْسَلْنَا إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ (٧).

ثانياً : حلية البحر :

الحلية : اسم لما يتحلَّى به (٨) ، وسميت : حلية ، لأنها تحلي الجوارح  
في أعين الناظرين (٩).

- (١) انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، الحميدي ، ج ١ ص ٤٦٧ ، مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز . طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، النسفي ، ج ١ ص ١٧١ ، دار النفائس - عمان - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.
- (٢) لسان العرب ، مادة ( غضض ) ج ٧ ص ١٩٦ ، مصدر سابق .
- (٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب ، ص ٣٦١ ، مصدر سابق .
- (٤) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، باب الجيم ، فصل الطاء ، ص ٢٥٢ مؤسسة الرسالة - بيروت .
- (٥) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، ص ٤٨٢ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية .
- (٦) لسان العرب ، مادة ( عذب ) ج ١ ص ٥٨٣ ، مصدر سابق .
- (٧) صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٣٥ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- (٨) اللباب في علوم الكتاب ج ١٢ ص ٢٩ ، مصدر سابق .

ومن نعم الله تعالى على عباده : الحلية التي في البحر ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ النحل: ١٤ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ فاطر: ١٢ ، وفي قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١١﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٤﴾ الرحمن: ١٩ - ٢٢ وقد جاء الامتتان بهذه النعمة من الله تعالى على الجميع : الرجال والنساء <sup>(٢)</sup>، فما كان من ذهب فللإناث ، ويحرم على الذكور ، وما كان من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء <sup>(٣)</sup> .

والمراد بالحلية : قال الطبري والنحاس وغيرهما : " اللؤلؤ والمرجان " <sup>(٤)</sup> ، وقال الجصاص : " الحلية هاهنا : اللؤلؤ وما يتحلى به مما يخرج من البحر " <sup>(٥)</sup> ، وقال الواحدي : " الحلية : الدر والجواهر " <sup>(٦)</sup> ، وقال الرازي : " المعهود في القرآن في لفظ الحلي : اللآليء " <sup>(٧)</sup> .

وهل تخرج الحلية من المالح ومن العذب ؟ قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب ، فكيف قال : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ جُزْءٌ ﴾ : كل واحد منهما ، قال ابن جزي : " فالجواب من ثلاثة أوجه :

- (١) نواذر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد بن علي الترمذي ج ٢ ص ٥ ، دار الجيل - بيروت - ١٩٩٢ م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة
- (٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١٢٧ ، مصدر سابق .
- (٣) نواذر الأصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٥ ، مصدر سابق .
- (٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٤ ص ٨٨ ، مصدر سابق . معاني القرآن الكريم ، النحاس ، ج ٥ ص ٤٤٦ ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .
- (٥) أحكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٢٤٦ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .
- (٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ج ١ ص ٦٠٢ ، دار القلم ، الدار الشاميه - دمشق ، بيروت - ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .
- (٧) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٣٨ ، مصدر سابق .

الأول : أن ذلك تجوز في العبارة كما قال : ﴿ يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمَّ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٠ ، والرسل إنما هي من الإنس .  
الثاني : أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح ، حيث تنصب أنهار الماء العذب ، أو ينزل المطر ، فلما كانت الأنهار والمطر ، وهي البحر العذب ، تنصب في البحر الملح ، كان الإخراج منهما جميعاً .  
الثالث : زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب ، وهذا قول يبطله الحس " (١) .

قال الشنقيطي : " قوله ﴿ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ دليل قرءاني واضح ، على بطلان دعوى من ادعى من العلماء أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر الملح خاصة " (٢) .  
والحلية لها منافع كثيرة ، والذي ورد في الآية : اللبس ، وهو تنبيه على غاية الحلية (٣) .

واللباس : قال ابن عاشور : " اسم لما يلبسه الإنسان ، أي يسئره به جزءاً من جسده ، فالقميص لباس ، والإزار لباس ، والعمامة لباس ، ويقال لبس التاج ولبس الخاتم " (٤) .

ثالثاً : التجارة في البحر :

دلّ البحر في القرآن على نعمة الله تعالى على عباده بتجارة البحر (٥) ، كما كما يذكر المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٤ قال الطبري : " وقوله ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يقول تعالى ذكره ، ولتصرفوا في طلب معاشكم بالتجارة " (٦) ، وبنحوه قال الثعلبي (١) ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٥٦ ، مصدر سابق .  
(٢) أضواء البيان ج ٦ ص ٥ ، مصدر سابق .  
(٣) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٥ ، مصدر سابق .  
(٤) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ٧٤ ، مصدر سابق .  
(٥) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٨١ ، مصدر سابق .  
(٦) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٤ ص ٨٩ ، مصدر سابق .

وقال السمرقندي : " ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي : لكي تطلبوا من رزقه ، حين تركيبون السفينة للتجارة " (٢) وقال الزمخشري : " ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤٦) الروم : ٤٦ ، يريد تجارة البحر " (٣) .  
وقد ذكر البخاري في صحيحه : " باب التجارة في البحر " (٤) ، وكان تميم الداري رضي الله عنه عظيم التجارة في البحر (٥) .

رابعاً : ركوب البحر :

عقد البخاري في صحيحه : " بَاب رُكُوبِ الْبَحْرِ (٦) " ، وذكر مالك رحمه الله أن عمر بن الخطاب كان يمنع الناس من ركوب البحر ، فلم يركبه أحد طول حياته ، فلما مات استأذن معاوية عثمان في ركوبه فأذن له ، فلم يزل يركب حتى كان أيام عمر بن عبد العزيز فمنع الناس عمر بن عبد العزيز من ركوبه ، ثم ركب بعده إلى الآن .  
وقال ابن عبد البر : " وهذا إنما كان من عمر ( بن الخطاب ) وعمر ( ابن عبد العزيز ) رضي الله عنهما في التجارة وطلب الدنيا ، والله أعلم " (٧) .  
وعن ابن عمر أنه كان يكره ركوب البحر إلا لثلاث غاز أو حاج أو معتمر (٨) ، وفي حديث أبي هريرة يقول جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا ، أَفَنَتَوَضَّأُ بِهِ؟ فقال رسول الله ﷺ : " هو الطهور ماؤه الحل مِئْتُهُ (٩) " ، قال ابن عبد البر : " وفي حديث هذا الباب من الفقه : إباحة ركوب البحر ، لأن رسول الله ﷺ لو كره ركوبه لنهى عنه الذين قالوا : إنا نركب البحر ، وقولهم هذا يدل على أن ذلك كان كثيراً ما

- (١) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي ، ج ٦ ، ص ٢٦٨ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .
- (٢) تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٢٦٨ ، مصدر سابق .
- (٣) الكشف ج ٣ ص ٤٨٩ ، مصدر سابق .
- (٤) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٢ ص ٧٢٧ ، مصدر سابق .
- (٥) سنن البيهقي الكبرى ، ج ٣ ص ١٥٤ ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- (٦) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٣ ص ١٠٦٠ ، مصدر سابق .
- (٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، ج ١ ص ٢٣٣ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري .
- (٨) المصنف ، الصنعاني ج ٥ ص ٢٨٤ ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
- (٩) موطأ الإمام مالك ، ج ١ ص ٢٢ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - مصر - ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

يركبونه لطلب الرزق من أنواع التجارة وغيرها ، وللجهاد وسائر ما فيه إباحة أو فضيلة ، والله أعلم ، فلم ينههم عن ركوبه " (١) .

ومما جاء في السنة أيضاً مما يدل على ركوب البحر في زمن النبي x حديث تميم الداري رضي الله عنه ، حيث قدم على رسول الله x تميم الداري فأخبر رسول الله x - وفيه أنه - ركب البحر (٢) .

وقال الجصاص في قوله تعالى : ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا

يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ البقرة: ١٦٤ " دلالة على إباحة ركوب البحر غازيا وتاجرا ومبتغيا لسائر المنافع ، إذ لم يخص ضربا من المنافع دون غيره " (٣)

وقال ابن العربي : " في هذه الآية جواز ركوب البحر " (٤) يعني قوله

تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ

بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وظنوا أنهم أحيط بهم دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ

لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ يونس: ٢٢ ، وقال : " أما القرآن فيدل على جواز ركوب البحر مطلقا " (٥) .

وقد امتن الله تعالى على عباده بجريان الفلك في البحر ، قال ابن عاشور : " وفي امتنان الله تعالى بجريان الفلك في البحر دليل على جواز ركوب البحر من غير ضرورة ، مثل ركوبه للغزو والحج والتجارة " (٦)

ولا شك أن من نعم الله تعالى على عباده تسخير البحر لهم للركوب ،

وهذا من عظيم آياته وكبير سلطانه ، ونبههم على شكره عليها بقوله ﴿

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ

(١) التمهيد لابن عبد البر ج ١٦ ص ٢٢١ ، مصدر سابق .  
(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٦٥ ، مرجع سابق .  
(٣) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٣١ ، مصدر سابق .  
(٤) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٤ ، مصدر سابق .  
(٥) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥ مرجع سابق ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٢ ص ١٩٥ مرجع سابق ، تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٦ مصدر سابق .  
(٦) تفسير التحرير والتنوير ج ٢ ص ٨١ ، مصدر سابق .

تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

النحل: ١٤ (١).

خامسا : عدم اختلاط البحرين :  
 من نعم الله تعالى على عباده أن خلط البحرين : المالح والعذب ،  
 ومنع أن يفسد المالح العذب عن عذوبته ، نرى ذلك في قوله تعالى : ﴿  
 وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا  
 مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ الفرقان: ٥٣ ، قال الطبري : " من نعمته على خلقه و عظيم  
 سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر المالح الأجاج ، ثم يمنع الملح  
 من تغيير العذب عن عذوبته وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضر  
 إفساده إياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى  
 الماء ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ يعني : حاجزا يمنع كل واحد  
 منهما من إفساد الآخر ، ﴿ وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ يقول : وجعل كل واحد منهما  
 حراماً محرماً على صاحبه أن يغيره ويفسده " (٢).

وليس عدم اختلاط البحرين بأن جعل الله تعالى بينهما أرضاً يابسة ،  
 قال الطبري : " لأن الله تعالى ذكره ، أخبر في أول الآية أنه مرج  
 البحرين ، والمرج هو: الخلط في كلام العرب ، .. فلو كان البرزخ ، الذي  
 بين العذب الفرات من البحرين والمالح الأجاج أرضاً أو يبسا ، لم يكن  
 هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته  
 بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد  
 منهما بصاحبه ، فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه ،  
 فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من  
 الناس ويذكرون به " (٣).

(١) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال ج ٦ ص ١٣١ ، مصدر سابق .  
 (٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٩ ص ٢٤ ، مصدر سابق .  
 (٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج ١٩ ص ٢٥ ، مصدر سابق .

## الفصل الرابع دلالة آيات البحر في القرآن على صدق النبوة

جاءت بعض آيات البحر في القرآن الكريم دالة على صدق نبوة موسى عليه السلام ، من خلال فلق البحر له ولمن آمن من قومه ، حين أمره الله تعالى بضرب البحر بالعصا ، فأصبح البحر يبساً لا ماء فيه ولا بلبل ، يسبغون فيه مع السلامة ، فنجاه الله تعالى ونجى من آمن معه ، وأهلك فرعون ومن معه بإغراقهم ، فكانت معجزة بينة ، وآية ، على صدق موسى عليه السلام في دعوته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى

عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ وَأَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَأُ مُبْتِئٌ ﴿٣٣﴾ الدخان: ٣٢ - ٣٣ ، ومن الآيات : فلق البحر (١) ، قال الرازي : " فلق البحر في الدلالة على وجود الصانع القادر وفي الدلالة على صدق موسى كالأمر الضروري " (٢) .

وكان فلق البحر في آيات من القرآن منها : قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ الشعراء: ٦٣ ، قال الراغب : " الفلق : شق الشيء وإبانه بعضه عن بعض ، يقال : فلقته فانفلق ، قال : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ الأنعام: ٩٦ ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ الأنعام: ٩٥ ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ الشعراء: ٦٣ " (٣) .

وجاءت في موضع آخر : بـ ( الفَرْقُ ) قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ البقرة: ٥٠ ، قال الراغب : " فَرْقٌ : الفَرْقُ : يقارب الفلق ، لكن الفلق يقال اعتباراً

(١) الكشاف ج ٤ ص ٢٨١ ، مصدر سابق .  
(٢) التفسير الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، مصدر سابق .  
(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٥ ، مصدر سابق .

بالانشقاق والفرق يقال اعتباراً بالانفصال ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴾ " (١) .

وهي معجزة لم يؤتيها الله تعالى أحداً من العالمين غير موسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ تُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ المائدة: ٢٠ ، وهي نعمة لمن آمن من قوم موسى عليه السلام امتن الله تعالى بها عليهم كما في قوله تعالى : ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ البقرة: ٤٠ ، والنعمة في الآية السابقة : هي فلق البحر (٢) .

وقد كان النبي x يصوم هذا اليوم الذي نجى الله تعالى به موسى حين انفلق البحر له ، شكراً لله تعالى ، وأنه أحق بموسى من يهود المدينة ، كما في صحيح البخاري : " قَدِمَ النَّبِيُّ x الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَصَامَهُ مُوسَى ، قَالَ : فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ " (٣) .

وكان المشركون يطالبون المؤمنين بحجة على صدق نبوة الرسول محمد x ، مثل الذي أعطي موسى عليه السلام من فلق البحر ، قال الرازي : " فَإِن قِيلَ : فما السبب في أن الله تعالى منعهم وما أعطاهم ؟ قلنا : إنه لما أظهر المعجزة الواحدة فقد تم الغرض ، فيكون طلب الباقي تحكماً ، وظهور القرآن معجزة ، فما كان مع ذلك حاجة إلى سائر المعجزات ، وأيضاً فلعله تعالى علم أنهم يصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات الملتزمة ، وكانوا يصيرون حينئذ مستوجبين لعذاب الاستئصال ، فلهذا السبب ما أعطاهم الله تعالى مطلوبهم ، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ <sup>لَوْ</sup> وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣) الأنفال: ٢٣ ، بين أنه لم يعطهم مطلوبهم لعلمه تعالى

(١) غريب القرآن ، السجستاني ، ص ٣٧٧ ، دار قتيبة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران  
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، ج ١ ص ١٠١ ، مصدر سابق .  
(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٠٤ ، مصدر سابق .



أنهم لا ينتفعون به ، وأيضاً ففتح هذا الباب يفضي إلى ما لا نهاية له ، وهو أنه كلما أتى بمعجزة جاء واحد آخر ، فطلب منه معجزة أخرى " (١) . وجاءت كيفية إغراق المكذابين بموسى عليه السلام في مواضع في القرآن ، منها :

قوله تعالى: ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۖ ﴾ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ الشعراء: ٦٠- ٦٦ وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ﴿٧٨﴾ طه: ٧٨ .

إن في فلق البحر لعبرة وعظة في نهاية من ادعى الألوهية ، فقد أورد القرآن ما حصل لفرعون حينما أغرقه الله ، وأغرق جنوده في البحر فهلكوا عن آخرهم، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَنُوزَنَا بِنِي إِسْرَاءَ يَلُّ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ الأعراف: ١٣٨ فأصبح لمن بعده عبرة وموعظة وعلامة ، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق (٢) .

وكان فلق البحر لموسى عليه السلام حين ضرب البحر بالعصا ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ الشعراء: ٦١ - ٦٦ وكانت المعجزة من وجوه : أحدها : أن تفرق ذلك الماء معجز .

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١١ ، مصدر سابق .  
(٢) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٨٩ ، مصدر سابق .

وثانيها : أن اجتماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل ، من المعجزات أيضاً ، لأنه كان لا يمتنع في الماء الذي أزيل بذلك التفريق أن يبده الله تعالى حتى يصير كأنه لم يكن ، فلما جمع على الطرفين صار مؤكداً لهذا الإعجاز .  
وثالثها : أن أبى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون ، وطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما تخلص قوم موسى عليه السلام<sup>(١)</sup> .

وفي كيفية الانفلاق قولان :  
فالمشهور كونه خطياً ، وفي بعض الآثار ما يقتضي كونه قوسياً ، إذ فيه أن الخروج من الجانب الذي دخلوا منه ، قال الألوسي : " واحتمال الرجوع في طريق الدخول يكاد يكون باطلاً ، لأن الأعداء في أثرهم " (٢)

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٢٠ ، مصدر سابق .  
(٢) روح المعاني ج ١ ص ٢٥٥ ، مصدر سابق .

### الفصل الخامس

#### دلالة آيات البحر في القرآن على بعض المعاني المتفرقة

أولاً : القرية البحرية :  
من دلائل آيات البحر في القرآن : وجود القرية البحرية ، وهي القرية  
المجاورة للبحر على شاطئه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ  
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ  
حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ  
نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾ الأعراف: ١٦٣ فالمراد بالقرية التي  
كانت حاضرة البحر في الآية الكريمة كما يذكر المفسرون هي ما كانت  
مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه<sup>(١)</sup> ، وهي القرية البحرية<sup>(٢)</sup> ،  
ومعلوم أنها ليست في البحر وإنما هي مقاربة له<sup>(٣)</sup> ، والقريب من  
الشيء يقال إنه حاضره<sup>(٤)</sup> ، يقال كنت بحضرة الدار أي بقربها<sup>(٥)</sup> .

ثانياً : العمل في البحر :  
وجاء البحر في القرآن الكريم واستنبط من سياقه أنه من مصادر العمل  
والتعيش لمن احتاج كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي  
كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ  
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا  
كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾ الأعراف: ١٦٣ ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ  
فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٩٠ ، مصدر سابق .  
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٣٢٨ ، مصدر سابق .  
(٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، الماوردي ،  
ج ٤ ص ٦٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، الطبعة  
الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود  
(٤) فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، ج ٢ ص ٤٩٣ دار الفكر -  
بيروت .  
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٣٠٥ ، مصدر سابق .

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ الكهف: ٧٩ ، فقد كانوا يؤاجرون في البحر ويكسبون قوتهم (١) .

ثالثاً : مكان التقاء موسى عليه السلام بالخضر :  
وقد جعل الله تعالى على شاطئ البحر في القرآن الكريم المكان الذي أوحى الله تعالى فيه إلى موسى عليه السلام أنه سيجد فيه عبداً من عباد الله العالمين ، عنده من العلم ما ليس عند موسى عليه السلام ، وهو الخضر ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَأِنَّا غَدَاءٌ لَّكَدَّ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۗ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الكهف: ٦٠- ٦٣ أي : لتكوحين قل موسى ، وهو ابن عمران ( لفتاه ) أي : لصاحبه : يوشع بن نون ، كان معه في سفره ، ( لا أبرح ) أي : لا أزال أسير ( حتى أبلغ مجمع البحرين ) (٢) ، ومجمع البحرين هو : ملتقى بحري : قال الرازي : " وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه " (٣) .

### الخاتمة

وبعد ، فيمكن أن نخلص إلى أهم النتائج من هذا البحث وهي كما يلي :  
أولاً : ورود لفظ " البحر " :  
● إذا تتبعنا مفردة " بحر " في القرآن الكريم ، وجدناها ذكرت في القرآن إحدى وأربعين مرة على اختلاف ألفاظها : أفراداً ، وتثنية ، وجمعاً .  
● وردت مفردة " بحر " بلفظ الأفراد : " البحر " في اثنين وثلاثين موضعاً ، في عشرين سورة ، ووردت بلفظ الأفراد : " بحر " في موضع واحد في سورة : ( النور ) .

(١) تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٣٥٧ ، مصدر سابق .  
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٥٢٧ مرجع سابق ، تفسير البيهقي ج ٣ ص ١٧١ ، مرجع سابق .  
(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٢٤ ، مرجع سابق .

- وردت مفردة " بحر " بلفظ التثنية في خمسة مواضع ، في خمسة سور .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ الجمع في ثلاثة مواضع ، في ثلاث سور .

ثانياً : أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن يطلق على :  
المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر ، ومن مرادفات البحر : اليمّ ،  
والذي يطلق على : النهر العذب .

- ثالثاً : دلالات آيات البحر :
- لا تخرج عموماً عن أربعة معاني في الجملة ، وهي كما يلي :
- الأول : الدلالة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه العبادة ، وتظهر من أمور ، منها :  
أولاً : حمل البحر السفن وسيرها فيه .  
ثانياً : ظلمات البحر .  
ثالثاً : شمول علم الله تعالى على ما في البحر .  
رابعاً : الضر والغرق في البحر .  
خامساً : الحاجز بين البحرين .  
سادساً : الفساد في البحر .  
سابعاً : امتلاء البحر دون أن يفيض .  
ثامناً : التمثيل بالبحر .  
تاسعاً : تسجير البحر .
  - الثاني : الدلالة على نعم الله تعالى وامتنانه على عباده ، وتظهر من أمور ، منها :  
أولاً : أكل صيد البحر وطعامه .  
ثانياً : حلية البحر .  
ثالثاً : التجارة في البحر .  
رابعاً : ركوب البحر .  
خامساً : عدم اختلاط البحرين .

• الثالث : الدلالة على صدق نبوة من أرسله الله تعالى .  
حيث جاءت بعض آيات البحر في القرآن الكريم دالة على صدق نبوة موسى عليه السلام ، من خلال فلق البحر له حين أمره الله تعالى بضرب البحر بالعصا ، فأصبح البحر يبساً لا ماء فيه ولا بلل ، يسيرون فيه مع السلامة ، وهي معجزة لم يؤتيها الله تعالى أحداً من العالمين غير موسى عليه السلام .

- الرابع : الدلالة على بعض المعاني المتفرقة ، ومنها :  
أولاً : القرية البحرية .

ثانياً : العمل في البحر .  
ثالثاً : مكان التقاء موسى عليه السلام بالخضر .  
رابعاً : أن البحر في القرآن جاء عند بعض المفسرين على أربعة أوجه :  
أحدها : البحر المعروف في الأرض ، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف  
٦٠ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا  
﴿٦٠﴾ وفي سورة الدخان ٢٤ : ﴿ وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

والثاني : [ البحر ] الماء العذب والمالح ، ومنه قوله تعالى في سورة  
الرحمن ١٩ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ﴿١٩﴾ .

والثالث : بحر تحت العرش ، ومنه قوله تعالى في سورة الطور ٦ ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ ﴿٦﴾

والرابع : العامر من البلاد ، ومنه قوله تعالى في سورة الروم ٤١ : ﴿  
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ .  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

## المراجع

١. أحكام القرآن ، ابن العربي الوفاة: ٥٤٣هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
٢. أحكام القرآن ، الجصاص أبو بكر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي. الوفاة: ١٣٩٣هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م . تحقيق : مكتب البحوث والدراسات .
٤. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ، دار الفكر - بيروت
٥. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
٦. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م .
٧. التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة .
٨. تفسير البحر المحیط ، أبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض .
٩. تفسير البغوي ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك
١٠. تفسير البيضاوي ، دار الفكر - بيروت .
١١. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د. محمود مطرجي .
١٢. تفسير القرآن ، السمعاني ، دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن غنيم .
١٣. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠١
١٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .
١٥. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، الحميدي ، مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز .
١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري .
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية .

- ١٨ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .
- ١٩ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ .
- ٢٠ . الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .
- ٢١ . الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار النشر : دار الشعب - القاهرة .
- ٢٢ . الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، الماوردي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود .
- ٢٣ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٢٤ . زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة .
- ٢٥ . سنن البيهقي الكبرى ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- ٢٦ . شرح صحيح البخاري ، ابن بطال ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم .
- ٢٧ . شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، أبو عبد الله الزرعي ، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .
- ٢٨ . صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٢٩ . طلبه الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، النسفي ، دار النفائس - عمان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م . تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .
- ٣٠ . غريب القرآن ، السجستاني ، دار قتيبة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران .
- ٣١ . فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، دار الفكر - بيروت .
- ٣٢ . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ٣٣ . الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد آل معمر المتوفى : ١٢٢٥هـ .
- ٣٤ . القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٣٥ . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .



٣٦. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .
٣٧. اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن عادل ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .
٣٨. لسان العرب ، ابن منظور ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى .
٣٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .
٤٠. مختار الصحاح ، الرازي ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، الطبعة : طبعة جديدة ، تحقيق : محمود خاطر .
٤١. المصنف ، الصنعاني ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
٤٢. معاني القرآن الكريم ، النحاس ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .
٤٣. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ابن قدامة ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى .
٤٤. المفردات في غريب القرآن ، اسم المؤلف : الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة - لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .
٤٥. من آيات الله في البحار ، تأليف : ماهر أحمد صوفي ، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦هـ .
٤٦. موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - مصر - ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي ، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .
٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .
٤٩. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، الماوردي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
٥٠. نوادر الأصول في أحاديث الرسول x ، اسم المؤلف : محمد بن علي الترمذي ، دار الجيل - بيروت - ١٩٩٢م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة .
٥١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق ، بيروت - ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

## النخل في القرآن الكريم

د/ سعود بن عبد العزيز بن سليمان الحمد

- \* عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- \* حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحاته (تحقيق المروي عن ابن عباس من أول سورة طه إلى آخر سورة العنكبوت) .
- \* حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق (تفسير أبي الليث السمرقندي من أول سورة الرعد إلى آخر سورة السجدة) .



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**وبعد :** فإن كتاب الله الكريم ، وحبلى المتين ، ودستور خاتم أديان رب العالمين ، قد حوى من الحكم والأحكام ، والفوائد والفرائد ، والنصائح والتوجيهات ، والمواعظ والتكليفات ، ما لا يعلمه إلا الذي تكلم به وأنزله علي محمد x وإن أفضل ما يشتغل به المشتغلون ، ويزجون به الأوقات والأعمار ، النظر في كتاب الله وتدبره ، والعمل على بيانه وتوضيحه وتفسيره ، خاصة طلبه العلم ليساهموا في جذب الناس لهذه المائدة العظيمة ، وحثهم ليقبلوا عليها وينهلوا منها ، ولقد تنبه علماءنا الأوائل ، وسلفنا الأفاضل لهذا الأمر ، فاشتغلوا بالقرآن ، منهم من قام بتفسيره أو جزء منه ، ومنهم من كتب في علومه المختلفة والمتنوعة ، فمن كاتب في إعجازه ، وكاتب في ناسخه ومنسوخه ، وكاتب في أسباب نزوله ، وكاتب في قراءاته ، وكاتب في إعرابه ، وكاتب في محكمه ومتشابهه ، وكاتب في مناسباته ، وكاتب في غريبه ، إلى غير ذلك من علومه المختلفة ، وفنونه المتفرقة ، حاديههم في ذلك محبة كتاب الله والرغبة في المساهمة في الجهود التي تبذل لخدمة كتاب الله جل وعلا ، وقد أحببت أن أسلك طريقهم ، وأسير على منهجهم ومنوالهم ، وأتطفل على موانئهم رغبة في خدمة هذا الكتاب العزيز ، ومساهمة في الجهود التي تبذل والتي تؤدي إلى المساهمة في حفظ هذا الكتاب الكريم ، وصيانته عن العبث ، وقد لاح لي أثناء قراءة كتاب الله تكرر ورود لفظ النخلة في القرآن الكريم تلك الشجرة المباركة ، والتي جعل الله فيها ملتجئاً ونجدة لمريم حين المخاض ، وأمرها بأن تأكل من ثمرها لما في ذلك من الفوائد العظيمة، والتي أثبتتها الطب بعد قرون طويلة من نزول هذا القرآن على سيد الأنام ، فأحببت جمع الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر النخلة في القرآن في موضع واحد ، وشرحها وبيان ما قاله فيها علماء التفسير لتكون بين يدي إخواني الباحثين ، وطلاب العلم..

ومما دفعني للبحث في هذا الموضوع مكانة النخلة في مجتمعنا السعودي ، وحرص الناس عليها ، ورغبتهم في زراعتها حتى في منازلهم واستراحاتهم .. ولم أجد خلال مطالعتي وقراءاتي - على محدوديتها - من كتب في هذا الموضوع .. فكانت العزيمة والرغبة دافعاً إلى ذلك وقد اسميته " النخل في القرآن الكريم" .

وسوف أتناول الموضوع من خلال النقاط التالية :

- المبحث الأول : المراد بالنخلة .  
المبحث الثاني : النخلة مثل للمؤمن .  
المبحث الثالث : التوجيه النبوي الكريم حول ثمر النخلة (التمر) .  
المبحث الرابع : الصيغ التي جاء لفظ النخلة عليها في القرآن .  
المبحث الخامس : ذكر النخلة في القرآن من باب الامتتان على الخلق .  
المبحث السادس : ذكر النخلة كمثال على ما حل بالأمم السالفة من العذاب .  
المبحث السابع : ذكر النخلة في معرض تعنت المشركين عن إجابة دعوة الرسول .  
المبحث الثامن : سياق النخلة في معرض ضرب المثل .  
المبحث التاسع : استخدام الجبابة للنخلة في تعذيب المؤمنين .  
المبحث العاشر : لجوء مريم إليها وكونها مصدر رزق وطعام لها .  
المبحث الحادي عشر : قطع النخيل وأثره النفسي لدى المحاربين .  
الخاتمة : وفيها أبرز نتائج البحث .  
الفهارس اللازمة للبحث .

وسيكون منهجي في البحث جمع ما قاله المفسرون في الآيات التي ترد في النخلة واستنباط الفوائد والأحكام منها ، وذكر القراءات وأسباب النزول إن وجدت ، وسأقوم بعزو الآيات إلى سورها ، وتخريج الأحاديث فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به وإلا خرجته من مظانه قدر الإمكان ، ولن أترجم للأعلام الواردة في البحث لئلا يطول البحث ، وأخيراً سأضع الفهارس اللازمة للبحث .

وختاماً أرجو ممن يقرأ هذه الكلمات ألا يبخل عليّ بدعوة صالحة مخلصة في ظهر الغيب فإن له بمثلها ، كما إنني أرجو من وجد خطأ أو وقف عليه أن ينبهني إلى ذلك فإن المسلم مرآة أخيه المسلم ، والله أعلم وأحكم وهو حسبنا ونعم الوكيل .  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحابه أجمعين .

## المبحث الأول : المراد بالنخلة

النخلة شجرة التمر ، الجمع نخل ، ونخيل وثلاث نخلات<sup>(١)</sup> .  
وقال ابن فارس : النون والخاء واللام : كلمة تدل على انتقاء الشيء واختياره ، وانتخلته : استقصيت حتى أخذت أفضله ، وعندنا أن النخل سمي به لأنه أشرف كل شجر ذي ساق ، الواحدة نخلة<sup>(٢)</sup> .  
والنخل : اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء يقال للمفرد : نخلة بالتاء ، وللجمع : نخل بدونها، ويذكر ويؤنث. فمن التذكير قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ومن التأنيث ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ويجمع على نخيل أيضاً ، ولكرمها عندهم اشتقوا من لفظها ما يدل على اصطفاء الشيء ، يقال : نخلتُ الشيء وانتخلته ، ومنه : نخل الدقيق<sup>(٥)</sup> .  
واستعار أبو حنيفة النخل لشجر النارجيل<sup>(٦)</sup> ...  
وأهل الحجاز يؤنثون النخل ، وفي التنزيل العزيز ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ أَلْكَامٍ﴾<sup>(٧)</sup> ، وأهل نجد يذكرون ..

(١) لسان العرب ٦٥٢/١١ ،  
(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٠٧/٥ .  
(٣) سورة القمر آية /٢٠/ .  
(٤) سورة الحاقة آية /٧/ .  
(٥) عمدة الحفاظ للتسمين الحلبي ١٧٧/٤ - ١٧٨ ، وانظر : المفردات للراغب /٤٨٦/ .  
(٦) النارجيل : جوز الهند وأحدثه نارجيلة . انظر : لسان العرب ٦٥٦/١١ .  
(٧) سورة الرحمن آية /١١/ .

وأبو نخلة كنيه ، ونخيلة موضع بالبادية ، وبطن نخلة بالحجاز  
موضع بين مكة والطائف<sup>(١)</sup> (٢).

وقال أبو حاتم السجستاني : النخلة سيده الشجر ، مخلوقة من طين  
آدم صلوات الله عليه ، وقد ضربها الله جل وعز مثلاً لقوله : لا إله إلا الله  
، فقال تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً  
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿٣﴾ . وهي قول : لا إله إلا الله ، " كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ " وهي  
وهي النخلة ، فكما أن قول : لا إله إلا الله سيد الكلام ، كذلك النخلة سيده  
الشجر<sup>(٤)</sup> .

فالمراد بالنخلة الشجرة المعروفة وهي شجرة التمر ، وهي شجرة  
مباركة تثمر في السنة مرة واحدة ، وثمرها غذاء ودواء ، وجميع أجزاء  
النخلة ذات فائدة عظيمة حيث يؤكل ثمرها ، ويوقد منها ، ويتخذ من ليفها  
وخصوصها فرشاً وأواني لاستعمالات عديدة فتبارك الخالق العظيم ذو  
العرش الكريم .

### المبحث الثاني : النخلة مثل المؤمن

يقول الله جل وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً  
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ  
بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ .

◎ ( أَلَمْ تَرَ ) يعين قلبك فتعلم علم يقين بإعلامي إياك<sup>(٦)</sup> والخطاب  
لسيد المخاطبين محمد x ، وقيل لمن يصلح له<sup>(٧)</sup> .

◎ ( كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ) المثل : القول السائر لتشبيه شيء بشيء  
<sup>(٨)</sup> ، ويكون وفق الحال التي ضرب لها ، ولا بد فيه من غرابة ..

(١) موضع علي ليلة من مكة وهي التي ورد فيها الحديث ليلة الجن وهي وادٍ ينصب من  
بطن قرن المنازل . انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ١٣٠٤/٢ ،  
ومعجم البلدان لباقوت ٢٧٧/٥ .

(٢) لسان العرب ٦٥٢/١١ .

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٤/٢٤ .

(٤) كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني ٣٣/٣٣ .

(٥) سورة إبراهيم آية ٢٤/٢٤ - ٢٥/٢٥ .

(٦) فتح البيان ١٣٨/٥ ، وتفسير البغوي ٣٢/٣ .

(٧) روح المعاني ٢١٢/١٣ .

(٨) تفسير البغوي ٣٢/٣ .

وقيل : هو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما للآخر وتصوره<sup>(١)</sup> .  
وأصل المثل : الانتصاب ، والممثل المصور على مثال غيره .  
والتمثال : الشيء المصور ، وتمثل كذا : تصور<sup>(٢)</sup> .  
والمعنى هنا : بين الله شيئاً ، ثم فسر ذلك المثل<sup>(٣)</sup> .

◎ (كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ) قال ابن عباس : يريد لا إله إلا الله وهو قول الجميع<sup>(٤)</sup> ، وقيل : كل كلمة جميلة كالتسبيح ، والتحميد ، والاستغفار ، والتوبة ، والأذان ، والدعوة إل الحق<sup>(٥)</sup> .  
وقيل المراد بها : الإيمان .  
وقيل : عنى بها المؤمن نفسه<sup>(٦)</sup> .

◎ (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) هي النخلة في قول جمهور المفسرين<sup>(٧)</sup> .  
وقد جاء هذا التفسير عن النبي x من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله x : "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : فقال : هي النخلة " <sup>(٨)</sup> .  
وقيل : هي شجرة في الجنة<sup>(٩)</sup> .  
وقيل : إنها المؤمن ، وأصله الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عمله السماء<sup>(١٠)</sup> .

ومع أن الآية تحتل هذه الأقوال ، إلا أن أولى التفسير لها هو ما ثبت عن النبي x ، لأنه ثبت بطريق صحيح وهو أولى ما تحمل عليه الآية والله أعلم بالصواب .

(١) عمدة الحفاظ ٧٧/٤ وما بعدها  
(٢) المفردات للراغب الأصفهاني /٤٦٢ .  
(٣) الوسيط ٢٩/٣ .  
(٤) الوسيط ٢٩/٣ ، والبحر المحيط ٤٢١/٥ ، وتفسير القرآن العزيز ٣٦٩/٢ ، وزاد المسير ٣٥٨/٤ ، وتفسير البغوي ٣٢/٣ ، وتفسير الطبري ٢٢٥/١٣ .  
(٥) عيون التفسير ٢٧٨/٢ .  
(٦) تفسير الماوردي ١٣٢/٣ ، وتفسير الطبري ٦٣٥/١٣ .  
(٧) انظر : الطبري ١٣٧/١٣ ، مرويات أحمد في التفسير ٤٣٣/٢ ، وتفسير البغوي ٣٢/٣ ، وزاد المسير ٢٧٨/٢ ، والماوردي ١٣٢/٣ .  
(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢٠/٥ ، وأخرجه مسلم في الصحيح ٢١٦٥/٤ .  
(٩) زاد المسير ٣٥٨/٤ ، وتفسير الماوردي ١٣٢/٣ ، وتفسير الطبري ٦٤١/١٣ .  
(١٠) زاد المسير ٣٥٨/٤ ، وتفسير الماوردي ١٣٢/٣ .



- (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أي : أسفلها متمكن بعروقها في الأرض (١).
- (وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ) أي : أعلاها ورأسها وأغصانها مرتفعة نحو السماء (٢). والمراد : رأسها الذي تكون فيه الثمرة (٣).
- (تُؤْتِي أَكْلَهَا) أي : تعطي هذه الشجرة ثمرها وما يؤكل منها (٤).
- (كُلَّ حِينٍ) (اختلف في المراد بالحين في الآية على أقوال :
- فقيل : إنه غدوة وعشية وكل ساعه .
  - وقيل : بكرة وعشية روي عن ابن عباس .
  - وقيل : إنه شهران ، قاله سعيد بن المسيب .
  - وقيل : ستة أشهر ، قال به ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة .
  - وقيل : إنه ثمانية أشهر ، وهو مروى عن علي رضي الله عنه .
  - وقيل : سنة ، روي عن ابن عباس ، ومجاهد (٥).
- فمن قال : ثمانية أشهر أشار إلى حملها ظاهراً وباطناً ، ومن قال سنة أشهر فهي مدة حملها إلى صرامها ، ومن قال بكرة وعشية ، أشار إلى الاجتناء منها ، ومن قال سنة ، أشار إلى أنها لا تحمل في السنة إلا مرة ، ومن قال شهران ، فهو مدة صلاحها .. ومن قال : كل ساعة ، أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً ... (٦).
- قال النحاس بعد أن ساق الأقوال في معنى الحين: وهذه الأقوال متقاربة غير متناقضة، لأن الحين عند جميع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - بمعنى الوقت ، يقع لقليل الزمان وكثيره ، غير أن الأشبه في الآية أن يكون الحين السنة، لأن إدراك الثمرة كل عام وكذا طلوعها (٧).
- (بِإِذْنِ رَبِّهَا) أي : بأمره ، ومشيتته ، أو بتيسيره ، وتكوينه (٨).
- (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) قال ابن عباس : يريد أهل مكة (٩).

(١) عيون التفاسير ٢٧٨/٢ .  
(٢) عيون التفاسير ٢٧٨/٢ ، وتفسير الماوردي ١٣٢/٣ .  
(٣) تفسير القرآن العزيز ٣٦٨/٢ .  
(٤) الوسيط للواحدى ٣٠/٣ ، وتفسير الماوردي ١٣٢/٣ ، وزاد المسير ٣٥٨/٤ .  
(٥) انظر : تفسير الماوردي ١٣٢/٣ ، وزاد المسير ٣٥٨/٤ ، وتفسير الطبري ٦٤٣/١٣ .  
(٦) زاد المسير ٣٥٩/٤ .  
(٧) معاني القرآن الكريم للنحاس ٥٢٨/٣ .  
(٨) عيون التفاسير ٢٧٨/٢ ، وفتح البيان ١٣٩/٥ .  
(٩) الوسيط ٣٠/٣ .

(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أي : يتعظون بالتفكر في الأمثال ويؤمنون (١)

في الآيتين السابقتين ضرب الله جل وعلا مثلاً للمؤمن ، حيث شبهه بالنخلة فالإيمان الذي يحمله إيمان راسخ ، قوي ، ثابت كنبات النخلة في الأرض ، وهو مرتفع في السماء كارتفاع النخلة ، وفي ذلك إشارة إلى أنه يجب على المؤمن أن يعتز بإيمانه ، ويفخر به ، ويرتفع كما ترتفع النخلة في فضاء السماء .

والحكمة في تشبيه المسلم بالنخلة في كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يببس ، ويدخر على أشكال مختلفة ليؤكل على مدار العام ، ومن خشبها ، وورقها ، وأغصانها يستعمل عصياً ، وحبالاً ، وفرشاً ، وأواني وغير ذلك ، حتى نواها ينتفع به علفاً للإبل ، بل صنع منه الآن ما يستفيد منه بنو آدم ، وهي جميلة في نباتها ، وحسن هيئة ثمرها ، فهي منافع كلها ، وخير وجمال ، كما أن المؤمن خير كله ، من كثرة طاعاته ، وأخلاقه ، ونفعه للآخرين فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى جملة من الوجوه التي لأجلها شبهت النخلة بالإنسان ومنها :

- أولاً : ثبات أصلها في الأرض واستقراره فيها .
- ثانياً : طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها .
- ثالثاً : دوام لباسها وزينتها .
- رابعاً : سهولة تناول ثمرتها وتيسره .
- خامساً : أن ثمرتها من أنفع ثمار العالم ، فيؤكل رطبها فاكهة وحلاوة ، ويابسها يكون قوتاً وأدماً .
- سادساً : أن النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد ، وكذلك المؤمن يصبر على البلاء والمصائب .
- سابعاً : أن النخلة كلها منفعة لا يسقط منها شيء ، وكذلك المؤمن كله نفع وفائدة .

- ثامناً : أنها كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها ، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله .
- تاسعاً : أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه ، وكذا قلب المؤمن من أطيب القلوب (٢) .

والحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة من أوجه كما يقول ابن الجوزي :

(١) عيون التفاسير ٢/٢٧٩ .  
(٢) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٢٣٠ وما بعدها - بتصرف .

**أحدها :** إنها شديدة الثبوت ، فشبه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها  
**الثاني :** إنها شديدة الإرتفاع فشبه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها

**والثالث:** أن ثمرتها تأتي في كل حين ، فشبه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بثمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها ، فالمؤمن كلما قال : لا إله إلا الله ، صعدت إلى السماء ، ثم جاءه خيرها ومنفعتاها .

**الرابع :** إنها أشبه الشجر بالإنسان ، فإن كل شجرة يقطع رأسها تتشعب غصونها من جوانبها إلا هي ، إذا قطع رأسها يبست ، ولأنها لا تحمل حتى تلقح ، ولأنها فضلة تربة آدم عليه السلام فيما يروى (١) .

ووجه الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجر على الإطلاق : أن الشجرة لا تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء : عرق راسخ ، وأصل ثابت ، وفرع نابت ، وكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء : تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأبدان والأركان (٢) .

وهكذا فإن النخلة ، تلك الشجرة المباركة هي مثل تلك الكلمة الطيبة وهي لا إله إلا الله كما قال ابن عباس ، وهو قول عامة المفسرين ، كما مر معنا في تفسير الكلمة الطيبة ، والتي تصدر من المؤمن المبارك ، وهذا المؤمن في ثبات هذه الكلمة ورسوخها في قلبه ، وكذلك في عطائه وشموخته ، يشبه هذه الشجرة المباركة كما جاء في الحديث عن المصطفى x ، حيث تؤتي هذه الشجرة أكلها كل حين ، وبأصناف مختلفة ، وأشكال متغايرة ، وطعوم متفاوتة ، وكذا المؤمن نفعه كبير ، وعطاؤه غزير ، ليله ونهاره طاعة لله وعباده .

### المبحث الثالث : التوجيه النبوي الكريم حول التمر

من أبرز ثمار النخلة التمر تلك الثمرة الطيبة ، الحلوة المذاق ، وهي فاكهة من الفواكه التي يتفكه بها ، وغذاء من الأغذية ، ودواء وعلاج بإذن الله جل وعلا ، ولقد حفلت السنة المطهرة بأحاديث تدل على فضل التمر ومنها :  
أن التمر أطيب وأغنى غذاء :

(١) زاد المسير ٣٥٩/٤ ، وتفسير البغوي ٣٣/٣ .  
يشير ابن الجوزي رحمه الله إلى الحديث الذي يروى وهو : (أكرموا عمتم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم ، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فأطعموا نساءكم الوالد الرطب ، فإن لم يكن رطباً فتمراً) وهو حديث ضعيف بل موضوع ، أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢٥٦/٤ ، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٢٤٢٤/٣ ، وسأقه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٨٣/١ ، وانظر : اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية للسيوطي ١٥٥/١ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ٧٢/١ .  
(٢) فتح البيان ١٤٠/٥ .

- عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي x قال : (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر) (١).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله x : (بيت لا تمر فيه جياع أهله ، يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله ، أو جاع أهله ، قالها مرتين) (٢).

(٣) وفي هذين الحديثين فضيلة التمر ، وجواز ادخاره للعيال ، والحث عليه

وهكذا يبين x أهمية التمر ، وأنه ينبغي ألا يخلو منه بيت مؤمن ، وذلك لأنه غذاء على مدار العام وفيه أيضاً من العناصر الغذائية ما يجعله يكفي المرء عن كثير من الأطعمة .. ويؤيد هذا الحديث الذي بعده .  
- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة - ابن أختها - ، إنا كنا ننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله x نار ، فقلت : ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله x جيران من الأنصار ، كان لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله x من أبياتهم فيسقيناه (٤).

إن في التمر وقاية ودواء وشفاء :

ويستحب أن يحنك المولود (٥) بالتمر عند ولادته ، وأن يقوم بهذا العمل رجل صالح ، أو امرأة صالحة .. ولا شك أنه لا بد أن يكون من يقوم بهذه المهمة شخص سليم من الأمراض لئلا ينقل المرض لهذا الطفل .  
- فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام فأتيت به النبي x ، فسماه إبراهيم ، فحنكه بتمر ودعا له بالبركة ، وكان أكبر ولد أبي موسى (٦).

ويسن للصائم أن يفطر على التمر إذا تيسر له ذلك .

- فعن سلمان بن عامر قال : قال رسول الله x : (إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على التمر ، فإن لم يجد التمر فعلى الماء ، فإن الماء طهور) (٧).

- (١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ١٦١٨/٣ ، وأخرجه الدارمي في سننه ١٠٤/٢ .
- (٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ١٦١٨/٣ ، والدارمي في سننه ١٠٤/٢ .
- (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٤٩/٧ .
- (٤) صحيح البخاري كتاب الرقاق ١٨١/٧ ، وصحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ٢٢٨٣/٤ .
- (٥) والمراد : إنه كان يمر عليهم الشهر والشهرين وهم على هذه الحال ، حيث لا يوجد عندهم طعام يحتاجون في إعداده إلى إيقاد النار .
- (٦) التحنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه ، وحنك الصبي بالتمر ، وحنكه : ذلك به حنكه . انظر : لسان العرب ٤١٦/١٠ .
- (٧) أخرجه البخاري كتاب العقيدة ٢١٦/٦ واللفظه ، وأخرجه مسلم كتاب الآداب ١٦٩٠/٣ .
- (٧) أخرجه أبو داود في سننه ٣٠٥/٢ ، وأخرجه الترمذي في السنن ٨٤/٢ وقال : حديث حسن

وذلك لأن التمر سهل الامتصاص ، والمعدة خالية من الطعام لمدة طويلة ، فناسب أن يبتدىء الصائم بالتمر في إفطاره ، لأن السكريات الموجودة في التمر مما يسهل امتصاصه وبسرعة ، فتعطي الصائم شيئاً من النشاط ، وتنبه المعدة لاستقبال الطعام بعد ذلك .  
والتمر وقاية من بعض الأمراض بإذن الله جل وعلا .

- فعن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من) تصبح بسبع تمرات لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (١) .  
- وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : (إن في عجوة العالية شفاء، أو أنها ترياق) (٢) أول البكرة) (٣) .

وهذا الفضل شامل لكل أنواع التمر الذي ينتج عن هذه النخلة المباركة ، يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله : ويرجى أن ينفع الله بذلك التمر كله ، لكن نص على المدينة ؛ لفضل تمرها والخصوصية فيه ، ويرجى أن الله ينفع ببقية التمر إذا أصبح بسبع تمرات ، وقد يكون ﷻ ذكر ذلك لفضل خاص ، ومعلم خاص لتمر المدينة لا يمنع من وجود تلك الفائدة من أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام ، وأظنه جاء في بعض الروايات : "من تمر" من غير قيد(٤) .

أن في التصدق بقليل التمر ثواب عظيم :  
وفي الصدقة - ولو كانت يسيرة - خيرٌ كثير ، وثواب جليل ولا يحقر المؤمن من الخير شيئاً .  
- فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اتقوا النار ولو بشق تمر) (٥) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( من) تصدق بعدل تمر من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكون مثل الجبل) (٦) .

وهكذا فإن ثمرة هذه الشجرة المباركة تعددت منافعها وتنوعت فوائدها ، حتى شملت مجالات كثيرة ، وهذا دليل على فضلها ومكانتها و

(١) وأخرجه ابن ماجه في السنن ٥٤٢/١  
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ٢١٢/٦ ، وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة ١٦١٨/٣ .  
(٣) الترياق : دواء السموم ، وهو ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين .  
انظر : لسان العرب المحيط ٣٢/٩ .  
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة ١٦١٩/٣ .  
(٥) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ١٠٩/٨ .  
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٤/٢ .  
أخرجه البخاري في صحيحه ١١٣/٢ .

منزلتها .. فهي أقرب الأشجار شبيهاً بالمؤمن ، فسبحان من جعلها كذلك ،  
وتبارك من وفق من شاء من عباده إلى طاعته ليكون بهذه الصفة والله  
أعلم .

المبحث الرابع : الصيغ التي جاء لفظ النخلة عليها في القرآن  
ورد لفظ النخلة في القرآن على أربع صيغ ، في آيات متعددة من  
كتاب الله جل وعلا:

١- فجاءت بلفظ المفرد (النخلة) في موضعين من سورة مريم :

● في الآية رقم (٢٣) قال الله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۝ ﴾

● في الآية (٢٥) قال الله تعالى: ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝ ﴾

٢- وجاءت بلفظ (نخلًا) في موضع واحد في سورة عبس .

● في الآية (٢٩) قال الله تعالى: ﴿ فَأَبْنَتْهَا جَبًّا ۝ ٢٧ وَعِنَابًا وَقَضْبًا ۝ ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ ﴾

٣- وجاءت بلفظ (نخيل) في سبعة مواضع :

● في الآية رقم (٢٦٦) من سورة البقرة قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾

● في الآية رقم (٤) من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّتَجَوِّرَاتٍ ۖ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ ۖ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِدٍ ۖ وَنُفُضٌ لِّبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ فِي الْأَكْثَلِ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ ﴾

● في الآية رقم (١١) من سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾

● في الآية رقم (٦٧) من سورة النحل في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

● في الآية رقم (٩١) من سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا ﴾

● في الآية رقم (١٩) من سورة المؤمنون في قوله تعالى : ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِبٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

● في الآية رقم (٣٤) من سورة يس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾

٤- وجاءت بلفظ (النخل) في عشرة مواضع :

● في الآية رقم (٩٩) من سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

● في الآية رقم (١٤١) من سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾



● في الآية رقم (٣٢) من سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ .

● في الآية رقم (٧١) من سورة طه في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ءَأَمْنَتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا فَطَعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ .

● في الآية (١٤٨) من سورة الشعراء في قوله تعالى : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَضِيمٌ ﴾ .

● في الآية رقم (١٠) من سورة ق في قوله تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ .

● في الآية رقم (٢٠) من سورة القمر في قوله تعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ .

● في الآية رقم (١١) من سورة الرحمن في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَكِكَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ﴾ .

● في الآية رقم (٦٨) من سورة الرحمن في قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَكِكَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ .

● في الآية رقم (٧) من سورة الحاقة في قوله تعالى : ﴿ سَحْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبَّحَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .

وهكذا فإن لفظ النخلة ومشتقاتها ، قد ورد في كتاب الله جل وعلا في عشرين موضعاً، وقد وردت في موضوعات متفرقة ، وأغراض متعددة ، وسيتبين لنا في المباحث القادمة بإذن الله مزيداً من تفاصيل هذه الآيات ، وما

يتعلق بها ، وما اشتملت عليه من الفوائد والأحكام فالإلى ذلك بإذن الله جل  
وعلا .  
المبحث الخامس : ذكر النخلة في القرآن من باب الامتتان على  
الخلق

ذكر الله جل وعلا النخلة في معرض امتنانه على الخلق في ثلاثة  
عشر موضعاً من كتابه الكريم ، مما يدل على المكانة العالية التي تحتلها  
النخلة ، والأهمية الكبيرة التي تمثلها وها هي تلك المواضع :

- ١- قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ (١) .
- ٢- وقال تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ  
مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ  
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .
- ﴿ مِن طَلْعِهَا ﴾ الطلع أول ما يخرج من ثمر النخل (٣) ، وقيل : من  
غصنها (٤) .

- ﴿ قِنْوَانٌ ﴾ جمع قنو ، كما الصنوان جمع صنو ، وهو العذق (٥) .  
وقيل المراد به : الطلع قاله الضحاك ، وقيل : إنه الجمار (٦) .
- ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ المراد بها : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض .  
روي هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما (٧) .  
وقيل المراد : قريبة من المتناول (٨) .  
وقيل : دانية بعضها من بعض لتقاربها (٩) .

(١) سورة الأنعام آية /٩٩/ .  
(٢) سورة الأنعام آية /١٤١/ .  
(٣) تفسير البغوي ١١٨/٢ .  
(٤) عيون التفاسير ٢٩/٢ .  
(٥) تفسير الطبري ٤٤٥/٩ ، وتفسير البغوي ١١٨/٢ .  
(٦) تفسير الماوردي ١٤٩/٢ .  
(٧) الوسيط ٣٠٥/٢ ، وتفسير الطبري ٤٤٦/٩ .  
(٨) تفسير ابن كثير ١٥٩/٢ .  
(٩) تفسير الماوردي ١٤٩/٢ .

وقيل : سهلة الاجتناء للقائم والقاعد والنائم (١).

وفيه اختصار معناه : ومن النخل ما قنوانها دانية ، ومنها ما هي بعيدة ، فاكتفى بذكر القرية عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام كقوله تعالى : ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (٢) . يعني الحر والبرد ، فاكتفى بذكر أحدهما (٣) ، ولأن الامتنان بالقرب أتم (٤) .

- ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ﴾ أي : وخلق النخل والزرع ، مختلفاً ثمره وطعمه ، مثل : الحامض ، والحلو ، والمر ، والجيد ، والرديء (٥) .

- ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾ في النظر ، والشكل (٦) .

وقيل : مشتبهاً ورقهما ، مختلفاً ثمرهما (٧) .

- ﴿وَعَيْرُ مُتَشَابِهَةٍ﴾ في الطعم ، مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف (٨) .

وحتى وهو يسقى بماء واحد ، وفي تربة واحدة إلا أن ثماره تختلف ، وتتفاوت ، وفي ذلك آية عظيمة ، وبرهان ساطع على أن خالقه سبحانه وتعالى هو الذي يفاوت بينه في الأكل قال سبحانه : ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ

مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبُّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٩) .

- (١) عيون التفاسير ٢٩/٢ .
- (٢) سورة النحل آية /٨١/ .
- (٣) تفسير البغوي ١١٨/٢ .
- (٤) عيون التفاسير ٢٩/٢ .
- (٥) تفسير السمرقندي ٥١٨/١ ، وتفسير البغوي ١٣٥/٢ .
- (٦) عيون التفاسير ٤٢/٤ ، وتفسير البغوي ١٣٥/٢ .
- (٧) الوسيط ٣٠٥/٢ .
- (٨) تفسير البغوي ١٣٥/٢ ، وعيون التفاسير ٤٢/٢ .
- (٩) سورة الرعد آية /٤/ .

- ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ من رطبه ، وعنبه (١) ، وقدم ذكر  
ذكر الأكل لأمرين :  
أحدهما : تسهياً لإيتاء حقه ، والثاني : تغليياً لحقهم وافتتاحاً بِنفعهم  
بأموالهم (٢) .

- ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قيل : هي الصدقة المفروضة ،  
وهو قول الجمهور .  
وقيل : هي صدقة غير الزكاة مفروضة يوم الحصاد والصرام .. قاله عطاء ،  
ومجاهد .  
وقيل : إن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها قاله ابن عباس ،  
وغيره (٣) .

- ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قيل المعنى : لا  
تسرفوا في الإعطاء فتعطوا فوق المعروف (٤) .

قيل إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلاً فقال : لا يأتين  
اليوم أحد إلا أطعمته ، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فقال الله " ﴿  
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ " (٥) .

وقيل المعنى : نهوا عن السرف في كل شيء ، وقال إياس بن معاوية  
: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف ، وقال السدي : لا تعطوا أموالكم  
فتقعوا فقراء ، وقال سعيد بن المسيب ، ومحمد بن كعب : لا تمنعوا  
الصدقة فتعصوا ربكم (٦) .

(١) تفسير ابن كثير ١٨١/٢ .  
(٢) تفسير الماوردي ١٧٨/٢ .  
(٣) تفسير الماوردي ١٧٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٨١/٢ ، وتفسير الطبري ٥٩٥/٩ وما  
بعدها .  
(٤) تفسير ابن كثير ١٨٢/٢ .  
(٥) تفسير الطبري ٦١٥/٩ ، وتفسير ابن كثير ١٨٢/٢ .  
(٦) تفسير ابن كثير ١٨٢/٢ .

واختار ابن جرير أن معناها : النهي عن جميع معاني الإسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى<sup>(١)</sup>. ولعل ما اختاره ابن جرير في معنى الآية هو الصواب ، والله أعلم .

وقال ابن كثير : ولا شك أنه<sup>(٢)</sup> صحيح ، لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى : ﴿ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ ، وَيَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ أن يكون عائداً على الأكل ، أي : لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن الإسراف مذموم في دين الإسلام ، نهى الله عنه في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾<sup>(٦)</sup>.

فالتوسط في الأمور كله خير ، وهكذا حتى في مجال الصدقة يحسن بالمؤمن أن يكون متوازناً فلا إفراط ولا تفريط .

٣- قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير الطبري ٦١٧/٩ .  
(٢) يشير إلى اختيار ابن جرير الطبري .  
(٣) تفسير ابن كثير ١٨٢/٢ .  
(٤) سورة الأعراف آية /٣١/ .  
(٥) سورة الفرقان آية /٦٧/ .  
(٦) سورة الإسراء آية /٢٩/ .  
(٧) سورة الرعد آية /٤/ .

- ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ ﴾ أي : بقاع مختلفة ، يجاور بعضها بعضاً ، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً ، هكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغير واحد .. ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض فهذه تربة حمراء ، وهذه بيضاء ، وهذه صفراء ، وهذه سوداء ، وهذه محجرة ، وهذه سهلة ، وهذه مرملة ، وهذه سميكة ، وهذه رقيقة ، والكل متجاورات ، فهذه بصفاتها ، وهذه بصفاتها الأخرى ، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار ، لا إله إلا هو ولا رب سواه (١).

وقيل المراد بالمتجاورات : المدن وما كان عامراً ، وغير المتجاورات : الصحاري وما كان غير عامر (٢).

- ﴿ وَجَنَّتٌ ﴾ أي : بساتين كثيرة (٣) والجنة : كل بستان ذي شجر من نخيل نخيل وأعناب ، وغير ذلك ، سمي جنة لأنه يستر بأشجاره الأرض (٤).

- ﴿ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرَءٌ وَنَخِيلٌ ﴾ ذكر سبحانه الزرع بين الأعناب والنخيل لأنه يكون في الخارج كثيراً كذلك .. ومثله في قوله سبحانه : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (٥) (٦).  
قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص : "وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغير صنوانٌ" بالرفع في الجميع .  
وقرأ الباقون : بالجرفي كلها (٧).

وكلهم كسر الصاد في صنوان ، وروي عن القواس ، عن حفص ، عن عاصم بضم الصاد والتتوين "صنوان ولم يقله غيره عن حفص" (٨).

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٠/٢ ، وفتح البيان ٦٨/٥ ، وتفسير البغوي ٦/٣ ، وتفسير الطبري ٤١٦/١٣ وما بعدها ، وعيون التفاسير ٢٥٧/٢ ، وزاد المسير ٣٠٢/٤ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٤٦٨/٣ ، وتفسير مجاهد ٤٠٣/٤ .

(٢) تفسير الماوردي ٩٣/٣ .  
(٣) عيون التفاسير ٢٥٧/٣ ، والوسيط للواحي ٤/٣ .

(٤) فتح البيان ٦٩/٥ .  
(٥) سورة الكهف آية ٣٢/٣٢ .

(٦) فتح البيان ٦٩/٥ .  
(٧) السبعة لابن مجاهد ٣٥٦/٣ ، وحجة القراءات ٣٦٩/٣ .

(٨) السبعة لابن مجاهد ٣٥٦/٣ .

- ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ أي : يكون أصله واحد ، وفرعه متفرق ،  
وواحد صنو ، والاثنتان : صنوان<sup>(١)</sup> .

وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير ، فالصنوان : جمع صنو، وهي  
النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها<sup>(٢)</sup> .

ويطلق الصنو على الغصن الخارج عن أصل الشجرة<sup>(٣)</sup> .

وروي عن البراء رضي الله عنه : كالصنوان هي النخلات في أصل  
واحد ، وغير الصنوان : المتفرقات<sup>(٤)</sup> .

"والصنو : المثل ، ومنه قوله x : "عم الرجل صنو أبيه" (٥) " (٦) .

(٦)

والمعنى: أن أصلها واحد ، يقال : فلان صنو فلان إذا كان أخاه  
وشقيقه لأمه وأبيه<sup>(٧)</sup> .

- ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقْضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو: "تسقى" بالتاء ، و "نفضل" بالنون ،  
وقرأ حمزة ، والكسائي : "تسقى" بالتاء ممالأة القاف ، و "يفضل" بالياء  
مكسورة الضاد .

وقرأ عاصم ، وابن عامر : "يُسْقَى" بالياء ، و "نفضل" بالنون<sup>(٨)</sup> .

(٨)

والمعنى : تسقى هذه الأشجار بماء واحد وهو ماء السماء<sup>(٩)</sup> .

وقيل : البئر واحدة ، والشرب واحد ، والجنس واحد<sup>(١٠)</sup> .

- (١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢٢/١ .
- (٢) فتح البيان ٦٩/٥ ، وعمدة الحفاظ ٤١٢/٢ .
- (٣) المفردات ٢٨٧/٢ ، وعمدة الحفاظ ٤١٢/٢ .
- (٤) تفسير الطبري ٤٢١/١٣ ، وتفسير ابن كثير ٥٠٠/٢ .
- (٥) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ٦٧٧/٢ وفيه يقول  
صلى الله عليه وسلم : "يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه" .
- (٦) فتح البيان ٦٩/٥ .
- (٧) تهذيب اللغة للأزهري ٢٤٣/١٢ ، ومعجم مقاييس اللغة ٣١٢/٣ .
- (٨) السبعة لابن مجاهد ٣٥٦/٣ ، وحجة القراءات ٣٦٩/٣ .
- (٩) تفسير الطبري ٤٢٩/١٣ ، وفتح البيان ٧٠/٥ .
- (١٠) الوسيط ٥/٣ .

- ﴿ وَنَفِضْ بِعَضِّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴾ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي x في قوله : " ونفضل بعضها على بعض في الأكل " قال : (الدقل<sup>(١)</sup> ، والفارسي ، والحلو ، والحامض)<sup>(٢)</sup> .

والمراد من ذلك كله الإشارة إلى أن هذه الجنات من الأعناب ، والزروع ، والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لا ملح ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضل بعضها على بعض في الطعم فهذا حلو وهذا حامض<sup>(٣)</sup> . وهذا كله دليل على قدرة الخالق جل وعلا ، وبديع صنعه .

قال الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية :  
وهذا كله يدل على أن هذه الحوادث السفلية لا بد لها من مؤثر ، وذلك المؤثر ليس هو الكواكب والأفلاك والطبائع ، وهنا يجب القطع بأنه لا بد من فاعل آخر سوى هذه الأشياء وعندها يتم الدليل ، ولا يبقى بعده للفكر مقام البتة ، فلهذا السبب قال هاهنا " إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " لأنه لا دافع لهذه الحجة إلا أن يقال : إن هذه الحوادث السفلية حدثت من غير مؤثر البتة ، وذلك يقدر في كمال العقل ، لأن العلم بافتقار الحادث إلى محدث لما كان علماً ضرورياً ، كان عدم حصول هذا العلم قادحاً في كمال العقل فلهذا قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وقال في الآية التي قبلها : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤)(٥) .

وقد ختمت هذه الآية بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وختمت الآية التي قبلها بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فكان الختم تارة بالفكر ، وتارة بالعقل ، ووجه التنويع والمغايرة أن الحديث لما كان عن مد الأرض وإرسائها ، وأنهاها وزوجية أثمارها ، وإغشاء ليلها ونهارها ، ومثل هذه الآيات لا يمكن

(١) قال الأزهرى : وتمر الدقل من أردأ التمر ، إلا أن الدقلة تكون من مواخير النخل تهذيب اللغة للأزهري ٣١/٩ ، ولسان العرب ٢٤٦/١١ .  
(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٢٥٧/٤ وقال : هذا حديث حسن غريب .  
(٣) تفسير الطبري ٤٣٠/١٣ .  
(٤) سورة الرعد آية ٣/ .  
(٥) تفسير الرازي ٧/١٩ .



الوصول إليها ومعرفتها إلا بالاجتهاد والتدبر وإعمال الفكر ، فناسب الختم بينفكرون.

أما الآية الثانية فقد اشتملت على آيات قريبة من الحس ، معروضة لجميع الإنس ، بحيث يشتركون جميعاً في بلوغ معانيها وإدراك المرام منها ، فلا تحتاج إلى إجهاد الفكر بل يكفيها مجرد العقل الذي يميز الإنسان عن الحيوان<sup>(١)</sup>.

وفي هذا كله دعوة إلى النظر ، والتفكير ، والاعتبار ، ودعوة إلى إعمال الفكر والعقل في مخلوقات الله ، للنظر في بديع صنعه ، وجميل خلقه ، والذي يقود في النهاية إلى توحيده ، وتعظيمه ، وخوفه ، وخشيته .. وقد حفلت آيات القرآن بالكثير من الآيات الداعية إلى النظر والتفكير والتدبر .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾<sup>(٤)</sup> وَإِلَى السَّمَاءِ

كَيْفَ رُفِعَتْ<sup>(٥)</sup> وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ<sup>(٦)</sup> وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ<sup>(٧)</sup> .

وهذا هو المقصود الأعظم من القرآن ، قراءته بتدبر وخشوع ، والعمل بما جاء فيه فإنه إنما أنزل ليعمل به ويتخذ نبراساً وهدايا إلى الله .

٤ - قال تعالى : ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>.

٥ - وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا

وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير سورة الرعد لمحمد صالح مصطفى / ٧٢ .

(٢) سورة محمد آية / ٢٤ .

(٣) سورة القمر آية / ١٧ ، وآية / ٣٢ ، وآية / ٤٠ .

(٤) سورة الغاشية الآيات / ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ .

(٥) سورة النحل آية / ١١ .

(٦) سورة النحل آية / ٦٧ .

- ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد ، على اختلاف في صنوفها ، وطعومها ، وألوانها ، وروائحها، وأشكالها (١).

و"الزَّرْعَ" قال ابن عباس : يريد الحبوب ، "وَالزَّيْتُونَ" جمع زيتونة ، يقال للشجرة نفسها زيتونة (٢) ، وَالْأَعْنَابِ : أي : الكروم (٣).

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٤) (٥).

- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ لما ذكر سبحانه في الآية التي قبلها - من سورة النحل - بعض منافع الحيوانات ، ذكر في هذه الآية بعض منافع النبات (٦).

وقد امتن الله تعالى على عباده بهذه الآية بما يتخذونه من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب ، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم بقوله : "ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا" وقد دل هذا على إباحته شرعاً قبل تحريمه (٧).

وقيل : السكر ما حرم من شرابه ، والرزق الحسن ما أحل من ثمرته ، روي هذا القول عن ابن عباس وغيره (٨).

(١) تفسير ابن كثير ٥٦٤/٢ .

(٢) الوسيط للواحد ٥٨/٣ .

(٣) عيون التفاسير ٣٠٥/٢ .

(٤) سورة النمل آية /٦٠/ .

(٥) تفسير ابن كثير ٥٦٤/٢ .

(٦) تفسير الرازي ٦٧/٢٠ .

(٧) تفسير ابن كثير ٥٧٤/٢ .

(٨) تفسير الطبري ٢٧٦/١٤ ، وتفسير ابن كثير ٥٧٥/٢ .

وقيل : إن هذه الآية منسوخة نسخها تحريم الخمر (١).

- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ناسب ذكر العقل هاهنا فإنه أشرف ما في الإنسان، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأثربة المسكرة صيانة لعقولها (٢).

فإن قيل : الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الإنعام ؟

أجيب عنه من وجهين :

الأول : ان هذه السورة مكية - سورة النحل - ، وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة .

الثاني : أنه لا حاجة إلى التزام هذا النسخ ، وذلك لأنه تعالى ذكر ما في هذه الأشياء من المنافع ، وخاطب المشركين بها ، والخمر من أشربتهم فهي منفعة في حقهم ، ثم إنه تعالى نبه في هذه الآية أيضاً على تحريمها ، وذلك لأنه ميز بينها وبين الزرق الحسن في الذكر ، فوجب ألا يكون السكر رزقاً حسناً ، ولا شك أنه حسن بحسب الشهوة ، فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً بحسب الشريعة (٣).

٦- قال تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ

وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ (٤).

- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ أي : اذكر لهم خبر رجلين ، قيل :

نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل ، وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ ، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ابن عبد ياليل ، وقيل : هذا مثل لعبيبة بن حصن وأصحابه مع سلمان ، وأصحابه شبيههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس ، وقال مقاتل : تملیخا ، والآخر كافر واسمه قطروس ، وقال وهب : قطفير ،

(١) تفسير الطبري ٢٧٩/١٤ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٨١/٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٧٥/٢ .

(٣) تفسير الرازي ٦٨/٢٠ .

(٤) سورة الكهف آية ٣٢/٣٢ .

وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات<sup>(١)</sup>، وكانت قصتهما أنهما ورثا عن أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتهما، فعمد أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً اشترى أرضاً بألف دينار، فإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، فإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بذلك، ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا المؤمن: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم اشترى صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا اللهم إني أشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة، فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مر به في حشمه، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتنني حاجة بعدك فأنتيتك لتصيبنني بخير، فقال: ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً فأخذت شطره فقص عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا. اذهب فلا أعطيك شيئاً...

وروى أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه، فنزل فيهما "واضرب لهم مثلاً رجلين"<sup>(٢)</sup>. وهذه القصة وإن لم تثبت بسند صحيح إلا أنها مما يستأنس به هنا، لاسيما وانها تتعلق بموضوع واسع، وهو مما تكلم فيه بعض المفسرين ونقلوا فيه مثل هذه الرواية.

ويروى أن اليهود قالوا - لقريش - سلوه عن أصحاب الكهف، وعن الروح، وعن رجلين؟ فأنزل الله عز وجل هذا، وجعله مثلاً لجميع الناس<sup>(٣)</sup>.

وهذا المثل ضربه الله لمن يتغرر بالدنيا، ويستتكف عن مجالسته الفقراء، وعلى هذا فهو متصل بقوله قبل ذلك ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ أي: بساتين من كروم<sup>(٥)</sup>.

(١) المراد بقوله جل وعلا: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾<sup>(٥١)</sup> يقول لك لئن المصدقين<sup>(٥٢)</sup>

إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمْدِيُونَ<sup>(٥٣)</sup> قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ<sup>(٥٤)</sup> فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ<sup>(٥٥)</sup>

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ<sup>(٥٦)</sup> وَلَوْلَا رِجْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُمِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿ [سورة الصافات الآيات

٥١-٥٧]

(٢) تفسير البغوي ١٦١/٣، وتفسير السمرقندي ٢٩٨/٢، وزاد المسير ١٣٨/٥.

(٣) معاني القرآن الكريم للنحاس ٢٣٨/٤.

(٤) سورة الكهف آية ٢٨/، وانظر: فتح البيان ٤٥١/٥.

(٥) عيون التفاسير ٤٧/٣.

والجنة : البستان (١)، فكان له بستان واحد وجدار واحد ، وكان بينهما نهر فذلك كانا جنتين ، ولذلك سماه جنة من قبل الجدار الذي عليها (٢).

- ﴿ وَحَفَفْنَا بِهَا نَخْلًا ﴾ أي : حوطناهما به ، وقد حف القوم بفلاف : إذا أحدقوا (٣)، ومنه قوله سبحانه : ﴿ حَافِيَتٍ مِّنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ (٤).

فمعنى الآية : وجعل النخل مطبقاً بالجنتين من جميع جوانبهما (٥).

- ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ أي جعلنا حول الأعناب النخيل، ووسط الأعناب الزرع ، وقيل : بينهما أي : بين الجنتين زرعاً يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب (٦).

وهكذا فإن الله جل وعلا ذكر هاتين الجنتين بتلك الصفة الحسنة الجميلة ، وهما مما يفضله أرباب الأموال والتجارات ، ويرغبوا في تملكه لما له من الحسن والجمال ، ولما يكون فيه من النماء والثمار ، فلا تقع العين إلا على منظر حسن أخاذ ، وهذا مما يمتن الله به على عباده ، ويذكرهم بأن الواجب أن يدفعهم هذا إلى مزيد القرب منه ، لا إلى البعد عنه ، بل محاربتة ومبارزته بالكفر كما حصل لصاحب الجنتين هنا ، وهذا من الخذلان عياداً بالله من ذلك .

٧- قال تعالى: ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٧).

٨- وقال تعالى : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمًا ﴾ (٨).

٩- وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ (٩).

(١) تفسير الماوردي ٣/٣٠٥ .

(٢) فتح البيان ٥/٤٥١ .

(٣) معاني القرآن الكريم للنحاس ٤/٢٣٨ .

(٤) سورة الزمر آية ٧٥/ .

(٥) فتح البيان ٥/٤٥١ .

(٦) تفسير البغوي ٣/١٦١ .

(٧) سورة المؤمنون آية ١٩/ .

(٨) سورة الشعراء آية ١٤٨/ .

- ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ ﴾ يعني : وأخرجنا بالماء ، جنات : يعني : الخضرة ، ويقال : جعلنا لكم بالماء البساتين<sup>(٢)</sup> .

- ﴿ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام والإدام والفواكه رطباً ويابساً ، وقيل : اقتصر عليهما لأنهما الموجودان في الطائف والمدينة وما يتصل بذلك ، وقيل : لأنهما أشرف الأشجار ثمرة وأطيبها منفعة وطعماً ولذة<sup>(٣)</sup> .

- ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي : لكم في الجنات فواكه كثيرة ، تتفكهون بها ، تطعمون منها شتاءً وصيفاً ، وقيل : ومن هذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم ، كقولهم : فلان يأكل من حرفة كذا وهو بعيد<sup>(٤)</sup> .

واختلف في لفظ الفاكهة على ماذا يطلق ، وأحسن ما قيل : إنها تطلق على الثمرات التي يأكلها الناس ، وليس بقوت لهم ولا طعام ولا إدام<sup>(٥)</sup> .

- ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِيمٌ ﴾ الطلع الكفري<sup>(٦)</sup> وهو عنقود التمر قبل أن يخرج من الكم في أوله نباته<sup>(٧)</sup> ، وطلع إناث النخل أطف ، وهو ما يطلع معها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنوق<sup>(٨)</sup> ، " هضيم " قال الضحاك : يركب بعضه بعضاً<sup>(٩)</sup> .

وقيل : هو المنضم في وعائه قبل أن يظهر ومنه رجل أهضم الجنبين أي : منهضمهما ، وهذا قول أهل اللغة<sup>(١٠)</sup> .

وقال مجاهد : إنه المتهشم المتفتت إذا مس تفتت<sup>(١١)</sup> .

- (١) سورة يس آية ٣٤/
- (٢) تفسير السمرقندي ٤١١/٢ .
- (٣) تفسير الطبري ٢٨/١٧ ، وفتح البيان ٢٧٥/٦ .
- (٤) تفسير الطبري ٢٨/١٧ ، وفتح البيان ٢٧٥/٦ .
- (٥) فتح البيان ٢٧٦/٦ .
- (٦) الكفري : وعاء طلع النخل ، وهو أيضاً الكافور ، وهو وعاء الطلع وقشره الأعلى . انظر : لسان العرب ١٤٩/٥ .
- (٧) تفسير الثعالبي ١٥٠/٣ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤٧٥/٢ .
- (٨) تفسير البيضاوي ٤٩٤/ .
- (٩) معاني القرآن الكريم للنحاس ٩٥/٥ ، وتفسير الطبري ٦٢٠/١٧ .
- (١٠) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢٩٣/٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٦/١٣ .
- (١١) تفسير مجاهد ٥١٢/ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢٩٣/٤ .

وقال الحسن : إنه الذي ليس فيه نوى<sup>(١)</sup>.

وقال عكرمة : الرطب اللين<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن جبير : المذنب من الرطب<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس : اليانع النضيد<sup>(٤)</sup>.

وقال النحاس : أي هاضم مريء لطيف أول ما طلع<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري بعد ذكره لجملة من الأقوال في معنى الهضيم : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الهضيم هو المنكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضم فلاناً فلاناً حقه ، إذا انتقصه وتحيقه ، فكذلك الهضم في الطلع ، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه ، إما بمس الأيدي ، وإما بركوب بعضه بعضاً<sup>(٦)</sup>.

والذي يظهر والله أعلم أن لفظ الآية يحتمل كل هذه المعاني سواء ما قاله أهل اللغة، أو أهل التفسير لأنها جميعاً معاني متقاربة وكلها يمر بها ثمر النخلة منذ أن كان طلعاً إلى أن ينتهي إلى وقت الصرام .. ، وهو مع ذلك كله هاضم مريء سهل الهضم وسريعه ، يمتصه الجسم بسرعة فائقة ، ولذا شرع للصائم الإفطار على التمر والله أعلم .

- ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ أي : جعلنا في الأرض ، "جنات" من أنواع النخل والعنب ، وخصهما بالذكر لأنهما أعلى الثمار ، وأنفعها للعباد<sup>(٧)</sup>.

- ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ يعني : أجرينا في الأرض الأنهار تخرج من العيون<sup>(٨)</sup>.

١٠- وقال تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ ﴾<sup>(٩)</sup>.

١١- وقال تعالى : ﴿ فِيهَا فَكِكَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير الحسن البصري ١٧٨/٢ .

(٢) تفسير الماوردي ١٨٢/٤ .

(٣) تفسير الماوردي ١٨٢/٤ ، وتفسير القرطبي ٨٦/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ٦١٩/٢٧ ، وتفسير الماوردي ١٨٣/٤ .

(٥) معاني القرآن الكريم للنحاس ٩٥/٥ .

(٦) تفسير الطبري ٦٢٠/١٧ .

(٧) تفسير القرطبي ١٨/١٥ ، وفتح البيان ٢٠/٨ .

(٨) تفسير السمرقندي ٩٨/٣ .

(٩) سورة ق آية ١٠/ .

(١٠) سورة الرحمن آية ١١ .

١٢- وقال تعالى : ﴿ فِيهَا فَكِّهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

١٣- وقال تعالى : ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

- ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَدٍ ﴾ قال مجاهد ، وعكرمة وقتادة : طوالا .

يقال : بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت<sup>(٣)</sup> .

وقال سعيد بن جبير : مستويات<sup>(٤)</sup> .

وقال عكرمة : أنها التي قد ثقلت من الحمل<sup>(٥)</sup> .

والأشهر في لغة العرب : القول الأول ، يقال : بسقت النخلة بسوقاً إذا طالت ، وبسق فلان الناس : أي طالهم وزاد عليهم في الفضل ، وحسن الذكر<sup>(٦)</sup> .

- ﴿ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ أي: بعضه على بعض<sup>(٧)</sup> ، والطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل ، يقال طلع الطلع طلوعاً ، ويسمى طلوعاً قبل أن يفتح ، فهو نضيد في أكامه فإذا خرج من أكامه فليس بنضيد<sup>(٨)</sup> .

وقيل : النضيد : المنظوم .

وقيل : هو القائم المعتدل<sup>(٩)</sup> .

وفي كون طلع هذه النخيل متراكباً بعضه على بعض ، زيادة إنعام عليهم ، وامتنان .. وهذا من البركة التي تكون في هذه الثمار .

(١) سورة الرحمن آية /٦٨/ .  
(٢) سورة عبس آية (٢٩) .  
(٣) تفسير البغوي ٢٢١/٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٦٩/٣ ، وتفسير الماوردي ٣٤٣/٥ ،  
وتفسير الطبري ٤١٢/٢١ ، وتفسير مجاهد /٦١٢/ .  
(٤) تفسير البغوي ٢٢١/٤ .  
(٥) تفسير الماوردي ٣٤٣/٥ .  
(٦) فتح البيان ٩٥/٩ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢١٦/١ .  
(٧) تفسير الطبري ٤١٣/٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٤٣/٥ ، وتفسير السمرقندي ٢٦٩/٣ .  
(٨) فتح البيان ٩٥/٩ ، وانظر : صحيح البخاري ٤٧/٦ .  
(٩) تفسير الماوردي ٣٤٣/٥ .



- ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ الفاكهة : كل ما يتفكه به الإنسان من ألوان الثمار ، والنعم التي لا تحصى<sup>(١)</sup>.

وَالْأَكْمَامِ : جمع كَمٍّ ، وهو وعاء الثمرة ، وكل ما غطى شيئاً فهو كم له ، ومنه : كم القميص لتغطيته اليد ، ويجمع على كمام أيضاً ، وأكمة ، وأكاميم .

وقيل : أكمام النخلة : ما غطى جمارها من الليف والسعف<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذات الأكمام : ذات الليف ، فإن النخلة قد تكمم بالليف ، وكمامها : ليفها الذي في أعناقها<sup>(٣)</sup>. وقيل : ذات الأكمام : ذات الطلع قبل أن يتفتق<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري : والصواب أن يقال : عني بذلك أنها ذات ليف ، وهي فيه متكمه ، وذات طلع ، وهو في جفّه<sup>(٥)</sup> متكمم ، فيُعَمَّ كما عم ذلك جل ثناؤه<sup>(٦)</sup>.

- ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ هذا من صفات الجنتين المذكورتين في السورة الكريمة قبل ذلك ، وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان ، وقد ذكر قبل أن فيهما الفاكهة : فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة . وقال آخرون : هما من الفاكهة<sup>(٧)</sup> . وخص هاتين الفاكهتين بالذكر : لمزيد حسنهما ، وكثرة نفعهما بالنسبة على سائر الفواكه . وقيل : إنما خصهما لكثرتيهما في أرض العرب ، لأن النخل عامة قوتهم ، والرمان كالشراب ، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما . وقيل : خصهما لأن النخل فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير القرطبي ١٠٢/١٧ ، وتفسير البغوي ٢٦٦/٤ .  
(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٥٠١/٣ ، وفتح البيان ٢١٩/٩ ، ولسان العرب المحيط ٥٢٦/١٢ .  
(٣) تفسير القرطبي ١٠٢/١٧ ، وتفسير الماوردي ٣٤٣/٥ .  
(٤) تفسير القرطبي ١٠٢/١٧ .  
(٥) جف الطلعة : وعاءها الذي تكون فيه . انظر : لسان العرب ٢٨/٩ .  
(٦) تفسير الطبري ١٨٣/٢٢ .  
(٧) تفسير الطبري ٢٦٠/٢٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٣/٥ .  
(٨) فتح البيان ٢٤٦/٩ ، وتفسير القرطبي ١٢١/١٧ .

وقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره ، عن معمر ، عن رجل ، عن سعيد ابن جبير في هذه الآية قال : نخل الجنة جذوعها ذهب ، وكرانيفها زمرد ، أو قال : جذوعها زمرد ، وكرانيفها ذهب ، وسعفها كسوة أهل الجنة ، ورطبها كالدلاء أشد بياضاً من اللبن ، وألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، ليس له عجم (١) .

وأخرج الطبري بإسناده ، عن وهب الذماري قال : بلغنا أن في الجنة نخلاً جذوعها من ذهب ، وثقاريقها (٢) من ذهب ، وجريدها من ذهب ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، كأحسن حلل رآها الناس قط ، وشماريخها (٣) من ذهب ، وعراجينها (٤) من ذهب ، وثقاريقها (٥) من ذهب ، ورطبها أمثال القلال القلال أشد بياضاً من اللبن والفضة ، وأحلى من العسل والسكر ، وألين من السمن والزبد (٦) .

- ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ الزيتون : هو ما يعصر منه الزيت ، وهو شجرة

الزيتون المعروفة، والنخل : جمع نخلة (٧) . وهي شجرة التمر وفي هذه الآية ، وما قبلها ، وما بعدها يمتن الله على عباده بإنزال المطر الذي هو سبب الحياة للإنسان والنبات بعد الله جل وعلا ، ثم شقّه سبحانه للأرض بأنواع النبات وأشكاله المختلفة ، مما يكون غذاء للإنسان ، وغذاء للحيوان ، ثم هذه النباتات تكون مختلفة الأشكال ، والأحجام ، والألوان ، والطعوم ، وكل ذلك بقدره الخالق جل وعلا ، وهو القادر بعد ذلك على إحياء الموتى وبعثهم ، ثم مجازاتهم على أعمالهم ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وتعالى إله الأولين والآخرين .

### المبحث السادس : ذكر النخلة مثلاً على ما حل بالأمم السالفة من العذاب

- (١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٦٦ ، وتفسير الطبري ٢٢/٢٦١ ، والعَجْمُ بالتحريك : النوى ، نوى التمر .. الواحدة عجمة ، مثل قصبية وقصب . لسان العرب ١٢/٣٩١ .
- (٢) الكرانيف جمع واجده كرنافة وهي : أصول الكرب تبقى في الجذع بعد قطع السعف . انظر : القاموس المحيط ٣/١٩٦ .
- (٣) الشماريخ : جمع شمراخ والشمراخ وهو الذي يكون عليه البسر . انظر : تهذيب اللغة ٦٤٦/٧ .
- (٤) العراجين جمع عرجون وهو العذق إذ ببس واعوج ، وقيل هو أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً . لسان العرب المحيط ١٢/٢٨٤ .
- (٥) الثقاريق : العناقيد تخرط مما عليها فيبقى عليها التمرة والتمرتان والثلاث . تهذيب اللغة ٤١٥/٩ .
- (٦) تفسير الطبري ٢٢/٢٦٧ .
- (٧) فتح القدير ٥/٣٨٥ .

ضرب الله النخلة كمثال على ما نزل بالأمم السابقة من العذاب في موضعين من كتابه الكريم .. حيث شبه سبحانه ما حل بالمعاندين من قوم هود عليه السلام بعد نزول العذاب بهم بأعجاز النخيل الخاوية ، وهو تشبيه رهيب تقشعر منه الأبدان ، فبعد أن كانت هذه الأجسام قمة في الجمال والكمال ، وغاية في القوة والجبروت ، صارت مثل بقايا النخل البالية ، إنه تشبيه يبعث في النفس الإنسانية الخوف والرهبة من الجبار جل وعلا إذا هم خالفوا أمره ، وعصوا رسوله ، وحادوا عن منهجه ودعوته ، وهو دليل على أن الخلق ليس أهون منهم على الله إذا هم عصوه وحاربوه ، فإنه ليس بينه وبين أحد منهم نسباً .

١- قال تعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

٢- وقال تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

- ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ أي : تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها<sup>(٣)</sup> .

قيل : كانت تقلع الناس وترمي بهم على رؤسهم ، فتندق رقابهم وتبين من أجسادهم<sup>(٤)</sup> .

وقيل : تنزع الناس من البيوت ، وقيل : من قبورهم لأنهم حفروا حفائر فدخلوها<sup>(٥)</sup> .

- ﴿ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ الأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر كل شيء ، وعن ابن عباس قال : أصول النخل ، وعنه قال : أعجاز سواد النخل<sup>(٦)</sup> ، والعجز في الأصل مؤخر الإنسان ، ثم شبه مؤخر غيره به<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة القمر آية /٢٠/ .  
(٢) سورة الحاقة آية /٧/ .  
(٣) فتح القدير ١٢٥/٥ .  
(٤) تفسير الطبري ١٣٥/٢٢ .  
(٥) فتح البيان ٢٠٤/٩ .  
(٦) فتح البيان ٢٠٤/٩ .  
(٧) المفردات للراغب الأصفهاني /٣٢٢/ ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٤٠/٣ .

وقوله "مُنْقَعِرٌ" أي : منقطع ، ساقط ، يقال : قعرت النخلة إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط ، وقد انقعت هي . شبههم في طول قاماتهم حيث صرعتهم الرياح وكبتهم على وجوههم بالنخيل الساقطة على الأرض التي ليست لها رؤوس ، وذلك أن الرياح قلعت رؤوسهم أولاً ثم كبتهم على وجوههم (١) .

- ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ أي : سلطها كذا قال مقاتل (٢) .

وقيل : أرسلها ، وقال الزجاج : أقامها عليهم كما شاء (٣) .

- ﴿وَتَمْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي : المنتابعة ، قال الفراء : الحسوم : التباع ، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره ، قيل فيه : حسوم ، وإنما أخذ والله أعلم من حسم الداء إذا كوى صاحبه ، لأنه يكون بمكواة ثم يتابع ذلك عليه (٤) .

وهذا الذي قاله الفراء في معنى الحسوم هو قول عامة المفسرين (٥) .

وقال الزجاج : الذي توجبه اللغة أن معنى حسوماً : تحسمهم حسوماً ، أي : تذهبهم وتفنيهم (٦) .

(١) الوسيط للواحد ٢١٠/٤ ، وتفسير السمرقندي ٣٠٠/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه

للزجاج ٨٩/٥ ، وفتح البيان ٢٠٤/٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٣٩٢/٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢١٤/٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٨٠/٣ .

(٥) الوسيط للواحد ٣٤٤/٤ ، وتفسير السمرقندي ٣٩٧/٣ ، وتفسير البيهقي ٣٨٦/٤ ، وتفسير

مجاهد ٦٧١/٦ ، وتفسير الطبري ٢١٤/٢٣ ، وفتح البيان ٤٥/١٠ ، وفتح القدير ٢٨٠/٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٤/٥ .

- ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعى ﴾ جمع صريع أي : موتى (١).

- ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ ﴾ أي : أصول نخل ساقطة، أو بالية ،  
وقيل : خالية لا جوف فيها (٢).

وهكذا شبه الله هؤلاء العصاة ، العتاة ، بتلك النخيل التي سقطت رؤسها، وقلعت هي من أصولها ، وخلت أوساطها وهذا حالهم بعد أن صرعتهم الريح ، وألقت بهم على وجه الأرض فصاروا عبرة لكل معتبر . وفي تشبيهم بهذه الاعجاز - اعجاز النخل - بهذه الصورة ، صورة تدل على مقدار العذاب الذي لحق بهم ، وبشاعة النهاية التي انتهوا إليها وصاروا ، بسبب كفرهم وعنادهم ، وتكبرهم وتجبرهم ، فكما أن أعجاز النخل البالية ، إذا سقطت على الأرض ، وتهسمت لا يلقي لها الناس بالاً ، ولا يكثرثون بها ، فكذلك هؤلاء الذين صرعتهم الريح ، وألقت بهم على قارعة الطريق ، صاروا شيئاً لا يفطن له ، بعد القوة التي كانوا عليها ، والجبروت الذي أعلنوه ، وهكذا فما أهون الخلق على الله إذا هم خالفوا أمره ، وحاربوا دعوة رسله ، وعاندوا وتكبروا ، فإن نهايتهم ستكون إلى ذل وهوان والله أعلم .

المبحث السابع : ذكر النخلة في معرض تعنت المشركين عن  
إجابة دعوة الرسول

قال تعالى : ﴿ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ  
خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (٣).

- ﴿ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ ﴾ أي : بستان تستر أشجاره أرضه ،  
والمعنى : هب أنك لا تفجر الأنهار لأجلنا ففجرها لأجلك بأن تكون لك  
جنة ، وقال ابن عباس : جنة : ضيعة (٤).

- ﴿ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴾ خصوصاً بالذكر لأنهما كانا الغالب في  
تلك النواحي ، ولكثرة فوائدهما (١).

(١) فتح القدير ٢٨٠/٥ ، وفتح البيان ٤٦/١٠ ، وتفسير البغوي ٣٨٦/٤ .  
(٢) فتح القدير ٢٨٠/٥ ، وتفسير البغوي ٣٨٦/٤ ، والوسيط للواحدى ٣٤٤/٤ .  
(٣) سورة الإسراء آية ٩١/ .  
(٤) فتح القدير ٢٥٧/٣ ، وفتح البيان ٤٠٥/٥ .

- ﴿فَنفَجِرَ الْأَنْهَارَ﴾ أي : تجريها بقوة (٢).

- ﴿خَلَلَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي : وسطها تفجيراً كثيراً ، وتشقيقاً (٣) ،  
والمقصود إما إجراء الأنهار خلالها عند سقيها ، أو إدامة إجرائها (٤).

في هذه الآية الكريمة يذكر الله جل وعلا تعنت المشركين ، وتصلبهم  
حيث اجتمعوا برسول الله ﷺ وطلبوا منه عدة مطالب وهي :

أن يفجر لهم ينبوعاً من الأرض ، وأن يوسع الله لهم بلادهم بأن يبعد  
عنهم جبالها ، ويفجر فيها الأبار ، وتتحول إلى جنات وبساتين ، أو أن  
تسقط السماء عليهم كسفاً ، أو أن تكون له جنة من نخيل وعنب ، أو يأتي  
بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون له بيت من ذهب ، أو يرقى في السماء فينزل  
عليهم كتاباً يقرؤنه ، وكلها مطالب تعجيزية ، ليس الهدف منها التوثق  
والاطمئنان كما هو زعمهم ، بل الهدف إحراج النبي ﷺ ، وإظهار أنهم قد  
غلبوه ، حيث طالبوه بهذه الأشياء ، فجاءه الجواب من ربه قل لهم تعجباً  
من فرط حماقتهم "سبحان ربي"!!

فالله جل وعلا قد أعطى نبيه ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن  
هذا كله ، مثل القرآن ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ،  
وغير ذلك ، وليست تلك المعجزات بأقل مما اقترحوه ، بل هي أعظم ،  
ولكن القوم كانوا متعنتين ، معاندين ، ولم يكن قصدهم ولا مرادهم طلب  
الدليل والاسترشاد ، وقد علم الله ذلك منهم ، وأنهم لن يؤمنوا حتى ولو

تحققت هذه المطالب قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ  
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٥) ، وقال  
تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ  
فُؤَادًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (٦) . والله  
أعلم .

فتلك المطالب من هؤلاء المعاندين ، ما هي إلا بقصد التعجيز  
والاحتيال ، ومحاولة إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر العاجز ،

(١) الضياء في تفسير سورة الإسراء / ٢٨٩ .  
(٢) فتح القدير ٢٥٧/٣ ، وفتح البيان ٤٠٥/٥ .  
(٣) فتح القدير ٢٥٧/٣ ، وفتح البيان ٤٠٥/٥ ، وتفسير البغوي ١٣٧/٣ .  
(٤) الضياء في تفسير سورة الإسراء / ٢٨٩ .  
(٥) سورة يونس آية ٩٦ - ٩٧ .  
(٦) سورة الأنعام آية / ١١١ .

وذلك بعد عجزهم عن مجاراة الرسول x في تحديه لهم بأن يأتوا بمثل القرآن ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بمثل سورة منه ، فلما أعيتهم الحيلة ، لجأوا إلى هذه الطلبات المعجزة ، والأمور البعيدة ، مع أنهم لن يستجيبوا حتى لو تحققت تلك المطالب كما مر معنا ولكنه العناد والصلف والغرور.

المبحث الثامن : سياق النخلة في معرض ضرب المثل

قال تعالى : ﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

هذا مثل ضرب به الله جل وعلا للمنافقين الذين ينفقون أموالهم رياء الناس ، وليس ابتغاء مرضاة الله جل وعلا ، فالناس بما يُظهر من الصدقة ، واعطاء ما يعطي ، وعمله الظاهر ، يثنون عليه ويحمدونه ، فعمله هذا في حسنه كحسن هذا البستان الزائل الذي ضربه الله لعمل هذا المنافق مثلاً من نخيل وأعناب ، له فيه من كل الثمرات ، لأن المنافق في عمله الذي يعمل في الظاهر في الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا ، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ، ويكتسب به الحمد وحسن الثناء عند الناس ، ويأخذ به سهمه من المغنم ، إلى غير ذلك ، فله في ذلك الكثير من خير الدنيا كما وصف سبحانه هذه الجنة التي ضربها مثلاً لعمله ، بأن فيها من كل الثمرات ، وهي في أوج عطائها ، ونمائها ، وإثمارها ، فأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال ، فأصاب هذه الجنة إعصار فيه نار ، وهي الريح الشديدة المصحوبة بالنار فأحرقت تلك الجنة ، وهو في قمة حاجته إليها ، وضرورته إلى ثمرها ، لكبره وضعفه عن القيام عليها وإصلاحها ومتابعتها ، وأولاده صغار لا يستطيعون ذلك ، فبقي ولا شيء له ، فكذا المنافق الذي ينفق ماله رياء للناس ، وطمعاً في ثنائهم ، يطفئ الله نور عمله ، ويذهب بركته وفائدته إذا لقي ربه يوم القيامة وهو أحوج ما يكون لهذا العمل ، في وقت لا مجال فيه للتوبة والرجوع ، والعمل ، وهكذا شبه الله هذا المنافق المنفق ماله لأجل الناس ، يعود قصده هذا عليه ، ويرجع وزر عمله

عليه في ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ (٢) ، وكذلك حال من يبطل صدقاته بالمن والأذى فإنه يشبهه هذا " (٣).

(١) سورة البقرة آية /٢٦٦.

(٢) سورة الشعراء آية /٨٨ - ٨٩.

(٣) أحكام من القرآن الكريم لمحمد بن صالح بن عثيمين ٢٨٤/٢ .



- ﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ ﴾ أي : أيحب أحدكم<sup>(١)</sup>.
- ﴿ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ الجنة تطلق على الشجر الملتف ، وعلى الأرض التي فيها شجر<sup>(٢)</sup>، وهي البستان .
- ﴿ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ إنما ذكر النخيل والأعناب ، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين<sup>(٣)</sup>، ولأنهما يجمعان فنون المنافع لما فيهما من الغذاء والتفكه<sup>(٤)</sup>.
- ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ لأن أنفس البساتين ما كان مأوها جارياً<sup>(٥)</sup>.
- ﴿ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ من النخيل ، والأعناب ، والفواكه<sup>(٦)</sup>، فليس شيء من الثمار إلا وهو فيها نابت<sup>(٧)</sup>.
- ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ ﴾ أصابه الكبر : لا يستطيع أن يعمل فيها ، وله ذرية ضعفاء : لا يقومون بما ينبغي لهذه الجنة<sup>(٨)</sup>، لأن الكبر قد ينسي من سعي في الشباب في كسبه فيكون أضعف أملاً وأعظم حسرة ، وهو على ذريته الضعفاء أخوف وأحنّ ، وإشفاقه عليهم أكثر<sup>(٩)</sup>، وفي هذا كله زيادة ألم نفسي عليه يضاف إلى الواقع الذي يعيشه

(١) سورة البقرة آية /٢٦٦/. وانظر : تفسير البغوي ٢٥٤/١ ، وزاد المسير ٣٢٠/١  
(٢) فتح القدير ٢٨٨/١  
(٣) زاد المسير ٣٢٠/١  
(٤) فتح البيان ٤٤٦/١  
(٥) تفسير الماوردي ٣٤١/١  
(٦) أحكام من القرآن لابن عثيمين ٢٨٣/٢  
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/٢  
(٨) أحكام من القرآن لابن عثيمين ٢٨٣/٢  
(٩) تفسير الماوردي ٣٤١/١

- ﴿ فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ في المراد بالإعصار قولان : أحدهما : إنه السموم الذي يقتل (١).

والثاني : الإعصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود تسميها العامة الزوبعة، وإنما قيل لها إعصار لأنها تلتف كالنفث الثوب المعصور (٢).

وقيل : إنها الريح التي فيها برد (٣).

وإنما قيل للريح إعصار ، لأنه يعصر السحاب ، والسحاب معصرات (٤).

- ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أي يوضح لكم الدلائل، ويضرب لكم الأمثال (٥).

- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي تعتبرون ، وقيل : تهتدون (٦).

وهكذا تتبين للمنصف العاقل بلاغة القرآن الكريم في ضرب الأمثال التي تشد الذهن إلى الإصغاء لما يلقي ، والتي تدفع المؤمن إلى التدبر لكتاب ربه ، فيزداد بذلك عقلاً وفهماً وإدراكاً لما يريد الله منه ، ولذا ختم جل وعلا هذه الآية بقوله "العلمك تتفكرون" ، وهذا يدلنا على أهمية التفكير والتدبر في كتاب اله جل وعلا ، والنظر في آياته نظر تمعن واعتبار، وأن يكون هذا التفكير في آيات الله الشرعية والكونية مبنياً على آيات الله عز وجل ، لا على أفكار منحرفة ، لأن الإنسان قد يكون لديه ثقافة وتفكير ولكنها مبنية على أفكار منحرفة، فيزداد ضلالاً ، وإنما التفكير النافع ما كان في آيات الله ، مبنياً على نصوص الشرع المطهر .

ولقد حفل كتاب ربنا بالآيات التي تدعو إلى التدبر وإعمال الذهن والعقل ليزداد المرء إيماناً مع إيمانه ، وليقتنع المتجرد المنصف من غير المؤمنين ، إذا نظر إلى هذه الآيات بعين الإنصاف والبصيرة ، بأن هذا

(١) تفسير الطبري ٦٩٠/٤ ، وتفسير الماوردي ٣٤١/١ ، وتفسير السمرقندي ٢٣٠/١ ، والجامع لأحكام القرآن، ٢٠٧/٣ .

(٢) تفسير البغوي ٢٥٢/١ ، وتفسير الماوردي ٣٤١/١ ، والوسيط للواحي ٣٨٠/١ ، وزاد المسير ٣٢٠/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/٣ .

(٣) تفسير الطبري ٦٩٣/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/٣ .

(٥) تفسير الماوردي ٣٤١/١ .

(٦) الماوردي ٣٤١/١ .

الدين حق وصواب قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٢).

وقل سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣).

المبحث التاسع : استخدام الجبابة للنخلة في تعذيب المؤمنين

قال تعالى : ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ آئِنًا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (٤).

- ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ يقال : آمن له ، وآمن به ، فمن

الأول قوله : ﴿ فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ (٥) ، ومن الثاني ، قوله : ﴿ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ

أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ (٦) ، وقيل : إن الفعل هنا متضمن معنى الاتباع (٧).

قرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم : (ءامنتم) على لفظ الخبر ، وقرأ أبو عمرو ، ونافع ، وابن عامر : (ءالمنتم) بهمزة ممدودة ، استفهام .

وقرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم (ءآمنتم) بهمزتين الثانية ممدودة ، والأولى للاستفهام (٨).

(١) سورة محمد آية /٢٤/ .  
(٢) سورة القمر آية /١٧/ .  
(٣) سورة آل عمران الآيات /١٩٠ - ١٩١/ .  
(٤) سورة طه آية /٧١/ .  
(٥) سورة العنكبوت آية /٢٦/ .  
(٦) سورة الأعراف آية /١٢٣/ .  
(٧) فتح القدير ٣/٣٧٦ .  
(٨) السبعة لابن مجاهد /٤٢١/ ، وحجة القراءات /٤٥٨/ .

- ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ قال ابن عباس : يريد معلمكم ، قال الكسائي : الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه ، قال : جئت من عند كبيرى (١) .

وقيل المعنى : إن موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر (٢) .

- ﴿ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ﴾ أي : فلا قطعاً أيديكم وأرجلكم مخالفاً بين قطع ذلك ، وذلك أن يقطع يمنى اليمين ويسرى الرجلين ، أو يسرى اليمين ويمنى الرجلين ، فيكون ذلك قطعاً من خلاف ، وكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون (٣) .

- ﴿ وَلَا صَلِّبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ يعني : على أصول النخل (٤) ، وإنما قال : (في جذوع) ؛ لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ، ثم يصير عليها ، فيقال : صلب عليها (٥) .

- ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ أي : أدوم ، أنا على إيمانكم ، أو رب موسى على تركهم الإيمان به (٦) .

وهكذا بين الله لنا كيف يفعل الجبابرة ، والمتغطرسون ، الذين لا يؤمنون بالله جل وعلا مع من خالفهم في توجههم ، واعتقادهم فهذا فرعون عدو الله لما آمن السحرة بموسى - عليه السلام - بعد أن عرفوا الحق وميزوه ، اتهمهم بهذا الاتهام وأن موسى كبيرهم الذي علمهم السحر ، قال هذا القول أمام قومه ليخدعهم ، وإلا فهو يعلم علم اليقين أنه لا اتصال بينهم وبين موسى ، ثم توعد هؤلاء المؤمنين بالعذاب الأليم البشع ، بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم في جذوع النخل حتى الموت ، ليكون في ذلك تخويفاً لكل من تسول له نفسه الخروج عن دين فرعون ، ولكن هيهات فقد انفلت الأمر من يدي فرعون وزبائنته ، وسارع الناس في الدخول في دين الله ، ثم صار لهم ما صار بعد ذلك حتى أغرق الله

(١) زاد المسير ٣٠٧/٥ ، والوسيط للواحدى ٢١٤/٣ .

(٢) تفسير القرطبي ١١٤/١٦ .

(٣) تفسير الطبري ١١٥/١٦ .

(٤) تفسير السمرقندي ٣٤٩/٢ .

(٥) تفسير الطبري ١١٥/١٦ .

(٦) زاد المسير ٣٠٧/٥ ، والوسيط للواحدى ٢١٤/٣ .

فرعون وأتباعه ، ونجى موسى وقومه فصارت العاقبة للمؤمنين المتقين والله غالب على أمره ، ومُتم نوره ولو كره الكافرون .

ولعل صلبه لهم في جذوع النخل دون غيرها من الأشجار ، لكثرة النخيل لديهم في ذلك الوقت ، أو لمكانة النخلة عندهم وفي نفوسهم ، أو لأن المكان الذي وقع فيه هذا الحديث كان مكاناً كثير النخل ، فربطهم في تلك النخيل وعمل بهم ما عمل .

المبحث العاشر : لجوء مريم - عليها السلام - إلى النخلة وكونها مصدر رزق وطعام لها

١- قال تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ (١) .

٢- وقال تعالى : ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ (٢) .

- ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي : أجاها، يُقال : جاءها وأجاها بمعنى واحد (٣) . وقيل : فجاها المخاض (٤) ، أي جاءها فجأة ، والمخاض هو ألم الولادة ، وبداياتها .

- ﴿ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أي : ساق النخلة (٥) ، وكانت نخلة يابسة في الصحراء ، ليس لها رأس ولا سعف ، وقيل : التجأت إليها لتستند إليها ، وتتمسك بها على وجع الولادة (٦) .

- ﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ تمنى الموت استحياء من الناس ، وخوف الفضيحة (٧) .

(١) سورة مريم آية /٢٣/ .

(٢) سورة مريم آية /٢٥/ .

(٣) الوسيط للواحد /٣/ ١٨٠ ، وتفسير السمرقندي /٢/ ٣٢١ ، وتفسير البغوي /٣/ ١٩٢ .

(٤) تفسير الماوردي /٣/ ٣٦٢ .

(٥) زاد المسير /٥/ ٢٢٠ .

(٦) تفسير البغوي /٣/ ١٩٢ ، وزاد المسير /٥/ ٢٢٠ .

(٧) تفسير البغوي /٣/ ١٩٢ ، والوسيط للواحد /٣/ ١٨٠ .

- ﴿ وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴾ النسي : ما أغفل من شيءٍ حقير ونسي . قال ابن عباس، وقتادة : شيئاً متروكاً لا يذكر ، وقال عكرمة ، ومجاهد : حيضة ملقاة ، والمنسي : المتروك الذي لا يذكر <sup>(١)</sup> ، وقيل : شيئاً تافهاً لا يؤبه له ، مما حقه أن ينسى ويترك ، قلة مبالاة به ، ولم يكفها أن تتمنى أن تكون شيئاً تافهاً حتى بالغت فيه فقالت (منسياً) <sup>(٢)</sup> .

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم: (نسيا) بكسر النون .

وقرأ حمزة ، وحفص عن عاصم : (نَسِيًّا) بفتح النون <sup>(٣)</sup> .

- ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ ﴾ الهز : التحريك ، يُقال : هزه فاهتز ، والمعنى : اجذبي إليك <sup>(٤)</sup> ، والمراد بهزها إياه تحريكه ، وقد كان جذعاً يابساً ، وذلك في أيام الشتاء ، فكان الرطب يتساقط عليها <sup>(٥)</sup> .

- ﴿ سُقِطَ عَلَيْكَ ﴾ أي : يسقط عليك وينزل من النخلة .

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي : (تَسَاقُط) بفتح التاء مشددة السين ، وفي هذه القراءة ما يدل على تساقط الرطب بكثرة ووفرة ، فيكون أدعى للطمانينة ، وأرغد للعيش في اللحظات العصيبة ، وأكبر دلالة على كرم الله وفضله وإحسانه ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وقرأ حمزة : (تساقط) بفتح التاء مخففة السين .

واختلف عن عاصم : فروى عنه أبو بكر (تساقط) مثل أبي عمرو ، وروى عنه حفص (تساقط) بضم التاء وكسر القاف مخففة السين <sup>(٦)</sup> .

- ﴿ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ أي : مجنياً ، وهو الذي بلغ الغاية ، وجاء أو ان اجتناؤه <sup>(١)</sup> ، والرطب : النضيج من البسر <sup>(٢)</sup> .

(١) الوسيط للواحد ١٨٠/٣ .  
 (٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢٠٠/٤ .  
 (٣) السبعة لابن مجاهد ٤٠٨/ ، وحجة القراءات ٤٤١/ .  
 (٤) الوسيط للواحد ١٨١/٣ .  
 (٥) تفسير الطبري ٥١٠/١٥ - ٥١١ .  
 (٦) السبعة لابن مجاهد ٤٠٩/ ، وحجة القراءات ٤٤٢/ .

قال الربيع بن خيثم : ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية ، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم ، ولذلك قالوا : التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>، وقيل : ما للنفساء خير من الرطب ، ولا للمريض خير من العسل ، وقيل : إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب<sup>(٤)</sup>.

في هاتين الآيتين الكريمتين يخبرنا الله جل وعلا عن حال مريم - عليها السلام - ، عندما داهمها المخاض ، حيث أُلجئت إلى النخلة لتستعين بها عند الولادة ، حيث تمسك بها فتساعدها بإذن الله على ذلك ، وفي الآية الثانية يوجهها سبحانه إلى أن تهز بجذع النخلة التي جلست تحتها لتساقط عليها رطباً جدياً ، وأمرها بأن تأكل منه وتشرب من الماء الذي تحتها ، وقد ألح المفسرون كما مر معنا إلى أن في ذلك إشارة إلى أن للتمر فائدة في هذا الموقف - عند الولادة - وإلا لما كان الله يوجهها إليه ، ويوجده لها من تلك النخلة اليابسة ، في الشتاء ، حيث إن الشتاء ليس موسماً للتمر كما هو معروف .. وقد ذكر الأطباء في العصر الحديث هذا الأمر وأكدوا عليه .

يقول الأستاذ الدكتور جابر سالم القحطاني عن الرطب :

.. إن الأبحاث الحديثة جاءت لتكشف آثارها التي تعادل آثار العقاقير الميسرة لعمليات الولادة ، والتي تكفل سلامة الأم والجنين معاً ، فهو يقوم بدور الهرمونات التي يصفها الطبيب ، كما يسهل انقباض الرحم بعد الولادة ، ويمنع النزيف ، ويقي من ارتفاع ضغط الدم أثناء الولادة ، كما أن له تأثيره المهدئ للأعصاب وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية<sup>(٥)</sup>.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

والتمر من أكثر الثمار تغذية للبدن ، بما فيه من الجوهر الحار الرطب وأكله على الريق يقتل الدود ، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فإذا أديم استعماله على الريق جفف مادة الدود وأضعفه ، وقلله ، أو قتله . وهو فاكهة ، وغذاء ، ودواء ، وشراب ، وحلوى .

وقد ثبت عنه - x - أنه أكل التمر بالزبد<sup>(٦)</sup>، وأكل التمر بالخبز<sup>(١)</sup>،

وأكله مفرداً<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) تفسير البغوي ١٩٣/٣ .  
(٢) الوسيط للواحد ١٨١/٣ .  
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١١ .  
(٤) الكشف للزمخشري ٤٠٩/٢ .  
(٥) موسوعة جابر لطب الأعشاب ٩٨/٢ ، ونخلة التمر لمحمد جودة صوان /٣٥-٣٤ .  
(٦) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه ٣٦٢/٣ ، عن ابني بسر السلميين قالوا : دخل علينا رسول الله - x - فقدمنا زبداً وتمرّاً وكان يحب الزبد والتمر .

فسبحان من جعل هذه الخصائص والمزايا في هذه الثمرة ، وسبحان من هدى إليها مريم ووقفها ووجهها في هذا الموقف الذي تذهل فيه المرأة عن كل شيء لما تعين وتحس من آم الطلق والولادة ، وما ذاك إلا لما فيه من الفائدة لها، فسبحانه من إله عظيم ، كريم رحيم بعباده ، وهو المنعم المتفضل سبحانه وتعالى .

المبحث الحادي عشر: قطع النخيل وأثره النفسي على المحاربين

قال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَسِيقِينَ ﴾ (٤).

في هذه الآية الكريمة عرض القرآن الكريم صورة من صور الحرب التي يجابه بها الأعداء ، ويتقى خطرهم ، مسنداً ذلك إلى حقائق وقعت في زمن الرسول - x - ، كما حدث في حرب بني النضير ، فالحرب حربان : حرب حسية ، وهي التي تتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة الحرب والجهاد ، وهي تعني مقابلة العدو في العدد والعدة ، ومنازلته في ميدان القتال ومحاولة القضاء على أفرادِهِ وعدته بالقتال ، والاستيلاء عليها ، والقسم الآخر حرب معنوية ، وهي محاولة إضعاف همة العدو ، وتفتيت قوته ، عن طريق حشو قلوب أفرادِهِ بالرعب والخوف ، وقد استخدم المسلمون في حربهم مع المشركين الحرب المعنوية ، فأدت دورها ، وأنت ثمارها ، ففي غزوة الأحزاب أمر - x - أبا نعيم الغطفاني الذي أسلم سراً وقال له : إنك رجل واحد لن تستطيع عمل شيء فخذل عنا (٥) ، وقد رأينا كيف عملت الحرب المعنوية دورها في صفوف الشرك ، مما أدى إلى تصدع هذا البناء الذي تجمع للقضاء على الإسلام وأهله ، وعندما حاصر المسلمون يهود بني النضير وكانوا قد تحصنوا في حصونهم ، أمر النبي - x - المسلمون بقطع نخيلهم ، وإحراق بعضها ، مما قذف الخوف ، والرعب في قلوبهم .

(١) كما ثبت في الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه ٣/٣٦٢ ، عن يوسف بن عبدالله بن سلام قال : رأيت النبي - x - أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمره وقال : هذه إدام هذه

(٢) كما ثبت في صحيح مسلم ٣/١٦١٦ من حديث أنس بن مالك قال : رأيت النبي - x - مقعياً يأكل تمرأ .

(٣) الطب النبوي لابن قيم الجوزية /٢٢٥/ .

(٤) سورة الحشر آية /٥/ .

(٥) انظر : قصة أبي نعيم في زاد المعاد لابن القيم ٣/٢٧٣ .



وقد صورَّ الله تعالى هذا الأمر بقوله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . وهكذا أخزى الله أعداءه ، فاستسلموا ونزلوا على حكم المسلمين أذلة صاغرين ..

- ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا ﴾ نزلت عندما حرق رسول الله - x - نخل بني النضير ، وقطع (١) . وهي البويره

وذكر المفسرون أن بني النضير لما تحصنوا في حصونهم ، فأمر بقطع نخيلهم ، وإحراقها ، فجزعوا ، وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أفمن الصلاح عقر الشجر ، وقطع النخل ؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على رسول الله - x - ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، واختلف المسلمون ، فقال بعضهم : لا تقطعوا ، فإنه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم : بل نغيظهم بقطعها ، فنزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله (٢) .

والليتة : هي النخلة ، وقيل : النخل كله إلا العجوة (٣) .

وقيل : كرام النخل ، وقيل : جميع الأشجار لليتها بالحياة (٤) .

- ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي : بأمر الله قطعت ، ولم يكن فساداً ، ولكن نقمة من الله ، وليخزي اليهود بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا (٥) .

وهكذا تبين كيف كان هذا السلاح فعّالاً ، وذا أثر بالغ أثر في نفسيات اليهود ، ودفعهم إلى الاستسلام ، والنزول على حكم المسلمين فحكموا عليهم بالجلاء عن المدينة ، فخرجوا إلى الشام يجرون أذيال الهزيمة والعار ، بسبب غدرهم بالمسلمين ، ونقضهم للعهد التي أبرموها معهم ،

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في صحيحه ٥٨/٦ كتاب التفسير ، وأخرجه مسلم في الصحيح من حديث ابن عمر ١٣٦٥/٣ كتاب الجهاد .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي /٤٤٢/ ، وتفسير الطبري ٥٠٨/٢٢ ، وتفسير البيهقي ٣١٥/٤ ، وزاد المسير ٢٠٧/٨ ، والوسيط للواحدي ٢٧١/٤ .

(٣) تفسير الطبري ٥٠٦/٢٢ وما بعدها ، وتفسير مجاهد ٦٥٢/ ، وتفسير الماوردي ٥٠٢/٥ ، والوسيط للواحدي ٢٧١/٤ .

(٤) تفسير الماوردي ٥٠٢/٥ ، وزاد المسير ٢٠٨/٨ .

(٥) تفسير الطبري ٥١٢/٢٢ ، وزاد المسير ٢٠٨/٨ .

ووقوفهم مع أعداء الله من المنافقين ، والمشركين ، والذين وعدوهم  
بالنصر والمؤازرة ولكنهم خذلوهم في ساعة الجد .  
والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والحمد لله الذي وفق لإكمال هذا البحث ، وبعد الوصول إلى هذه المرحلة لا بد من التوقف قليلاً لتسجيل بعض الفوائد والإيجابيات التي لاحت لي خلال كتابة هذا البحث ، وهي فوائد كثيرة ، أذكر منها :

- ١ - أن كتاب الله هو المعين الصافي ، والنبع الفياض ، الذي ينبغي على المسلم ألا يغفل عنه في أي لحظة ، بل لا بد أن ينهل منه ، ويرتوي ، خاصة إذا حزبه أمر ، ونزل به كرب ، فيه النجاة بإذن الله ، وفي توجيهاته الخلاص من مشاكل الدنيا .
- ٢ - أن نعم الله على عباده كثيرة ، والآء عظيمة لا تحصى ولا تعد ، والواجب على المرء شكر هذه النعم بشكر مسديها ، وذكر موليتها ، بحمده قولاً وفعلاً ، وتطبيقاً وعملاً .
- ٣ - أن من نعم الله على عباده هذه النخلة التي هي مثال للمؤمن ، تلك الشجرة المباركة التي تكرر ذكرها في كتاب الله ، وتردد لفظها أكثر من مرة ، وما ذاك إلا لفضلها ، ومكانتها .
- ٤ - أن المؤمن يشبه النخلة بثباتها ورسوخها في الأرض ، وسموها إلى السماء بطولها وبما تحتوي عليه من الثمار والآثار التي يستفيد الناس منها في كل وقت من السنة ، والمؤمن كذلك ثابت على دينه ، راسخ بمعتقده ، شامخ بروحه وعقله إلى السماء والعلو ، فله ما أجمله من مثل ، وما أحسنه من شبه .
- ٥ - مما يلفت النظر في ذكر النخلة في القرآن أنها في الغالب تأتي مقرونة مع العنب ، والذي يظهر والله أعلم أن سبب هذا الارتباط أن النخيل والأعاب هما الشجرتان المعروفتان بكثرة عند أهل مكة وما جاورها ، أو لأن ثمار النخلة والكرمة يتشابهان في أن كلاً منهما يؤكل رطباً ويدخر ليؤكل يابساً بعد ذلك ، ولأن كلاً منهما ثمار النخلة والعنب يصنع منه شراب الخمر والذي كانت العرب تستعمله بكثرة في ذلك الوقت .
- ٦ - أن التمر غذاء ودواء ، فهو غذاء يقوم مقام الأكل ، ويمكن أن يستغني به المرء فترة من الزمن ، وهو دواء كما أخبر المصطفى -  
x- أن من أصبح بسبع تمرات لم يضره سم ولا سحر في هذا اليوم ، إضافة إلى أنه مفيد للمرأة عند ولادتها كما تبين من خلال البحث .
- ٧ - أن ثمر النخيل وهو التمر سريع الامتصاص ، سهل الهضم يحتوي على أنواع السكريات التي تذوب في الجسم سريعاً ، ولذا شرع للصائم أن يكون إفطاره على الرطب والتمر ، وهذا لحكمة عظيمة .
- ٨ - أن المسلمين قد استخدموا النخيل في حربهم للأعداء ، حيث قاموا بقطع بعض نخيل اليهود عند محاصرتهم لهم ، مما قذف الرعب في قلوبهم ، والخوف في أفئدتهم ، فاستسلموا وتنازلوا ، وهذا نوع من

أنواع الحرب ، وهي الحرب النفسية ، وقد تنبّهت الدول المتحضرة لأهمية هذه الحرب فبدأوا بتطويرها ، وتنويع أساليبها ، مما أنتج أنواعاً من الحروب النفسية ، والتي ربما هزمت بعض الجيوش قبل اللقاء في ميدان الحرب والقتال .

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به ووالدي ، ووالديهم ، وذرياتهم ، ومن قرأه ، وانتفع به إنه سميع مجيب الدعوات ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\*\*\*\*\*

## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. أحكام من القرآن الكريم : لمحمد بن صالح العثيمين ، مدار الوطن للنشر ، الرياض طبعة عام ١٤٢٥هـ .
٣. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن الواحدي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ، ط (٢) ١٤٠٤هـ .
٤. البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط (٢) ١٤٠٣هـ .
٥. تفسير البغوي (معالم التنزيل) : لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط (١) ١٤٠٦هـ .
٦. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : لناصر الدين أبي سعيد عبدالله ابن عمر البيضاوي ، دار الجيل .
٧. تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) : لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
٨. تفسير الحسن البصري : جمع وتوثيق ودراسة د/ محمد عبدالرحيم ، دار الحديث، القاهرة .
٩. تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٠. تفسير القرآن : للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض ، ط (١) ١٤١٠هـ .
١١. تفسير القرآن العزيز : لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط (١) ١٤٢٣هـ .
١٢. تفسير القرآن العظيم : للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، دار الفكر .
١٣. التفسير الكبير : للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط (٣) .
١٤. تفسير سورة الرعد : للدكتور/ محمد صالح مصطفى ، دار النفائس للنشر والتوزيع الرياض ، ط (١) ١٤٠٨هـ .
١٥. تفسير مجاهد بن جبر : دار الفكر الإسلامي الحديثة .
١٦. تفسير مقاتل بين سليمان : للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٧. تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، ط (١) ١٤٢٢هـ .
١٩. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط (١) ١٤٠٨هـ .

٢٠. حجة القراءات : لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط(٣) ١٤٠٣هـ .
٢١. زاد المسير في علم التفسير : لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي ، المكتب الإسلامي ، ط (٣) ١٤٠٤هـ .
٢٢. السبعة في القراءات : لابن مجاهد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط (٢) .
٢٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة : لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط(٤) ١٣٩٨هـ .
٢٤. سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٥. سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٦. سنن الترمذي : للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي ، دار الفكر ١٣٩٨هـ .
٢٧. سنن الدارمي : للإمام أبي محمد عبدالله بن بهرام الدارمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
٢٨. صحيح البخاري : لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ .
٢٩. صحيح مسلم : لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٤٠٠هـ .
٣٠. صحيح مسلم بشرح النووي : دار أبي حيان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط(١) ١٤١٥هـ .
٣١. الضعفاء الكبير : لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) .
٣٢. الضياء في تفسير سورة الإسراء : الدكتور/ محمد أبو النور الحديدي ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٣٩٧هـ .
٣٣. الطب النبوي : لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٣٤. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ .
٣٥. عيون التقاسير للفضلاء السماسير : لشهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي ، دار صادر ، بيروت ، ط(١) ١٤٢٧هـ .
٣٦. فتح البيان في مقاصد القرآن : لصديق حسن خان ، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة .
٣٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٣٨. القاموس المحيط : لمجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل .

- ٣٩ . الكامل في ضعفاء الرجال : لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط (١) ١٤٠٤ هـ .
- ٤٠ . كتاب النخل : لأبي حاتم السجستاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط (١) ١٤٠٥ هـ .
- ٤١ . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- ٤٢ . كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط (٣) ١٣٥١ هـ .
- ٤٣ . اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط (٢) ١٣٩٥ هـ .
- ٤٤ . لسان العرب المحيط : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي دار صادر ، بيروت .
- ٤٥ . مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٢) ١٤٠١ هـ .
- ٤٦ . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، مؤسسة الحرمين الخيرية ، الرياض ، ط (٣) ١٤٢٣ هـ .
- ٤٧ . مرويات الإمام أحمد في التفسير : جمع وتخريج : حكمت بشير ياسين ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط (١) ١٤١٤ هـ .
- ٤٨ . معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣ هـ .
- ٤٩ . معاني القرآن الكريم : للإمام أبي جعفر النحاس ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط (١) ١٤٠٨ هـ .
- ٥٠ . معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحاق إبراهيم بن سري الزجاج ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ .
- ٥١ . معجم البلدان : لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .
- ٥٢ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي . ونسك ، و. ي . ب . منسج ، مطبعة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٦٥ م .
- ٥٣ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : لمحمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٥٤ . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عبدالله عبدالعزيز البكري الأندلسي ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٥٥ . معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الكتب العلمية إسماعيليان نجفي ، إيران ، قم .
- ٥٦ . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه ، مكتبة الرياض الحديثة .

٥٧. المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف  
بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٥٨. موسوعة جابر لطب الأعشاب : أ.د/ جابر بن سالم القحطاني ، مكتبة  
العبيكان ، الرياض ، ط(٢) ١٤٢٩ هـ .
٥٩. نخلة التمر : محمود جوده صوان ، دار المشاعل للطباعة والنشر  
والتوزيع ، ط(١) ١٤١٤ هـ .
٦٠. النكت والعيون تفسير الماوردي : لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب  
الماوردي البصري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط(١)  
١٤١٢ هـ .
٦١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي  
النيسابوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥ هـ .

\*\*\*\*\*



أخبار المصادر الواردة في مقدمة  
كتاب النشر  
للحافظ ابن الجزري حتى عام  
(١٤٢٩ هـ)

د: أمين محمد أحمد الشيخ الشنقيطي

- \* عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية .
- \* حصل على درجة الماجستير بتحقيق (كتاب غاية الاختصار في القراءات العشر للهمداني) .
- \* حصل على درجة الدكتوراه بأطروحته (الانفرادات عن علماء القراءات) .



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن على سيد المرسلين وجعله على سبعة أحرف رفقا بالمؤمنين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، نبينا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، الذين نقلوا لنا القرآن المبين.  
أما بعد:

فإن علم القراءات من أجل العلوم قدراً وأرفعها منزلة لتعلقه بكتاب رب العالمين، وهو علم يحفل بنصوص القراءات بأنواعها، والأحكام التجويدية بتطبيقاتها ورسم المصحف وضبطه، وعدد الأبي، وتراجم القراء، وتوجيه القراءات، وللعلماء في مباحثه تأليف مشهورة ظلت تتوارثها الأجيال بعوامل النقل والتلقي، والرحلة، والنسخ وغيرها، حتى وصلت إلينا اليوم.

كما أنه يحظى بعناية فائقة من المتخصصين حفظاً، وتدريساً، وتصنيفاً، وقد لاحظت لي فكرة جمع أخبار بعض مصادره، حيث لم يفردها أحد بالتأليف فيما أعلم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية الموضوع ظاهرة من عنوانه، ومن موضوعه وهو أخبار مصادر<sup>(١)</sup> كتاب النشر، وهو جانب مهم للعمل لدى الباحثين والطلبة والدارسين، وتشدهم إليه ضرورات كثيرة، منها مثلاً معرفة مصادر علم القراءات والعلم بأخبارها، والكشف عن قدر من تراثنا المخطوط، أملاً أن يجد فيه الدارسون نسخاً لكتب مفقودة، أو عناوين، ومؤلفين لم يقفوا عليها من قبل، لتضاف إلى كنوزنا التراثية.

إن هذه المصادر التي بين أيدينا في هذا البحث هي بالتحديد التي وقع عليها اختيار الحافظ المقرئ، شيخ الإقراء في زمانه، الإمام (ابن الجزري)<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - في كتابه العظيم النفع والفائدة (النشر في القراءات العشر)<sup>(١)</sup>.

(١) هذه الكتب تُعرف بمصادر النشر، وتعرف كذلك بأصول النشر، والفرق بينهما أن الأصول هي: الكتب التي أسند منها المؤلف طرقة، والمصادر هي: الكتب التي روى منها المؤلف طرقة من غير إسناد إليها.  
انظر (منهج ابن الجزري في كتاب النشر، وتحقيق قسم الأصول منه)، للسالم محمد محمود (١٥٤/)، (٢٢٦/)، وكتاب (السلاسل الذهبية لأيمن سويد (٢٤/)).

(٢) هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، شمس الدين، أبو الخير، الشافعي، أحد علماء القراءات، تلقى علم القراءات على شيوخ منهم: ابن السلا، وابن اللبان وغيرهم، قرأ عليه جماعة منهم ابنه أحمد، والشيخ محمود الشيرازي، وغيرهم كثير.

ونظراً لأنّ هذا الجانب قليل من يتحدّث عنه، ونادر أن يجد الطلبة فيه مؤلفاً في المكتبات العلمية، لأسباب منها: تعدد الجهات العلمية المسؤولة عن تحقيق التراث، وندرة التعاون الإخباري فيما بينها، وعدم التزام بعض الباحثين بالإعلان عن ما سيقوم به من تحقيق علمي إلا بعد طبعه ونشره، أي بعد مضي وقت طويل على عثوره عليه، ونحو ذلك مما أصبح اليوم غير مبرر في ظل توفر وسائل الاتصال، وكثرة الدارسين والراغبين في تحقيق التراث الإسلامي، جاء هذا البحث.

---

،وله مؤلفات ككتابه (النشر في القراءات العشر)، و(غاية النهاية في طبقات القراء)، وغيرها، توفي سنة (٨٣٣هـ). (غاية النهاية لابن الجزري (٢/٢٣٧)).  
(١) كتاب النشر من أجل الكتب المؤلفة في القراءات العشر، وأبعدها صينياً، ولا تكفي هذه العجالة لبيان جميع محاسنه ومزاياه.

#### أهداف البحث:

- الإسهام في خدمة الدراسات القرآنية، بالتعريف بأشهر مصادر علم القراءات منذ القرن الرابع وحتى التاسع، وتسهيل الوصول إلى أخبارها.
- تطبيق عملية الفهرسة التي تمتاز بترتيب مسائل العلوم، وتيسير الاستفادة منها.
- جمع أخبار التحقيقات العلمية، وأسماء المحققين، وجهات التحقيق العلمية، والناشرين، والدور الناشرة، وتاريخ النشر، وذلك على غرار بعض معاجم مصنفات القرآن، وعلومه<sup>(١)</sup>.
- التعرف على المكتبات المحلية، والعالمية التي توجد بها بعض المخطوطات النادرة.
- تلافى سلبيات عديدة يمكن وقوعها بين الباحثين أثناء تحقيق بعض كتب التراث<sup>(٢)</sup>.
- خدمة كتاب النشر لابن الجزري، وبيان بعض مسائله المهمة<sup>(٣)</sup>.

#### الدراسات السابقة:

- من الدراسات التي وجدتها تحدّثت عن هذا الموضوع، أو قاربت له لكنها لم تفرد بالتأليف:
- ١- رسالة دكتوراه بعنوان: (منهج ابن الجزري في كتاب النشر، وتحقيق قسم الأصول منه)، للسالم محمد محمود<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر الباحث فيها أخبار هذه المصادر، وقد رجعت إلى ما ذكره من أخبار، وأضفت إليه أخباراً جديدة.
  - ٢- كتاب (السلاسل الذهبية بالأسانيد النثرية من شيوخي إلى الحضرة النبوية) لأيمن سويد<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر المؤلف فيه الطرق الواردة في كتب القراءات التي اختارها ابن الجزري في كتابه النشر، ولهذا السبب لم

(١) كمعجم مصنفات القرآن الكريم لعلي شواخ إسحاق، وفي هذا المعجم أخبار عدد من المخطوطات، وبعض المنشور من مصنفات القراءات.

(٢) أشار لبعض أشكال الحيف، والفوضى بحق المخطوط، والدارسين، وأنه لم يعد الباحثون يملكون إجابة علمية عن الأسئلة التالية: ماذا حُقّق من التراث، وماذا بقي؟ أحمد محمد الخراط في كتابه (عوامل تحصيل الأمة/٤٦). كما أشار حاتم الضامن إلى بعض أشكال من السرقات لجهود المحققين العلمية في مقدمة كتابه (مفردة يعقوب/٥).

(٣) قلت: صنيع ابن الجزري هذا في كتاب النشر، وقيامه بجمع مصادره، والحديث عنها في مقدمته يعبر عن محاولة جبارة لجمع تراث علم القراءات في زمنه، وتأليف المؤلفات منها، وكذلك حتى يمكن لمن بعده التأكد من صحة ما عراه إليها. (تقريب الطيبة لإيهاب فكري/٦٠٢).

(٤) صفحة (١٥٤)، قلت: هذه الرسالة غير منشورة، وقد طالعتها بعد أن أوشتكت على الانتهاء من هذا البحث.

(٥) صفحة (٥).

يذكر جميع (المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر) بل ذكر ماكان بحسب منهجه، وقد رجعت إلى مآذره من أخبار، وأضفت إليه أخباراً جديدة.

٣- الفهارس العامة في مصنفات القرآن الكريم، كمعجم مصنفات القرآن الكريم، ومعجم الدراسات القرآنية وغيرهما، وهي تحتاج من الناحية الإخبارية إلى التجديد والتدقيق.

خطة البحث:

- تتألف من مقدمة، فأخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر مع ترتيب عناوينها هجائياً، ففهارس عامة.

منهجي في البحث:

- اعتمدت في البحث على نظام الفهرسة للعناوين.
- كما اعتمدت فيه كذلك على المنهج الوصفي التحليلي للأخبار، نظراً لأن الأخبار أمرٌ علمي يتوجب التحري والتدقيق.

ففي الفهرس قمت:

- بذكر العناوين بحسب كتاب النشر المطبوع<sup>(١)</sup>.
- ثم جعلتها تحت رقم مسلسل، ورتبتها هجائياً، وحذفت لفظة (كتاب) التي ترد قبلها في كتاب النشر.
- كما تدخلت في بعض العناوين ك(شروح الشاطبية مثلاً) حيث لم يذكر ابن الجزري أسماءها، فذكرت أسماءها من مصادر أخرى، ثم ضبطتها بالشكل من كتاب غاية النهاية لابن الجزري، وغيره. وفي أخبار المصادر، قمت بتنظيمها، منهجياً من خلال التفاصيل التالية:
- **عرفت بمؤلف الكتاب (المصدر):** فبدأت بكنيته، ولقبه، واسمه، واسم أبيه، وجدّه، ثم بلده، ثم تاريخ وفاته، من كتاب غاية النهاية لابن الجزري، اختصاراً للحواشي، وقمت بضبطها بالشكل بحيث تسهل قراءتها.
- **جعلت الكتب المطبوعة (المنشورة) بحسب نظام فهرس الكتب المطبوعة:** فرتبت أخبارها لتبدأ بعبارة: طبع بتحقيق، ثم ذكرت اسم المحقق، وتاريخ الطبعة، واسم الدار، وبلدها، وتاريخها، ولم أتحدث عن أخبار مخطوطات هذه الكتب لوجودها في مقدمة تحقيقات الباحثين لها، انظر مثلاً ترجمة رقم (١) من هذا البحث.
- **جعلت الرسائل الجامعية بحسب نظام فهرس الرسائل الجامعية:** فذكرت اسم محققها، فالدرجة العلمية، قبلهما قوسين كبيرين، دونت بداخلهما اسم القسم؛ فالكلية؛ فالجامعة المانحة للدرجة؛ فالتاريخ، ثم أغلقت القوس، ولم أتحدث كذلك عن أخبار مخطوطاتها لوجودها ضمن هذه التحقيقات، انظر مثلاً ترجمة رقم (٥) من هذا البحث.
- **جعلت المخطوطات بحسب نظام فهرس المخطوطات التي وجدتها فيها:** فذكرت ما عثرت عليه من أخبارها في الفهارس، وقد ذكرت أخبارها بحسب طريقة الفهرس في إيرادها، كعدد نسخ الكتاب المخطوطة، وبلد المكتبة التي تُوجد بها، وأحلت في الحاشية إلى تلك الفهارس، انظر مثلاً ترجمة رقم (٦) من هذا البحث.
- **ذكرت المخطوطات التي في حكم المفقودة،** وحدد علمي بها حتى عام (١٤٢٩ هـ)، انظر مثلاً ترجمة رقم (٢).
- **اتبعت في الفهارس المساعدة في آخر البحث، إجراءات الفهرسة المعروفة.**

(١) النسخة التي اعتمدها من كتاب النشر هي التي بتصحيح علي محمد الضباع، كما عرضت العناوين وغيرها على مصورة من رسالة: (منهج ابن الجزري في كتاب النشر، وتحقيق قسم الأصول منه)، للسالم محمد محمود، بعد أن تيسر لي الوقوف عليها.

- وفي التوثيق لما أنكره من أخبار، أو ملاحظات اعتمدت على عدد من كتب القراءات المطبوعة<sup>(١)</sup>، وبعض الكتب المؤلفة حديثاً في القراءات<sup>(٢)</sup>، والفهارس<sup>(٣)</sup>، وقواعد المعلومات<sup>(٤)</sup>، وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)<sup>(٥)</sup>.

هذا ما أحببت أن يكون القارئ على علم به على عجلة، واختصار شديد، وهو عمل من شأنه أن ينهض ولو بقدر يسير بدراسات جديدة مفيدة في القراءات وعلومها<sup>(٦)</sup>، على أن تُستكمل - إن شاء الله تعالى - بقيتها حال وجودها، ولا أدعي الكمال فيه؛ فهو عمل اجتهادي قابل للأخذ والرد، ومقصوده الأول هو تقريب المعلومة إلى القارئ، وتوفير الوقت، والجهد، والمال، وليس التجديد، والاستدراك على المصنّفات، أو المصنّفين.

وأخيراً : فقد عثر هذا البحث على خبر نشر ستة وثلاثين كتاباً منها، وتحقيق عشرة رسائل علمية، وبقاء ثمانية منها مخطوطة، وفقدان خمسة عشرة منها، من بين تسعة وستين مصدراً<sup>(٧)</sup>.

(١) ككتاب إبراز المعاني لأبي شامة، انظر ترجمة (١) من هذا البحث  
(٢) ككتاب السلاسل الذهبية لأيمن سويد.  
(٣) كمعجم الدراسات القرآنية لابن تيسام الصفار،  
والفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي، وغيرهما.  
(٤) كدليل الرسائل العلمية، بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

(٥) كمواقع الجامعات، والمكتبات العلمية كملتقى أهل التفسير، وقد ذكرت أسماء هذه المواقع باللغة العربية دون كتابته بالإنجليزية، كما استعنت بالمواقع غير الرسمية أحياناً لتوفر معلومات حديثة فيها عن بعض الكتب، وهذه المواقع يمكن البحث فيها من خلال شبكة المعلومات (الإنترنت)، ثم عبر محرك (قول)، انظر مثلاً صفحة (١١) من هذا البحث.

(٦) قلت: ممّا يحمّد لكثير من الباحثين، والجامعات الشرعية، والجمعيات، والمؤسسات التعليمية داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها الاهتمام الكبير بـ (مصادر كتاب النشر في القراءات العشر)، ونشرها، ومن ذلك ما يعرف اليوم عند البعض بسلسلة (أصول النشر)، وكذلك قيامها بتخصيص دراسات علمية علياً لتحقيق هذه الكتب كقسم القراءات بالجامعة الإسلامية، وأم القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي جهود مشكورة، وتحتاج إلى مزيد تنسيق بين جميع هذه الجهات، وذلك بتبني فهارس إخبارية يمكنها تلافي تكرار أعمال تحقيقها من قبل بعض الباحثين، أو إعادة إنتاجها مرة أخرى دون مبررات معقولة، وتعمل كذلك على إيجاد بديل لبعض المنشورات غير العلمية، المخالفة لضوابط التحقيق العلمي، وحبذا لو تولّى هذا التنسيق مستقبلاً أحد الأقسام العلمية المتخصصة في الجامعات الإسلامية، كقسم القراءات بالجامعة الإسلامية، مثلاً لخبرته الطويلة في هذا التخصص المبارك.

(٧) نص على هذا العدد أيمن سويد في السلاسل الذهبية (٢٤/).  
قلت: من الملاحظات التي خرج بها هذا البحث أيضاً : وجود كتب نُشرت أكثر من مرة، انظر مثلاً حواشي ترجمة (١)، وتحقيق كتب أكثر من مرة رسالة علمية، حواشي ترجمة (٢٧)، ووجود طبعات تجارية لا تعتمد على نسخ مخطوطة، حواشي ترجمة (٤٩)، وتوزيع مخطوط واحد على أكثر من واحد رسائل جامعية، حواشي



وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخبار المصادر الواردة في مقدمة كتاب النشر للحافظ ابن الجزري، مع ترتيب عناوينها هجائياً

- ١- **إبرارُ المعاني من حرز الأمانى** لأبي القاسم، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، وهو شرح للشاطبية<sup>(١)</sup>.
- طبع بتحقيق، وتعليق محمود عبد الخالق جادو، ط ١، الجامعة الإسلامية، (١٤١٣هـ).
- طبع بتحقيق، وتقديم وضبط إبراهيم عوض عطوة، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، (١٣٩٨هـ)<sup>(٢)</sup>.
- طبع طبعة باشرها محمد أمين عمران، مطبعة البابي الحلبي، مصر، في شعبان سنة (١٣٤٩هـ)<sup>(٣)</sup>.
- طبع بتحقيق جمال محمد شرف، ط ١، دار الصحابة للتراث، طنطا (١٤٢٩هـ)<sup>(٤)</sup>.
- ٢- **إرادة الطالب في القراءات العشر** لأبي محمد، سبط أبي منصور الخياط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت ٥٤١هـ)<sup>(٥)</sup>.
- في حكم المفقود.

(١) لم يذكر له ابن الجزري في النشر اسماً (٦٣/١)، وذكر أنه شرح للشاطبية، وكذلك في (غاية النهاية ٣٦٥/١)، وقد أثبت اسمه بحسب ما جاء على طبعة الشيخ محمود جادو.  
(٢) كتاب (الإمام أبو القاسم الشاطبي ١٥٨)، ولم يسم له نسخاً خطية.  
(٣) في (معجم الدراسات القرآنية ٤٢٦) بعض أخبار هذه الطبعة غير المحققة.  
(٤) ولم يذكر نسخة مخطوطة حقق عليها الكتاب.  
(٥) كذا اسمه في (النشر ٨٤/١)، ولم يذكر له اسماً في (غاية النهاية ٤٧٠/١)، واسمه في (معجم المؤلفين ٨٦/٦)، و(هدية العارفين ٤٥٥/١) إرادة الطالب وإفادة المواهب في القراءات.

- ٣- الإرشاد<sup>(١)</sup> لأبي الطيّب، الحلبي، عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون (ت ٣٨٩هـ)<sup>(٢)</sup>.
- سجله ليحقّقه باسم حمدي السيّد (رسالة دكتوراه، قسم القراءات كلّية القرآن الكريم الجامعة الإسلاميّة)، (١٤٢٨هـ)، ولم ينته منه بعد.
- ٤- الإرشاد في العشر لأبي العزّ، الفلّانسي، محمد بن الحسين بن بُدّار (ت ٥٢١هـ)<sup>(٣)</sup>.
- طبع بتحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي، ط ١، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (١٤٠٤هـ).
- طبع بمراجعة، وتعليق جمال محمّد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا<sup>(٤)</sup>.
- ٥- الإشارة في القراءات العشر لأبي نصر، العراقي، منصور بن أحمد بن إبراهيم (ت ٤٥٠هـ تقريباً)<sup>(٥)</sup>.
- حقّقه أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريخ، ومهدي عبد الله قاري محمّد صديق، (رسالتنا دكتوراه، قسم الكتاب والسنة، كلّية الدّعوة، جامعة أم القرى بمكة)<sup>(٦)</sup>، (ولم يُطبع تحقيقهما فيما أعلم).
- سجّل رسالة بكلّية القرآن الكريم بطنطا، في جمهورية مصر العربية<sup>(٧)</sup>، (ولم يُطبع هذا التحقيق فيما أعلم).
- درسه، وحقّقه عدنان الزّعبي من (أول الكتاب إلى آخر سورة الأنعام)، (رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم، أمّ درمان، السودان ١٤١٣هـ)<sup>(٨)</sup>، (ولم يُطبع تحقيقه فيما أعلم).

(١) (النشر ١/٨٠، ٧٩)،  
(٢) اسمه في (غاية النهاية ١/٤٣٢) الإرشاد في السبع، وفي (السلاسل الذهبية ٣٥/) اسمه: الإرشاد في معرفة القراء السبعة وشرح أصولهم.  
(٣) كذا اسمه في (النشر ١/٨٦)، وفي (غاية النهاية ٢/١٢٨) اسمه: الإرشاد في العشر، وفي (السلاسل الذهبية ٣٤/) اسمه: كتاب إرشاد المبتدي، وتذكّرة المنتهى في القراءات العشر.  
(٤) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.  
(٥) (النشر ١/٩٣) وفي (غاية النهاية ٢/٣١١) اسمه: الإشارة في القراءات. وفي (السلاسل الذهبية ٣٦/) اسمه: الإشارة بلطيف العبارة في القراءات المأثورات بالروايات المشهورات في القراءات العشر واختيار أبي حاتم.  
(٦) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية).  
(٧) كما جاء ضمن قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه بكلّية القرآن الكريم بطنطا، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).  
(٨) (السلاسل الذهبية ٣٦/٣٦)، وفي موقع إدارة شؤون القرآن والشؤون الإسلامية، دولة الكويت على (الإنترنت) أنه حقّق في جامعة القرآن في السودان.

- ٦- الإعلنان لأبي القاسم، الصّفْرَاوي، عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦هـ) (١).
- مخطوط موجود ، منه مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٤٣٦٨/١) (٢).
- ٧- الإفتاع في القراءات السبع لأبي جعفر، ابن الباذش، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٥٤٠هـ) (٣).
- طبع بدراسة، وتحقيق عبد المجيد قطامش، ط ١، جامعة أم القرى، مطبعة ركابي، ونصر، دمشق (١٤٠٣هـ).
- طبع بتحقيق وتعليق أحمد فريد المزدي، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ).
- طبع بمراجعة، وتعليق جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا (٤).
- ٨- الإيجاز (٥) لأبي محمد، سبط أبي منصور الخياط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت ٥٤١هـ)، وهو فرش قصيدة في القراءات العشر (٦).
- في حكم المفقود.
- ٩- البستان في القراءات الثلاث عشرة لأبي بكر، ابن الجندي، عبد الله بن أيّدْغدي بن عبد الله (ت ٧٦٩هـ) (٧).

(١) (النشر ٧٩/١)، (غاية النّهاية ٣٧٣/١). وفي (السلاسل الذهبية ٣٧) اسمه: كتاب الإعلان بالمختار من روايات القرآن في القراءات السبع).

(٢) وهي مصورة عن نسخة جامعة برنستون مجموعة جاريت، وهي نسخة ناقصة من أولها، (تبدأ من أواخر أبواب الأصول)، وخطها جيد، وعليها سماع المؤلف. (فهرس كتب القراءات القرآنية، الجامعة الإسلامية/٣٦).

وأخبار هذه المخطوطة أيضاً في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ١/١٩٥) وأنها في جاريت/برنستون برقم (١٢٠٧)، (١١٧ - ٦١١) ورقة.

- وعند أيمن سويد نسخة تبدأ من (باب ذكر مذاهب القراء في الوقف على مرسوم الخط إلى آخر الكتاب). (السلاسل الذهبية ٣٧).

(٣) (النشر ٨٩/١)، (غاية النّهاية ٨٣/١)، وأسمه في (السلاسل الذهبية ٣٨) كالذي في النشر.

(٤) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٥) نسيه له في (معجم مصنفات القرآن الكريم ٢٨/٤).

(٦) (غاية النّهاية ٤٣٤/١) وسمّاه: القصيدة المنجدة في القراءات العشر، وفي النشر: (( وهو فرش القصيدة المنجدة))، (٨٣/١)، وذكر محقق كتاب الاختيار في القراءات العشر لسبط الخياط (١٩) أن اسمه: الإيجاز في القراءات السبع، وهو خطأ، والصواب أنه في القراءات العشر، كما ذكر ابن الجزري في النشر، وأن كتاب الإيجاز، هو في فرش القصيدة المنجدة وهي قصيدة في العشر.

(٧) (النشر ٩٧/١)، (غاية النّهاية ١٨٠/١). قلت: اسمه علي تحقيق حسين العواجي هكذا: بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرواة، في القراءات الثلاث عشرة واختيار اليزيدي.

- طبع بتحقيق ودراسة حسين بن محمد العواجي، ط ١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، (١٤٢٩هـ) (١).
- ١٠- **تَبْصِرَةُ الْمُبْتَدِي** لأبي محمد، سبْطُ أَبِي منصور الخَيْطِ، عبد الله بن علي بن أحمد (ت ٥٤١هـ) (٢).
- مخطوط، موجود في امبروزيانا / ميلانو برقم (٦٨)، (١٤٧) ورقة (٣).
- ١١- **التَّبْصِرَةُ** لأبي محمد، القَيْسِي، مَكِّي بن أبي طالب بن حمّوش (٤) (ت ٤٣٧هـ) (٥).
- طبع بتحقيق محمد محيي الدين رمضان، الكويت (١٤٠٥هـ).
- طبع بتحقيق محمد غوث الندوي، ط ١، نشر الدار السلفية الهند، (١٤٠٢هـ).
- طبع بمراجعة، وتعليق جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا (٦).
- ١٢- **التَّجْرِيد** لأبي القاسم، ابن الفَحَّام، عبد الرحمن بن عتيق بن خلف (ت ٥١٦هـ) (٧).
- طبع بتحقيق ضاري الدوري، ط ١، دار عمار، عمان، الأردن (١٤٢٢هـ).
- حققه مسعود أحمد إلياس، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية (١٤٠٨هـ)، (ولم يُطَبِّع تحقيقه فيما أعلم).
- ١٣- **التَّنْكَارُ فِي الْقَرَاءَاتِ الْعَشْرِ** لأبي الفتح، ابن شَيْطَا، عبد الواحد بن الحسين بن أحمد (ت ٤٤٥هـ) (١).

(١) أصله (رسالة ماجستير، قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية) (١٤١٦هـ).

(٢) (النشر ٨٤/١)، وفي (غاية النهاية ٤٣٢/١) اسمه كتاب التبصرة.

(٣) تاريخ كتابتها (٥٨٢هـ)، (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ١/١٠٨)، ==

يتبع  
قلت: ذكر لي بعض من قرأ هذا البحث عن خبر هذا الكتاب بأن له مخطوطة واحدة في العالم، توجد في مكتبة الإمبروزيانا في إيطاليا، وأن بعض الباحثين حصل على صورة منها فنبين له أنها في النحو، وليست في القراءات، وفي موقع (ملتقى أهل التفسير)، و(منتديات القراءات العشر)، أنه قد حققه رحاب محمد مفيد الشقفي، وهي معلومة خاطئة فقد حققت الباحثة كتاب (التبصرة في قراءات الأئمة العشرة)، لعللي بن فارس، وهو كتاب لمؤلف غير المؤلف المذكور هنا.

(٤) (التبصرة، بتحقيق محمد غوث الندوي/١٥٨).

(٥) (النشر ٧٠/١)، (غاية النهاية ٣٠٩/٢).

(٦) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٧) (النشر ٧٥/١)، (غاية النهاية ٣٧٤/١)، (السلاسل الذهبية ٤١)، وسمّاه: كتاب التجريد لبغية المرید في القراءات السبع.

- في حكم المفقود.
- ١٤- التذكرة في القراءات الثمان لأبي الحسن، ابن غلبون، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله (٣٩٩هـ) (٢).
- طبع بدراسة، وتحقيق أيمن رشدي سويد، ط١، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، دار راسم، (١٤١٢هـ) (٣).
- طبع بتحقيق عبد الفتاح بحيري، ط٢، دار الزهراء، (١٤١١هـ).
- ١٥- التكملة المفيدة لحافظ القصيدة لأبي الحسن، القنجاطي، علي بن عمر بن إبراهيم (ت ٧٢٣هـ)، وهي قصيدة زادها على الشاطبية (٤).
- مخطوط، موجود بدار الكتب الوطنية بتونس، ضمن مجموع رقمه (١٤٨٢٦) (٥).
- ١٦- التلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر، الطبري، عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد (ت ٤٧٨هـ) (٦).
- طبع بدراسة، وتحقيق محمد حسن عقيل موسى، ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة (١٤١٢هـ) (٧).
- ١٧- تلخيص العبارات لأبي علي، ابن بليمة، الحسن بن خلف بن عبد الله (ت ٥١٤هـ) (٨).
- طبع بتحقيق سبيع حمزة حاكمي، ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، وبيروت (١٤٠٩هـ) (٩).
- طبع بمراجعة، وتعليق جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا (١٠).

(١) (النشر ١/٨٤)، (غاية النهاية/٤٧٣)، (السلاسل الذهبية/٤٣)، (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/٤١).

(٢) (النشر ١/٧٣)، (غاية النهاية/٣٣٩)، (السلاسل الذهبية/٤٤).

(٣) أصله رسالة ماجستير (١٤١١هـ) للباحث نفسه، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٤) (النشر ١/٩٧)، (غاية النهاية/٥٥٧).

(٥) أشار إليه كتاب (الجمع بالقراءات المتواترة/٤١٢)، وكتاب (الإمام أبو القاسم الشاطبي/٢٠٢).

قلت: عرفت مكان وجوده عن طريق السالم محمد محمود، محقق كتاب النشر، فجزاه الله خيراً.

(٦) (النشر ١/٧٧)، (غاية النهاية/٤٠١)، (السلاسل الذهبية/٤٨).

(٧) أصله رسالة ماجستير (١٤١٢هـ)، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٨) (النشر ١/٧٢)، (غاية النهاية/٢١١)، (السلاسل الذهبية/٤٦) وسماه: كتاب تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع.

(٩) وهي طبعة رديئة، سقط منها (٣٦٠) كلمة، من أصل النص في مواضع عدة. (السلاسل الذهبية/٤٦).

(١٠) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

١٨ - التيسير، لأبي عمرو، الداني، عثمان بن سعيد بن عمر (ت ٤٤٤ هـ)

(١)

- طبع بتحقيق المستشرق أو توبريزل، ط ١، جمعية المستشرقين الألمانية، مطبعة الدولة، إستانبول (١٩٣٠ م).
- أعادت نشره بالأوفيست مكتبة المثنى سنة (١٩٦٥ م) (٢).
- طبع بتحقيق حاتم بن صالح الضامن، ط ١، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة (١٤٢٩ هـ).
- طبع تحت عنوان مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار، بتحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٠ هـ).
- حققه خلف الشغدلي، (رسالة ماجستير، قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية (١٤٢١ هـ)، ولم يُطبع تحقيقه فيما أعلم).

(١) (النشر ٥٨/١)، وسمّاه في (غاية النهاية ٥٠٣/١) كتاب التيسير. وعلی الطبعة التي بتحقيق حاتم الضامن: التيسير في القراءات السبع، وفي (السلاسل الذهبية/٥٠) اسمه: كتاب التيسير لحفظ مذاهب القراء السبعة.  
(٢) (معجم الدراسات القرآنية/٤٢٩).

- ١٩- **الجامع في العشر<sup>(١)</sup> وقراءة الأعمش<sup>(٢)</sup> لأبي الحسين، الفارسي،**  
 نصر بن عبد العزيز بن أحمد (ت ٤٦١هـ).  
 - مخطوط موجود، منه نسخة في دار الكتب الظاهرية، من القرن  
 التاسع، برقم (٤٤٢٥)، عدد أوراقها (٨) (٣).
- ٢٠- **الجامع في القراءات العشر لأبي الحسن، الخياط، علي بن محمد بن**  
 فارس، (ت ٤٥٢هـ) (٤).  
 - طبع بتحقيق أيمن سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن  
 الكريم، بجدّة (٥).
- ٢١- **جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو، الداني، عثمان بن**  
 سعيد بن عمر (ت ٤٤٤هـ) (٦).  
 - طبع بتحقيق محمد صدوق الجزائري، ط ١، منشورات دار الكتب  
 العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ) (٧).  
 - طبع بتحقيق عبد الرحيم الطرهوني، يحيى مراد، ط ١، دار الحديث،  
 القاهرة (١٤٢٧هـ) (٨).  
 - طبع بتحقيق محمد كمال عتيك، تركيا (١٤٢٠هـ) (٩).  
 - طبع بتحقيق عبد المهيم طحان، وزملائه، ط ١، جامعة الشارقة،  
 الإمارات، (١٤٢٨هـ).

(١) كذا اسمه في (النشر ٧٥/١).  
 (٢) (غاية النهاية ٣٣٦/٢)، وفي (السلاسل الذهبية/٥٦)، اسمه: كتاب الجامع في القراءات  
 العشر، وقراءة الأعمش، وابن محبصن.  
 (٣) أخبار هذا المخطوط في (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ٣٤٨/١)، وفي  
 (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ٨٧/١)،  
 قلت: كلاهما الفهرسين يذكر أنه (ثمانية) أوراق، ويبدو أن في أوراقه نقصاً، بسبب هذا  
 العدد القليل، وقال عنه أيمن سويد في السلاسل الذهبية: ((له نسخة خطية في مكتبة نور  
 عثمانية رقم (٥٢/٢) استانبول)).  
 (٤) (النشر ٨٤/١)، وفي (غاية النهاية ٥٧٥/١) اسمه: الجامع في القراءات العشر، وقراءة  
 الأعمش، واسمه في (السلاسل الذهبية/٥٤) كما في النشر،  
 - قلت: وللمؤلف أيضاً كتاب آخر باسم: التبصرة في قراءات الأئمة العشرة، درسته  
 وحققه رحاب محمد مفيد الشقفي، وقد سبق التنويه في ترجمة (١٠) من هذا البحث بأنه  
 ليس تبصرة المبتدي لسبط الخياط.  
 (٥) (السلاسل الذهبية/٥٤).  
 (٦) (النشر ٦١/١)، (غاية النهاية ٥٠٣/١)، وقد حققه حاتم الضامن تحت عنوان: جامع البيان  
 في القراءات السبع المشهورة، و(اسمه في السلاسل الذهبية/٥٢)، كما في النشر.  
 (٧) قال عنه صاحب (السلاسل الذهبية/٥٢): ((تحقيقه ضعيف)).  
 (٨) قلت: هو مطبوع في مجلدين، وقد تصفحته فوجدت فيه كثيراً من الأخطاء الإملائية  
 (٩) قال في (السلاسل الذهبية/٥٢): ((تحقيقه ضعيف)). قلت: خبر تحقيقه مذكور في (دليل  
 كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ/٣١٥).



- أصله رسائل علمية لعبد المهيم عبد السلام الطحان، من (أول الكتاب، إلى فرش الحروف، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، كلية الشريعة فرع الكتاب والسنة، جامعة أم القرى).
- وظلحة ملا من (فرش الحروف إلى نهاية الأنعام)، وسامي عمر الصبّة، من (بداية الأعراف إلى نهاية سورة القصص).
- وخالد علي بن عبدان الغامدي (من أول العنكبوت إلى نهاية الكتاب)، (قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة (١٤١٥هـ)، (١).
- ٢٢- **جَمَالُ الْفُرَّاءِ، وَكَمَالُ الْإِقْرَاءِ** لأبي الحسن، السَّخَاوِي، علي بن محمّد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣هـ) (٢).
- طبع بتحقيق علي حسين البواب، ط ١، مكتبة التراث، مكة المكرمة، مطبعة المدني بالقاهرة (١٤٠٨هـ) (٣).
- طبع بتحقيق عبد الحق عبد الدائم سيف القاضي، ط ١، مؤسّسة الكتب الثقافية، بيروت (١٤١٩هـ) (٤).
- طبع بتحقيق، وتعليق، عبد الكريم الزبيدي، ط ١، دار البلاغة، بيروت (١٤١٣هـ) (٥).
- طبع بتحقيق مروان الظفيري، دار المأمون، دمشق (١٩٨٥م) (٦).
- ٢٣- **جَمْعُ الْأَصُولِ فِي مَشْهُورِ الْمَنْقُولِ** لأبي الحسن، الدِّيَوَانِي، علي بن أبي محمّد بن أبي سعد (ت ٧٤٣هـ)، وهو قصيدة لامية، نظم فيها الإرشاد لابن غلبون في القراءات السبع (٧).
- سجّله ليحقّقه مهدي دهيم (رسالة دكتوراه، قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية) (١٤٢٩هـ) (١)، (ولم ينته منه بعد).

(١) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية).

(٢) (النشر/٩٧)، (غاية النّهاية ٥٦٨/١).

(٣) (جمال القراء وكمال الإقراء/١١-١٣).

(٤) أصل هذا التحقيق، كان لجزء منه (من أوله إلى نهاية الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ) رسالة دكتوراه، من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، (١٤١٠هـ).

(٥) معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

(٦) طبع على نفقة أبناء سمو الشيخ حمدان بن محمد بن خليفة آل نهيان -رحمه الله-، عام (١٩٨٥م)، في مجلدين كبيرين في نحو (١٢٠٠) صفحة. معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير)، بتصرف.

(٧) (النشر/٩٤)، (غاية النّهاية ٥٨٠/١).

- ٢٤- **الجَوْهَرُ النَّضِيدُ فِي شَرْحِ الْقَصِيدِ لِأَبِي بَكْرٍ، ابْنِ الْجُنْدِيِّ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُدَيْ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت ٧٦٩هـ)، وَهُوَ شَرْحٌ لِلشَّاطِئِيَّةِ (٢).**
- حَقَّقَهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مُحَمَّدٌ كَامِلٌ مِنْ (أَوَّلِهِ إِلَى بَابِ الْإِدْغَامِ الْكَبِيرِ)، (وَلَمْ يُطَبِّعْ تَحْقِيقَهُ فِيمَا أَعْلَمَ).
  - سَجَّلَهُ لِحَقِّقِهِ كَذَلِكَ خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِسْحَاقُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، مِنْ (أَوَّلِ الْهَمْزَتَيْنِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، إِلَى أَوَّلِ بَابِ الْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَبَيْنَ اللَّفْظَيْنِ). وَمُحَمَّدُ بْنُ مَحْفُوظِ بْنِ مُحَمَّدِ الشَّنْقِيطِيِّ، مِنْ أَوَّلِ بَابِ الْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَبَيْنَ اللَّفْظَيْنِ إِلَى نَهَايَةِ الْأَصُولِ.
  - وَعَبْدُ اللَّهِ بَرْنَائِيُّ، مِنْ (فَرَشِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَامِلَةً)، وَهَذِهِ الرَّسَائِلُ الْأَرْبَعُ كُلُّهَا (رِسَائِلُ دَكْتُورَاهِ، قَسَمِ الْقِرَاءَاتِ، كَلِيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ)، (١٤٢٨هـ)، (وَلَمْ يَنْتَهَ تَحْقِيقُهُمْ لَهُ بَعْدَ). وَعَبْدُ اللَّهِ سَالِمُ الْبَلُوشِيِّ، مِنْ (أَوَّلِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ).
  - وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسِينِ بَرَهْجِيِّ، مِنْ (أَوَّلِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ إِلَى نَهَايَةِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ).
  - وَعَبْدُ الْكَرِيمِ الْمَيْمُونِيُّ، مِنْ (أَوَّلِ سُورَةِ التَّوْبَةِ إِلَى نَهَايَةِ سُورَةِ الْحَجْرِ)، (١٤٢٩هـ)، (وَهَذِهِ الرَّسَائِلُ الثَّلَاثُ كَالسَّابِقَةِ، لَمْ تَنْتَهَ بَعْدَ).
- ٢٥- **الدَّرَّةُ الْفَرِيدَةُ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ لِأَبِي يُوسُفَ، الْهَمْدَانِيِّ، الْمُنْتَجَبِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ رَشِيدٍ (ت ٦٣٤هـ)، وَهُوَ شَرْحٌ لِلشَّاطِئِيَّةِ (٣).**

(١) أَخْبَارُ هَذَا الْمَخْطُوطِ تَوْجَدَ فِي (فَهْرَسِ مَخْطُوطَاتِ دَارِ الْكُتُبِ الظَّاهِرِيَّةِ ٣٤٩/١) فَمَا بَعْدَهَا، (وَمَعْجَمِ مَصْنَفَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٥٧/٤).

(٢) (غَايَةُ النَّهْيَةِ ١٨٠/١)، لَمْ يَذْكَرْ لَهُ ابْنُ الْجَزْرِيِّ فِي النَّشْرِ اسْمًا (٦٤/١)، وَأَثْبَتَ اسْمَهُ مِنَ الْفَهْرَسِ الشَّامِلِ (٢٨٩/١).

(٣) كَذَا عُنْوَانُهُ فِي (غَايَةُ النَّهْيَةِ ٣١٠/٢)، وَلَمْ يَذْكَرْ لَهُ ابْنُ الْجَزْرِيِّ فِي (النَّشْرِ اسْمًا (٦٣/١)، وَفِي (غَايَةُ النَّهْيَةِ) اسْمَ وَالِدِ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ يَعْقُوبَ بْنِ أَبِي الْعَزَّازِ بْنِ رَشِيدٍ.

- مخطوط، موجود منه نسخة في دار الكتب المصرية في جزأين، (٢٨١-٤١٤) ورقة (١).
- ٢٦- الدرُّ النَّثِيرُ وَالْعَدْبُ النَّمِيرُ لأبي محمد، المألقي، عبد الواحد بن محمد بن أبي السّداد (ت ٧٠٥هـ)، وهو في شرح مشكلات وحلّ مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير (٢).
- طبع بتحقيق ودراسة أحمد عبد الله أحمد المقري، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار الفنون للطباعة، (١٤١١هـ) (٣).
- طبع بتحقيق وتعليق عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد عيسى المعصراني، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ).
- ٢٧- الرَّوْضَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْإِحْدَى عَشْرَةَ لأبي علي، المألقي، الحسن بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٣٨هـ) (٤).
- طبع بدراسة وتحقيق مصطفى عدنان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (١٤٢٤هـ) (٥).
- حقق نبيل آل إسماعيل منه (قسم الأسانيد والأصول)، (رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض (١٤١٥هـ)، ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٢٨- الرَّوْضَةُ لأبي إسماعيل، المَعْدَل، موسى بن الحسين بن إسماعيل (١).

(١) أخبار هذا المخطوط توجد في (فهرس دار الكتب المصرية/٨٣)، وكذلك في (فهرس المصنوعات بمركز البحث العلمي وإحياء التراث/٢٣١)، وذكر له نسختين، إحداهما ميكروفيلمية مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٣٨٥، (٢٧٦) ورقة، والثانية تحت رقم (٣٨٩/٢٨٨) مغاربة (٣٥٣) ورقة - وأيضاً أخباره في (فهرس علوم القرآن بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الجزء الثاني -١٥٧، ١٥٨/).

- وكذلك (معجم مصنفات القرآن الكريم ٧٣/٤)، و(معجم الدراسات القرآنية/٤٨٩)، و(أعلام الدراسات القرآنية لمصطفى/٢٢٢) وفي (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي/٢٠٠/١) أن له تسع نسخ، وفي (فهرس الجامعة الإسلامية أن له ثلاث نسخ (١٣٦٧-١٣٦٨).

(٢) لم يذكر له ابن الجزري في (النشر اسما ٦٠/١)، وقال: وأخبرني بشرحه (...). وكذلك لم يذكر له في (غاية النهاية ٤٧٧/٢ اسماً، وقال: (شرح كتاب التيسير شرحاً حسناً). وقد أنبت اسمه كما جاء على طبعة أحمد عبد الله المقري.

(٣) أصله رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، (١٤١٠هـ).

(٤) وفي (النشر/٧٤)، وهي قراءات العشرة المشهورة وقراءة الأعمش، (غاية النهاية/٢٣٠/١)، وفي (السلاسل الذهبية/٥٩) اسمه: كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة القراءات العشر، وقراءة الأعمش.

(٥) رسالة دكتوراه، من بغداد.

- درسها، وحقّقها عاصم جنيد الله قارئ، أثناء دراسته العليا (رسالة ماجستير قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلاميّة) (٢). (ولم يُطَبِّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٢٩- الرَّوْضَةُ لِأَبِي عَمْرٍ، الطَّلْمَنَكِيُّ، أَحْمَدُ (٣) بن عبد الله بن لب (ت ٤٢٩ هـ) (٤).
- في حكم المفقودة.
- ٣٠- رَوْضَةُ الْقَرِيرِ (٥) فِي الْخَلْفِ بَيْنَ الْإِرْشَادِ، وَالتَّيْسِيرِ لِأَبِي الْحَسَنِ، الدِّيَوَانِيِّ، عَلِيِّ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَعْدٍ (ت ٧٤٣ هـ) (٦)، وهي قصيدة جمع فيها زوائد الإرشاد، والتيسير.
- سَجَلُ النَّظْمِ، مع شرحه ليدرسه، ويحقّقه عبد العزيز بن سليمان المزيني، (رسالة دكتوراه، قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٨ هـ)، (ولم ينته منه بعد).
- ٣١- السَّبْعَةُ لِأَبِي بَكْرٍ، ابْنِ مُجَاهِدٍ، أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْعَبَّاسِ (ت ٣٢٤ هـ)، (٧).
- طُبِعَ بِتَحْقِيقِ شَوْقِيِّ ضَيْفٍ، ط٢، دار المعارف، القاهرة.
- طُبِعَ بِمِرَاجَعَةٍ، وَتَعْلِيقِ جَمَالِ مُحَمَّدٍ شَرْفٍ، ط١، دار الصّحابة للتراث، طنطا، ١٤٢٨ هـ (٨).

(١) (النشر ٧٩/١)، (غاية النّهاية ٣١٩/٢)، وفي (السلاسل الذهبية/٦١) تاريخ وفاته هو (ت ٤٧٧ هـ)، وسمّاه: كتاب روضة الحفاظ، بنهذيب الألفاظ في اختلاف الأئمة الغرر القراءة الخمسة عشر، تعرف بـ(روضة المعدل).

(٢) (دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية/٤٧٧)، قلت: قد صرّح محققها بطبعها لموقع (منتديات القراءات العشر).

(٣) في (غاية النّهاية أحمد بن محمد ١٢٠/١).

(٤) (النشر ٧١/١)، وفي (السلاسل الذهبية/٥٨) وسمّاه: كتاب الروضة في القراءات السبع.

(٥) في (غاية النّهاية ٥٨٠/١) روضة التقرير.

(٦) (النشر ٩٥/١)، (غاية النّهاية ٥٨٠/١). قلت: أخبار هذه المنظومة في (فهرس القراءات القرآنية، الجامعة الإسلامية/١٩٢). وموقع (ملتقى أهل التفسير).

وأيضاً: فإنّ لهذه المنظومة شرحاً تحت عنوان: شرح روضة القرير في الخلف بين الإرشاد والتيسير، وهو مخطوط وأخبره في (معجم مصنفات القرآن الكريم ٨٩/٤)، (ومعجم الدراسات القرآنية/٥٠٨).

قلت: وقد سجّل هذا الشرح من قبل مجموعة من الطالبات، في جامعة أمّ القرى، بمكة، وهي معلومة مستقاة من (منتديات القراءات العشر).

(٧) (النشر ٨١/١)، (غاية النّهاية/١٣٩)، (السلاسل الذهبية/٦٢).

(٨) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

- ٣٢- السُرْعَةُ (١) في القِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ لأبي القاسم، ابن البارزي، هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم (ت ٧٣٨هـ)، وهو تأليف في أصول القراءات السبع بدون فرش الحروف (٢).
- مخطوط، موجود منه نسخة في المكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم (٢٧٨)، تقع في (٢٩) ورقة (٣).
- ٣٣- شَرْحُ الشَّاطِئِيَّةِ لأبي العباس، المقدسي، أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جبارة (ت ٧٢٨هـ) (٤).

(١) قلت: ورد هكذا اسمه في مقدمة كتاب النشر المطبوع، وكذلك في المحقق رسالة علمية، وتسميته (السرعة) بالسين، تحريف، وقد صححه محقق كتاب النشر (الرسالة العلمية)، وسماه (السرعة)، (٥٢٧)،

وهو بهذا الاسم (السرعة) في فهرس دار الكتب المصرية، (١٥٥/١)، و(معجم الدراسات القرآنية) (٥٠٥/١)، وفي (أعلام الدراسات القرآنية) (٢٤٩/١) وسماه: السرعة في القراءات السبعة، وذكر أنه: في مكتبة بلدية إسكندرية، ومعه نسخة أخرى هي شرح له في مجلد مكتوبة بقلم عادي سنة (٧٣٦هـ)، وهو بهذا الاسم بالسين في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي) (٢٧٤/١) وسماه: السرعة في القراءات السبعة.

(٢) (غاية النهاية) (٣٥١/٢)، (النشر) (٩٦/١)، قال عنه: ((كتاب حسن في بابه بديع الترتيب جميعه أبواب لم يذكر فيه فرشاً بل ذكر الفرش في أبواب أصولية)).

(٣) منسوخة سنة (٧١٣هـ)، ومنها نسخة في دار الكتب المصرية رقم (٤١٧٧). (معجم مصنفات القرآن الكريم) (٩٩/٤).

وفي (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي) (٢٧٤/١) له نسخة أخرى بنفس المكتبة (٣٥٧٤/٣) ج، ضمن مجموع، تاريخ الكتابة (٧٣٦هـ).

وفي (أعلام الدراسات القرآنية) اسمه: المفيد في شرح القصيد/ (٢٤٥)، نسخة كتبت في عهد المؤلف وقرئت عليه.. مؤرخة سنة (٨٠٧هـ)، البلدية (١٥٢٩-ب). (٢٩٠ق).

(٤) لم يذكر له ابن الجزري في النشر (٦٤/١) اسماً، وأثبت اسمه من (غاية النهاية) (١٢٢/١)

- مخطوط، موجود (١) منه نسخة في بلدية الإسكندرية، بمصر رقم (١٥٢٩) - ب - (٢٩٠) ق (٢).
- ٣٤- الشَّاطِيبِيَّة لأبي القاسم، الشَّاطِيبِي، القاسم بن فيرُّه بن خلف (ت ٥٩٠هـ)، وهي نظم (٣).
- طُبعت بضبط، وتصحيح، ومراجعة محمَّد تميم الزعبي، ط ٤، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة (١٤٢٥هـ) (٤).
- ٣٥- الشَّمْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ لأبي عبد الله، شُعْلَةُ الْمُؤَصِّلِي، محمَّد بن أحمد بن محمَّد (ت ٦٥٦هـ)، وهي نظم (٥).
- في حكم المفقودة.
- ٣٦- عَقْدُ اللَّالِي فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ الْعَوَالِي لأبي حَيَّان، الأندلسي، محمَّد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ)، وهو قصيدة لأميَّة في القراءات السَّبْع، خالية من الرُّموز، على وزن الشَّاطِيبِيَّة (٦).
- سجَّله ليديرسه، ويحقِّقه، ويشرحه معاذ بن إبراهيم بن محمَّد نور سيف (رسالة دكتوراه، قسم القراءات كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلاميَّة (١٤٢٩هـ)، (ولم ينته منه بعد).

- (١) (معجم الدراسات القرآنية/٥٥١)، وسمَّاه المفيد في شرح القصيد، (كتاب الإمام أبو القاسم الشاطبي/١٦٨).
- (٢) معهد المخطوطات رقم (٨٨). (أعلام الدراسات القرآنية/٢٤٥).
- (٣) (النشر ٦١/١)، (غاية النِّهَايَة ٢٠/٢)، وعلى الطبعة التي بتحقيق محمد تميم الزعبي، اسمه: متن الشَّاطِيبِيَّة المسمى حرز الأمانتي ووجه التَّهَانِي فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْع، وفي (السلاسل الذهبية/٢٣) كما في النشر.
- (٤) قلت: لها طبعات أخرى منشورة، منها تحقيق علي محمد الضباع، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (١٣٥٥هـ)، وطبعة مكتبة دار المطبوعات الحديثة في المدينة المنورة سنة (١٤٠٩هـ)، وطبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، بتصحيح وتعليق محمد عبد الدايم خميس سنة (١٤١٢) هـ، وطبعة مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة بالرياض دون تاريخ، ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة في القراءات والرسم والآي والتجويد، كما طبعت عدة مرات في الهند سنة (١٢٧٨هـ)، وفي مصر سنة (١٣٠٢) هـ، وفي مصر سنة (١٣٠٨هـ)، وفي المطبعة الكريمة بقران، روسيا، سنة (١٣٢٥هـ)، وطُبعت مع تقريب النفع في القراءات السبع لعلي بن محمد الضباع. معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).
- (٥) اسمه في (النشر بتحقيق علي الضباع ٩٤/١)، الشفعة، وهو تحريف، والصواب أنه (الشَّمْعَةُ)، وفي (غاية النِّهَايَة ٨٠/٢) اسمه: الشَّمْعَةُ فِي قِرَاءَاتِ السَّبْع، وسمَّاه حاجي خليفة في (كشف الظنون ١٠٦٥/٢): الشَّمْعَةُ الْمُضِيَّةُ بِنَشْرِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ الْمَرْضِيَّة، وكذلك في كتاب (الإمام أبو القاسم الشاطبي/٢١٥).
- (٦) (النشر ٩٥/١)، (غاية النِّهَايَة ٢٨٥/٢)، وأخباره في (معجم مصنفات القرآن الكريم/١٠٦/٤).
- ملاحظة: لهذا النِّظْم شرح للنظام نفسه اسمه: (نكت الأمالي)، منه نسخة في مكتبة عشيرة شرف الملك - المكتبة المحمدية حالياً - بمدينة مدراس بالهند برقم (٧/١). (معجم مصنفات القرآن الكريم/١٠٦/٤).

- ٣٧- العُنْوَان لأبي طاهر، الأَنْصَارِي، إِسْمَاعِيل بن خَلْف بن سعيد (٤٥٥هـ) (١).
- طُبِعَ بِتَحْقِيقِ، وَتَقْدِيمِ زَهِيرِ زَاهِدٍ، وَخَلِيلِ الْعَطِيَّةِ، ط ٢، عَالَمِ الْكُتُبِ، بِيْرُوت (١٤٠٦هـ) (٢).
- طُبِعَ بِدِرَاسَةِ وَتَحْقِيقِ خَالِدِ حَسَنِ أَبُو الْجُودِ، ط ١، دَارِ الْبَخَارِيِّ، بِمِصْرَ، (٢٠٠٨م) (٣).

(١) (النشر ١/٦٤)، (غاية النّهاية ١/١٦٤)، وسمّاه في (السلاسل الذهبية/٦٤) كتاب العنوان في القراءات السبع، وهو الذي على الطبعة التي بتحقيق زهير زاهد، و خليل العطية.

(٢) قال أيمن سويد عن هذه الطبعة: ((رديئة)). (السلاسل الذهبية/٦٤).

(٣) وقد صرح المحقق بأنه حققه على خمس نسخ مخطوطة، وأنه تمّ تصحيح أخطاء الطبعة الأولى كاملة، وإضافة الأجزاء الناقصة من الطبعة الأولى، وأنه وضع أرقام صفحات الطبعة الأولى في حواشي الصفحات، وأنه قد أضاف أسانيد المؤلف من كتاب الاكتفاء كما أراد مؤلفه، وذلك في هامش الكتاب. معلومة مستقاة من (موقع أهل التفسير).

- درسه، وحققه عبد المهيمن عبد السلام طحان، (رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى) (١)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٣٨- **غاية الاختصار** لأبي العلاء، الهمداني، الحسن بن أحمد بن الحسن (ت ٥٦٩هـ) (٢).
- طُبِعَ بتحقيق، ودراسة أشرف محمد فؤاد طلعت، ط ١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة (١٤١٤هـ).
- حَقَّقَهُ، ودرسه أمين محمد أحمد الشيخ، (رسالة ماجستير، قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية (١٤١٤هـ)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه بعد).
- ٣٩- **الغاية** لأبي بكر، الأصبهاني، أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ) (٣).
- طُبِعَ بتحقيق سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، وأعدت طبعه دار القبلة بجدة، (١٤٠٧هـ) (٤).
- طُبِعَ بدارسة، وتحقيق محمد غياث الجنباز، ط ١، شركة العبيكان، (١٤٠٥هـ).
- طُبِعَ ثانية بدارسة، وتحقيق محمد غياث الجنباز، بعنوان: (الغاية في القراءات العشر، يليه باب في الاستعاذة، والتسمية، وإمالات قتيبة عن الكسائي)، بتقديم أحمد علم الدين، ومصطفى مسلم، ط ٢، دار الشواف للنشر، والتوزيع، الرياض، (١٤١١هـ).
- حَقَّقَهُ رسالة علمية صبغة الله محمد شفيع رسول، بعنوان: (ابن مهران المقرئ ودوره في القراءات، مع تحقيق، ودراسة كتابه الغاية في القراءات العشر واختيار أبي حاتم)، (رسالة ماجستير، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية (١٤٠٧هـ)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٤٠- **غاية المطلوب في قراءة يعقوب**، لأبي حيَّان، الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ)، وهو نظم لكتابه المطلوب في قراءة يعقوب (٥).

(١) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية)، و(السلاسل الذهبية/السابق).

(٢) كذا في (النشر ٨٧/١)، واسمه في (غاية النهاية ٢٠٤/١) الغاية في القراءات العشر. وفي (السلاسل الذهبية/٦٦) اسمه: كتاب غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار.

(٣) (النشر ٨٩/١)، اسمه في (غاية النهاية ٤٩/١) الغاية في العشر، واسمه في (السلاسل الذهبية ٦٨/) كتاب الغاية في القراءات العشر، واختيار أبي حاتم السجستاني.

(٤) (السلاسل الذهبية/٦٨).

(٥) كذا في (النشر ٩٥/١)، و(منهج ابن الجزري في كتاب النشر، وتحقيق قسم الأصول منه ٢٥٦/). ولم يذكر له في (غاية النهاية اسما ٢٨٦/٢)،



- في حكم المفقود.
- ٤١- **فَتْحُ الوَصِيدِ فِي شَرْحِ القَصِيدِ** لأبي الحسن، السَّخَاوِي، علي بن محمد بن عبد الصمد، (ت ٦٤٣ هـ)، وهو شرح للشاطبية<sup>(١)</sup>.
- طُبِعَ بتحقيق مولاي محمد الإدريسي الطاهري، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٣ هـ)<sup>(٢)</sup>.
- طُبِعَ بتحقيق أحمد عدنان الزعبي، ط ١، مكتبة دار البيان، الكويت (١٤٢٣ هـ).
- طُبِعَ بمراجعة، وتعليق جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا<sup>(٣)</sup>.
- طُبِعَ بتحقيق الخرافي، دار البيان، الكويت<sup>(٤)</sup>.

---

(١) لم يذكر له في (النشر اسما ٦٣/١)، قلت: أثبت اسمه في النص كما في (غاية النهاية ٥٦٨/١)، وما جاء على طبعة مولاي الإدريسي.

(٢) قلت: في (معجم الدراسات القرآنية ٤٣٨/٤) أنه مطبوع، ولم تذكر الباحثة بقية أخبار هذه الطبعة.

(٣) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٤) هذه المعلومة مستقاة من موقع (ملتقى أهل التفسير).

- ٤٢ - **القاصد** لأبي القاسم، الخَزْرَجِي، عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد (ت ٤٤٦ هـ) <sup>(١)</sup>.
- في حكم المفقود.
- ٤٣ - **القصيدة الحُصْرِيَّة في قِرَاءَةِ نافع** لأبي الحسن، الحُصْرِي، علي بن عبد الغني (٤٨٨ هـ)، وهي قصيدة رائية في قراءة نافع <sup>(٢)</sup>.
- طُبعت بتحقيق توفيق بن أحمد العبقرى، ط ١، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، (١٤٢٣ هـ).
- ٤٤ - **الكافي** لأبي عبد الله، ابن شريح، محمد بن شريح بن أحمد (ت ٤٧٦ هـ) <sup>(٣)</sup>.
- طبع بهامش كتاب المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، للنشار، ط ٢، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، مصر، (١٣٧٩ هـ).
- طبع بتحقيق أحمد محمود عبد السمیع، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢١ هـ).
- طبع بالمطبعة الميمنية، (١٣٢٦ هـ)، مصر <sup>(٤)</sup>.
- حققته إيمان صالح مهدي عباس (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد)، (١٤١٧ هـ) <sup>(٥)</sup>.

(١) (النشر ٧١/١)، (غاية النّهاية ٣٦٧/١)، وفي (السلاسل الذهبية/٧٠) اسمه كتاب القاصد في القراءات السبع، وكذا في (معجم مصنفات القرآن الكريم ١٢١/٤).

(٢) (النشر ٩٦/١)، (غاية النّهاية ٥٥٠/١).

(٣) (النشر ٦٧/١)، (غاية النّهاية ١٥٣/٢)، وفي (السلاسل الذهبية/٧١) اسمه: كتاب الكافي في القراءات السبع.

(٤) (معجم الدراسات القرآنية/٤٤١)، ولا يوجد فيه اسم محقق الكتاب.

(٥) معلومة مستقاة من موقع (دولة الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة شؤون القرآن الكريم).

- حققه سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، (رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة، جامعة أم القرى) (١)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٤٥ - **الكامل في القراءات الخمسين، القراءات العشر، والأربعين الزائدة عليها** لأبي القاسم، الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة (ت ٤٦٥ هـ) (٢).
- طُبِعَ بتحقيق، وتعليق جمال بن السيد رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر، والتوزيع، ط ١، (١٤٢٨ هـ).
- حققه عذاب الحمش، ولم يُتِمَّه بعد (٣)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- حقق قسم فرش الحروف، مع توجيه القراءات فوق السبع منه أيمن سويد، (١٤٢٠ هـ)، كما أنه يقوم بتحقيق القسم الأول منه (٤)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- حقق كتاب العدد منه عمار أمين الددو، ومصطفى عدنان محمد سلمان، مجلة الشريعة بجامعة الإمارات، عدد (٢٥).
- حقق كتاب الوقف والابتداء منه عمار أمين الددو، مجلة كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات، عدد (٣٤).
- يعمل على دراسته، وتحقيقه كاملاً باحث من كلية القرآن الكريم، بطنطا، جمهورية مصر العربية (٥)، (ولم يُطَبَّع هذا التحقيق فيما أعلم).

(١) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية).

(٢) (النشر ٩١/١)، (غاية النهاية ٣٩٧/٢)، (السلاسل الذهبية ٧٢/٧٢). (الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه/١٢٤).

(٣) معلومة مستقاة من (موقع أهل التفسير).

(٤) (السلاسل الذهبية/٧٢).

(٥) كما جاء في قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه بكلية القرآن الكريم بطنطا، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير).

- ٤٦ - الكفائية<sup>(١)</sup> لأبي محمد، سبط أبي منصور الخياط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت ٥٤١هـ)<sup>(٢)</sup>.
- حققه سمير معبر، لندن<sup>(٣)</sup>.
- ٤٧ - الكفائية في القراءات العشر لأبي محمد، الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه هبة الله (ت ٧٤٠هـ)، وهو نظم<sup>(٤)</sup>.
- في حكم المفقود.
- ٤٨ - الكفائية الكبرى لأبي العز، القلانسبي، محمد بن الحسين بن بُندار (ت ٥٢١هـ)<sup>(٥)</sup>.
- طبع بدراسة، وتحقيق عثمان محمود غزال، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠٧م).
- طبع بمراجعة، وتعليق جمال محمد شرف، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا (٢٠٠٣م).
- درسه، وحققه عبد الله الشثري، (رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، (١٤١٤هـ)، (ولم يُطبع تحقيقه فيما أعلم).
- ٤٩ - الكنز في القراءات العشر لأبي محمد، الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه هبة الله (ت ٧٤٠هـ)<sup>(٦)</sup>.
- طبع بتحقيق هناء الحمصي، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت (١٤١٩هـ).

(١) أخباره في (فهرس الجامعة الإسلامية/٢٧٢)، برقم (١/٤٣٦٧)، مصدرها القاهرة، دار الكتب المصرية، عدد أوراقها (٤١) ورقة، وفي (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ١٠٨/١) له نسخة في طلعت/ القاهرة (١٧٧، ٤٠/٢)، قراءات، ضمن مجموع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج (٣/٢٢٩).

وقال عنه عبد العزيز السبر في تحقيقه لكتاب (الاختيار) لسبط الخياط صفحة (١٩/): (( يوجد للكتاب أي (الكفائية) نسخة في دار الكتب، إلا أن فيها بعض النقص، ولدي مصورتها، وبدأت في تحقيقها، إلا أن النقص والسقط الذي اعتراها منعتني من إتمامها، وحتى تتوفر ويتيسر لي أخرى إن شاء الله تعالى)).

وقال عنه في (السلاسل الذهبية/٧٦): ((له نسختان في مكتبة طلعت، ودار الكتب المصرية)).

قلت عثرت أخيراً على أن هذا الكتاب قد حقق.

(٢) هكذا في (النشر ٨٥/١)، وذكر في (غاية النهاية ٤٣٢/١) أنه في القراءات الست، واسمه: في (السلاسل الذهبية/٧٦) كما في النشر.

(٣) معلومة مستقاة من موقع (دولة الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة شئون القرآن الكريم).

(٤) (النشر ٩٤/١)، (غاية النهاية ٤٢٩/١)، وهو نظم لمؤلف كتاب الكنز، وقد جمع فيه السبعة بين الشاطبية والإرشاد، وهو على طريق الشاطبية، ورويتها.

(٥) (النشر ٨٧/١)، (غاية النهاية ١٢٨/٢)، واسمه: في (السلاسل الذهبية/٧٤) كتاب الكفائية الكبرى في القراءات العشر.

(٦) (النشر ٩٤/١)، (غاية النهاية ٤٢٩/١).

- طبع بتحقيق خالد أحمد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (١٤٢٥هـ)، رسالة دكتوراه (١).
- طبع بمراجعة، وتعليق جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا (٢).
- ٥٠- **كَنْزُ الْمَعَانِي فِي شَرْحِ حِرْزِ الْأَمَانِي وَوَجْهِ النَّهَائِي، فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ لِأَبِي إِسْحَاقَ، الْجَعْفَرِي، إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (ت ٧٣٢هـ)، وَهُوَ شَرْحٌ لِلشَّاطِئِيَّةِ (٣).**
- طبع بتحقيق أحمد الزبيدي، من (أوله إلى نهاية باب ذكر لام هل وبل)، وعنوان كتابه: الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه النهائى، مع تحقيق نموذج من الكنز، دراسة أحمد الزبيدي، ط ١، وزارة الأوقاف، والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية (١٤١٩هـ).
- حققه يوسف محمد شفيح، من (أوله إلى نهاية باب الهمزتين من كلمتين)، (رسالة ماجستير، قسم القراءات، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، ولم يُطبع تحقيقه فيما أعلم).
- حققه أبو هوش إسماعيل أبو طالب، من (بداية فرش سورة البقرة إلى آخر سورة الكهف)، (رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، شعبة أصول اللغة، جامعة الأزهر)، ولم يُطبع تحقيقه فيما أعلم).
- سجله ليحققه عبد الرحيم بن لطف الله العباسي، من (باب إدغام المتماثلين إلى آخر الأصول).
- وأحمد بن عبد الله سليمان، من (بداية فرش سورة مريم إلى نهاية الكتاب)، وكلاهما (رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، (١٤٢٨هـ)، ولم ينتهيا من تحقيقه بعد).
- ٥١- **السُّلَى الْفَرِيدَةُ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، الْفَاسِي، مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ت ٦٥٦هـ)، شَرْحَ الْفَاسِي عَلَى الشَّاطِئِيَّةِ (٤).**
- طبع بتحقيق عبد الرزاق بن علي موسى، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٦هـ).

(١) هذه المعلومة في (دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ/٣١٨).

(٢) قلت: لا توجد فيه نماذج لمخطوطات رجع إليها المحقق.

(٣) لم يسمه في (النشر ١/٦٤)، قلت: ما أثبتته هو الذي في (غاية النهاية ١/٢١)، وكذلك في (دراسة أحمد الزبيدي)، وأخبار هذا الكتاب في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ١/٢٥٥، ٢٧٢).

(٤) كذا اسمه في (غاية النهاية ٢/١٢٢)، ولم يذكر له ابن الجزري في (النشر ١/٦٣ اسما)، وما أثبتته في النص هو الذي على طبعة عبد الرزاق علي موسى.

- حققه عبد الله عبد المجيد نمكاني (رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى)، (١٤٢١هـ) (١). (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٥٢- **المبهبج في القراءات الثمان** لأبي محمّد، سيّط أبي منصور الخياط، عبد الله بن علي بن أحمد (ت ٥٤١هـ) (٢).
- طُبِع بتحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٧هـ).
- حققه عبد العزيز السبر (رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، (١٤٠٥هـ). (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- حققته وفاء بنت عبد الله قزمار (٣) (رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، (١٤٠٥هـ) (٤)، (ولم يُطَبَّع تحقيقها فيما أعلم).
- ٥٣- **المجئبي لأبي القاسم، الطرسوسي**، عبد الجبار بن أحمد بن عمر (ت ٤٢٠هـ) (٥).
- في حكم المفقود.
- ٥٤- **المستتير في القراءات العشر لأبي طاهر**، ابن سوار، أحمد بن علي بن عبيد الله (ت ٤٩٦هـ) (٦).
- طُبِع بدراسة وتحقيق عمار الددو، ط ١، سلسلة الدراسات القرآنية، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، (١٤٢٦هـ).
- طُبِع باعتناء، وتعليق جمال الدين محمّد شرف، الناشر دار الصحابة للتراث، طنطا (٢٠٠٢م) (٧).
- حققه أحمد طاهر أويس، (رسالة دكتوراه من قسم القراءات كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، (١٤١٣هـ)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).

(١) (الرسائل العلمية في قسم الكتاب والسنة، في جامعة أم القرى إلى عام ١٤٢٩هـ/١٥).

(٢) (النشر ٨٣/١)، (غاية النّهاية ٤٣٢/١)، وفي (السلاسل الذهبية/٧٧) اسمه: كتاب المبهبج في القراءات الثمان، وقراءة الأعمش، وابن محيصن، واختيار خلف، واليزيدي. (السلاسل الذهبية/٧٧).

(٣) (السلاسل الذهبية/٧٧).

(٤) معلومة مستقاة من موقع (جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية).

(٥) هكذا اسم الكتاب في (النشر ٧١/١)، و(غاية النّهاية ٣٥٧/١)، و(السلاسل الذهبية/٧٩)، و(معجم مصنفات القرآن الكريم ١٥٠/٤)، وفي (فهرست ابن خير/٢٥) اسمه: الجامع لقراءات الأئمة.

(٦) (النشر ٨٢/١)، وفي (غاية النّهاية ٨٦/١) المستتير في العشر، وفي (السلاسل الذهبية/٨١) اسمه: كتاب المستتير في القراءات العشر، واختيار اليزيدي.

(٧) قلت: لم يذكر محقق هذا الكتاب نسخة حققه عليها.

- ٥٥- **المصباح في القراءات العشر لأبي الكرم، الشَّهْرَزُورِي، المبارك بن الحسن بن أحمد (ت ٥٥٥ هـ) (١).**
- نُشِرَ منه سورة الفاتحة، وسورة البقرة، في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد (٣٣).
  - ومن (سورة يونس إلى الإسراء) في مجلة الدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن، وعلومه، عدد (١).
  - ومن (أول سورة الكهف إلى نهاية سورة النور) في مجلة الدراسات القرآنية السابقة عدد (٢).
  - حَقَّق أبواب الأصول منه إبراهيم بن سعيد الدوسري، (رسالة دكتوراه، قسم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١٤ هـ)، ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
  - طُبِعَ بتحقيق عثمان غزال، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٨ هـ) (٢).
  - طُبِعَ بتحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٩ هـ) (٣).
  - حَقَّق كاملاً بكلية القرآن الكريم بطنطا، جمهورية مصر العربية (٤)، (٤)، ولم يُطَبَّع هذا التحقيق فيما أعلم).
- ٥٦- **المطلوب في قراءة يعقوب لأبي حيان، الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥ هـ) (٥).**
- في حكم المفقود.
- ٥٧- **المفتاح في القراءات العشر لأبي منصور، ابن خَيْرُون، محمد بن عبد الملك بن الحسن (ت ٥٣٩ هـ) (٦).**
- في حكم المفقود.
- ٥٨- **مُفْرَدَة يعقوب لأبي عمرو، الدَّانِي، عثمان بن سعيد بن عمر (ت ٤٤٤ هـ) (١).**

(١) (النشر ٩٠/١)، وفي (غاية النّهاية ٣٨/٢) اسمه: المصباح الزاهر في العشر البواهر، وفي (السلاسل الذهبية/٨٣) اسمه: كتاب المصباح في القراءات العشر البواهر. (٢) وهي طبعة في ثلاثة مجلدات، وجدتها تباع لدى مكتبة كنوز المعرفة، جدة، وقد تصفحتها فلم أجد المحقق رجع إلى نسخ الكتب المخطوطة. (٣) وهي طبعة في مجلدين، محققة على نسخة خطية واحدة، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٣، قراءات (٦٤٦٧) عدد أوراقها (٣٧٥) ورقة. (٤) كما جاء ضمن قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه لهذه الكلية، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير). (٥) كذا في (النشر ٩٥/١)، ولم يذكر له في (غاية النّهاية اسما ٢٨٦/٢)، (منهج ابن الجزري في كتاب النشر، وتحقيق قسم الأصول منه ٢٥٦). (٦) (النشر ٨٦/١)، واسمه في (غاية النّهاية ١٩٢/٢) المفتاح في العشر، وفي (السلاسل الذهبية/٨٥) كما في النشر، (معجم مصنفات القرآن الكريم ١٥٧/٤).

- طُبعت بتحقيق حاتم الضامن ، ط١ ، دار ابن الجوزي، الرياض، (١٤٢٩هـ).
- طُبعت بتحقيق حسين محمّد العواجي، ط١، كنوز إشبيليا، الرياض، (١٤٢٩هـ).
- ٥٩- مُفَرَّدَة يَعْقُوب لأبي القاسم، ابن الفَحَّام، عبد الرحمن بن عتيق بن خلف (ت ٥١٦ هـ) (٢).
- طُبعت بدراسة وتحقيق إيهاب فكري ، وخالد حسن أبو الجود، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، (١٤٢٨هـ).
- حَقَّقَهَا معاذ نور سيف، (رسالة ماجستير قسم القراءات، كلية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلاميّة، (١٤٢٧هـ)، ولم ينته منها بعد).
- حَقَّقَهَا عمار أمين الدّو، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عدد (٥).
- ٦٠- مُفَرَّدَة يَعْقُوب لأبي محمّد، الصّعدي، عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن (ت سنة نيف، و ٦٥٠هـ) (٣).
- مخطوطة، موجودة في أوقاف الموصل، الجليلي، برقم (٢/٤)، (١٨٤) ورقة (٤).
- ٦١- المُفِيد فِي الْقَرَاءَاتِ الثَّمَانِ لأبي عبد الله، الحَضْرَمِي، محمّد بن إبراهيم بن أبي مُشَيْرِح (ت في حدود سنة ٥٦٠هـ) (٥).
- دُرْس، وَحَقَّقَ بِكَلِيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بطنطا، جمهورية مصر العربية (٦)، (ولم يُطَبَّعَ هذا التحقيق فيما أعلم).
- حَقَّقَ رِسَالَةَ جَامِعِيَّةِ، جَامِعَةِ بَغْدَادِ، (٢٠٠٠م) (١)، (ولم يُطَبَّعَ هذا التحقيق فيما أعلم).

(١) (النشر ٦٠/١)، (غاية النّهاية ٥٠٣/١)، (وفي السلاسل الذهبية/٨٧) اسمه: كتاب مفردة يعقوب.

(٢) (النشر ٧٧/١)، (غاية النّهاية ٣٧٤/١)، (السلاسل الذهبية/٨٨).

(٣) (غاية النّهاية ٤٠٠/١) أنّه ألف في القراءات، ولم يذكر له تاريخ وفاة، وقد ذكر تاريخ وفاته ابن الجزري في النشر (٩٨/١).

(٤) تاريخ كتابته (١٢٣٢هـ)، (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ٢٠٢/١).

(٥) قال ابن الجزري عنه: (( وهو كتاب مفيد كاسمه اختصر فيه كتاب التلخيص لأبي معشر الطبري وزاد فوائد)). (النشر ٩٣/١)، وفيه أنّه توفي في حدود سنة (٥٦٠هـ)، ولا يوجد في (غاية النّهاية ٤٦/٢) تاريخ وفاة المؤلف.

ملاحظة: هناك كتاب آخر في القراءات ليس من مصادر النشر اسمه (المفيد)، وهو في القراءات الثمان، ولا زال مخطوطاً ، وهو لأبي جعفر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٥١٦هـ). (المصدر السابق).

(٦) كما جاء ضمن قائمة بأسماء الأبحاث المسجلة في الماجستير والدكتوراه لهذه الكلية، معلومة مستقاة من (ملتقى أهل التفسير)، قلت أخبار هذا الكتاب في (الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي ١١٢/١، ١١٣).



- ٦٢- المفيد في القراءات العشر لأبي نصر، الخبّاز، أحمد بن مسرور بن عبد الوهاب (ت ٤٤٢ هـ) (٢).
- في حكم المفقود .

---

(١) هذه المعلومة ذكرها لي بعض من قرأ هذا البحث، ووجدت كذلك في (ملتقى أهل التفسير)، أنها رسالة ماجستير في كلية التربية، جامعة الأنبار، بالعراق، تقدّم بها الباحث محمد أحمد يوسف الصماتي، بإشراف محمد أمين عواد الكبيسي في شهر محرم (١٤٢١ هـ).

(٢) (النشر ١/٨٤)، وفي (غاية النّهاية ١/١٣٧) المفيد في القراءات، وفي (معجم مصنفات القرآن الكريم ٤/١٥٩) اسمه: المفيد في القراءات العشر.

- ٦٣- **الْمُنْتَهَى فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَ لِأَبِي الْفَضْلِ، الْخَزَاعِي، مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ (ت ٤٠٨ هـ) (١).**
- درسه وحققه محمد شفاعت ربّاني، (رسالة دكتوراه، قسم القراءات، بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، (١٤١٥ هـ)، ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٦٤- **الْمُهَذَّبُ فِي الْعَشْرِ لِأَبِي مَنْصُورٍ، الْخِيَّاطُ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٤٩٩ هـ) (٢).**
- في حكم المفقود.
- ٦٥- **الْمَوْضُوحُ لِأَبِي مَنْصُورٍ، ابْنِ خَيْرُونَ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَسَنِ (ت ٥٣٩ هـ) (٣).**
- في حكم المفقود.
- ٦٦- **التَّوْنِيَّةُ لِأَبِي الْحَسَنِ، السَّخَاوِيُّ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ (ت ٦٤٣ هـ) (٤).**
- طبعت ضمن كتاب جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي.
- طبعت بتحقيق عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، القاهرة، (١٤٠٢ هـ).
- ٦٧- **الْهَادِي لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، الْقَيْرَوَانِي، مُحَمَّدُ بْنُ سَفِيَانَ (ت ٤١٥ هـ) (٦).**
- حقه، يحيى غوثاني (رسالة دكتوراه كلية القرآن الكريم، جامعة أم درمان، السودان)، (١٤١٧ هـ) (٧)، (ولم يُطَبَّع تحقيقه فيما أعلم).
- ٦٨- **الْهَدَايَةُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ، الْمَهْدَوِيِّ، أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ (٤٤٠ هـ) (١).**

(١) (النشر ٩٣/١)، (غاية النهاية ١٠٩/٢)، واسمه في (السلاسل الذهبية/٨٩) كتاب المنتهى في القراءات الخمسة عشر، القراءات العشر واختيار أبي بحرية وسلام وأيوب بن المتوكل، وأبي حاتم، وأبي عبيد.

(٢) (النشر ٨٤/١)، (غاية النهاية ٧٤/٢)، (معجم مصنفات القرآن الكريم ١٦٨/٤)، وسمّاه: المهذب في القراءات العشر.

(٣) (النشر ٨٦/١)، (لم يذكره له في غاية النهاية اسماً) (١٩٢/٢)، واسمه في (السلاسل الذهبية/٩٢) كالذي في النشر، وجعله في (معجم مصنفات القرآن الكريم ١٧٠/٤)، هو وكتاب المفتاح في العشر كتاباً واحداً.

(٤) (النشر ٩٧/١)، وقال عنها: ((ومن جملته النونية له في التجويد))، ولم يذكر لها في (غاية النهاية ٥٦٨/١) اسماً. قلت: قد سبق الحديث عن كتاب جمال القراء للسخاوي في ترجمة (٢٢) من هذا البحث.

(٥) لا يوجد في (كتاب غاية النهاية) غير اسمه، واسم أبيه.

(٦) (النشر ٦٩/١)، (غاية النهاية ١٤٧/٢) وفي (السلاسل الذهبية/٩٣) اسمه: كتاب الهادي في القراءات السبع.

(٧) (السلاسل الذهبية/٩٣)، (موقع ملتقى أهل التفسير).

- في حكم المفقود (٢).
- ٦٩- الوجيز لأبي علي، الأهوازي، الحسن بن علي بن إبراهيم (ت ٤٤٦ هـ) (٣).
- طبع بتحقيق وتعليق دريد حسن أحمد، وقدم له وراجعته بشّار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (٢٠٠٢م).
- درسه وحققه سمير معبر، رسالة دكتوراه بريطانية (٤)، ولم يُطبع تحقيقه فيما أعلم.

---

(١) النشر (٦٩/١)، (غاية النّهاية ٩٢/١)، وفي (السلاسل الذهبية ٩٤/١) اسمه: كتاب الهداية إلى مذاهب القراء السبعة (شرح الهداية للمهدوي ٨٦/١).

(٢) في (معجم الدراسات القرآنية/٣٢٤) أنّه ذكره رياضي زادة في متمم كشف الظنون. وهناك معلومة تفيد أنه أي: (الهداية) له نسخة في المكتبات التركية، لكنّ يحتمل أنها ليست الهداية للمهدوي، وإنّما هي شرح للشاطبية لأحد تلاميذ السخاوي، معلومة مستقاة من (موقع أهل التفسير).

(٣) (النشر ٨٠/١)، (غاية النّهاية ٢٢٠/١)، واسمه في (السلاسل الذهبية ٩٥/١) كتاب الوجيز في شرح وأداء القراء الثمانية أئمة الأمصار.

(٤) (السلاسل الذهبية ٩٥/١).

## فهرس مصادر البحث

١. الاختيار في القراءات العشر، لأبي محمد عبد الله بن علي، سبط الخياط، (ت ٥٤١هـ) دراسة وتحقيق عبد العزيز بن ناصر السير، دون مكان طبع، ١٤١٧هـ.
٢. الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي منه لنصر سعيد، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا.
٣. أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً لمصطفى الصاوي، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حري، وشركاه د.ت.
٤. الإمام أبو القاسم الشاطبي، دراسة عن قصيدته حرز الأمان في القراءات، لعبد الهادي عبد الله حميتو، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
٥. الجمع بالقراءات المتواترة، لفتح العبيدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
٦. تقريب الطيبة، لإيهاب فكري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ.
٧. دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية، إعداد قاعدة المعلومات، ١٤٢٠هـ.
٨. دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ، لفؤاد بن عبده أبو الغيث، مجلة معهد الإمام الشاطبي، عدد (٢).
٩. الرسائل العلمية في قسم الكتاب والسنة، في جامعة أم القرى إلى عام ١٤٢٩هـ، توجد منه مصورة إلكترونية في موقع أهل التفسير، من إعداد نايف الزهراني.
١٠. السلاسل الذهبية بالأسانيد النثرية من شيوخي إلى الحضرة النبوية، لأيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط١، ١٤٢٨هـ.
١١. شرح الهداية لأحمد بن عمار المهدي (ت ٤٤٠هـ) تحقيق ودراسة حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
١٢. عوامل تحصين الأمة، لأحمد محمد الخراط، نشر علي محمد العمير، مكتبة التوعية، جدة، ١٤٢٤هـ.
١٣. غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، نشره ج براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٥١هـ.
١٤. فهرست ابن خير الإشبيلي، لمحمد بن خير بن عمر (ت ٥٧٥هـ)، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.
١٥. الفهرس الشامل للتراث العربي، والإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن، عمان، ١٩٨٧م.
١٦. فهرس دار الكتب المصرية، صورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٧. فهرس علوم القرآن، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث، كلية الشريعة، إعداد قسم الفهرسة بالمركز، ١٤٠٦هـ.

- ١٨ . فهرس كتب القراءات القرآنية في مكتبة المصورات الفلمية في قسم المخطوطات، عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية، إعداد عمادة شؤون المكتبات، ١٤١٥هـ.
- ١٩ . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، وضعه صلاح محمد الخيمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٤٠٤هـ.
- ٢٠ . فهرس المصورات بمركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة - أم القرى حالياً - طبع مركز البحث العلمي، إعداد فراج عطا سالم.
- ٢١ . معجم الدراسات القرآنية، لابن السام الصفار، ساعدت جامعة بغداد على نشره، رقم تسلسل التعضيد، ٤، لسنة ١٩٨٤م.
- ٢٢ . معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٣ . معجم مصنفات القرآن الكريم لعلي شواخ إسحاق، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.
- ٢٤ . كشف الظنون عن أسامي الكتب، والفنون، لمصطفى بن عبد الله، المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢٥ . مفردة يعقوب للإمام أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، دراسة وتحقيق حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ٢٦ . موقع إدارة شؤون القرآن والشؤون الإسلامية، دولة الكويت على (الإنترنت).
- ٢٧ . موقع جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية، الرسائل الجامعية على (الإنترنت).
- ٢٨ . موقع ملتقى أهل التفسير، شبكة التفسير والدراسات القرآنية، على (الإنترنت).
- ٢٩ . موقع منتديات القراءات العشر، على (الإنترنت).
- ٣٠ . منهج ابن الجزري في كتاب النشر لابن الجزري، وتحقيق قسم الأصول، للسالم محمد محمود المولود، رسالة دكتوراه، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢١هـ.
- ٣١ . النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) بتصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٢ . هدية العارفين أسماء المؤلفين، وآثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

